



جامعة تشرين
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

ظاهرة الإتياع والمزاوجة وأثرها في الأمثال العربية

مرسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

أعطاها الطالب

سائر عادل حناش

إشراف الدكتور

ماهر عيسى حبيب

مقدمة:

لقد كانت الأمثال العربية مرآة صادقة لحضارة الشعب العربي وضروب تفكيره، وعاداته وتقاليده، ومناحي فلسفته، ومثله الأخلاقية والاجتماعية، ولقد أدرك علماؤنا الأقدمون أهمية هذه الأمثال فأقبلوا عليها جمعاً وتصنيفاً، وشرحاً وتعليلاً، وذكرراً لأصولها ورواياتها المختلفة إلى غير ذلك من أمور تتعلق بها، وقلماً نرى علماً من أعلام الأدب إلا تطرق إلى الأمثال، ولقد لعبت الأمثال دوراً مهماً في حياة العرب؛ لأنهم لم يبدؤوا منذ وقت مبكر فحسب في جمع أمثالهم وحكمهم، بل زينوا بها أدبهم الغزير حتى بقيت إلى يومنا هذا، إذ يرجع الاشتغال بالأمثال إلى أوائل عصر الأمويين وقد ألقت فيها كتبٌ فقد معظمها مع مرور الزمن، وأقدم كتاب في الأمثال وصل إلينا يعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، وهو ليس الكتاب الأول في الأمثال، بل سبقته مؤلفات في العصر الجاهلي بيد أنها لم تصل إلينا.

إن تلك الأمثال القديمة تنساب في مطاوي العقل الجمعي للشعب أو الأمة، وقد تكشف عنها صفحات الكتب، وتجلو الدراسات مضامينها ومواردها فتتضح شيئاً فشيئاً وعندئذ تتوهج وتزودنا بمعلومات مفيدة وبحكم بليغة، فلا يكاد يخلو المرء من أن يتمثل ببعض الحكم القديمة في حياته اليومية تلقاء ما يعرض له من أحداث، وما يرى من شؤون، وما يبتدر فكره من تأملات، فيطبق ما يحفظه من الأمثال عليها و يعطي بها رأيه، وينفث شجنه فتسترعي اهتمام السامع، وتتفي استغرابه بما تتضمنه من حكمة موجزة وبما تشير إليه من تشابه الأحداث وتكرر الصروف.

وفي بحثنا هذا المعنون بـ (ظاهرة الإتياع و المزاجية و أثرها في الأمثال العربية) حاولنا أن نلقي الضوء على فئة من الأمثال العربية اتسمت ببروز ظاهرة الإتياع و المزاجية في صياغتها، فبعد أن قمنا بجمع الأمثال العربية التي تجلت فيها هذه الظاهرة من بطون الكتب ومصنفات الأمثال، تناولناها بالدراسة والتحليل آخذين بعين الاعتبار التفريق بين ظاهرتي (الإتياع، والمزاجية) وتناول التحليل المستويات اللغوية الأربعة: المستوى الصوتي، المستوى الصرفي، المستوى النحوي، المستوى الدلالي.

ومن أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا البحث موضوعاً للدراسة أننا من خلال اطلاعنا على الدراسات اللغوية الحديثة لم نجد فيما بحثنا من درس هذه الظاهرة في الأمثال، فالموضوع لم يزل أرضاً بكرًا؛ و لذلك أحببنا أن نخوض غمار هذا الموضوع ونجعله ميداناً للدراسة، ولكن يمكن أن تقع أيدينا على بعض الدراسات الحديثة التي درست الأمثال العربية من زوايا أخرى مختلفة وهي: دراسة نقدية قدمها مصطفى أبو العلا في كتابه (الأمثال العربية القديمة)، ودراسة تاريخية تحليلية قدمها

الدكتور عبد المجيد قطامش في كتابه (الأمثال العربية) ودراسة تحليلية قدمها الدكتور محمد توفيق أبو علي في كتابه (الأمثال العربية والعصر الجاهلي) وسمير عبدة في كتابه (التحليل النفسي للأمثال العربية)، والدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه (في الأمثال العربية) وغير ذلك من الدراسات الحديثة.

وأما عن مصادر القدماء التي تكلمت عن الإتياع والمزاوجة ، فقد عثرنا على مصدرين حملا عنوان الإتياع والمزاوجة، وهما كتاب (الإتياع) للإمام أبي الطيب عبد الواحد علي اللغوي الحلبي المتوفى سنة (351 هـ)، وكتاب (الإتياع والمزاوجة) للإمام أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة (395هـ) وإننا إذ نقدّم هذه الدراسة لا ننسى جهود علمائنا الأفاضل قدامى ومحدثين، وهي على قلتها تُعدّ المصدر الأول في الدراسات الحديثة.

وتتلخص أهداف البحث بالآتي: التفريق بين ظاهرتي الإتياع والمزاوجة، والخروج بتعريف شامل لكل منهما من خلال الأمثال المدروسة، والتأكيد على ما للتوازن الموسيقي من دور في حفظ المثل وذيوعه، ولعلّ الهدف الأهم تعرّف خصائص اللغة المنطوقة من خلال دراستنا للظواهر اللغوية المتعدّدة ضمن المستويات المختلفة، وكذلك محاولة الكشف عن العلاقة بين المثل والتطور الدلالي إلى غير ذلك من الأهداف التي سنعرضها في حينها.

وفيما يتعلّق بمنهج الدراسة، فهو منهج وصفيّ تحليلي، يتناول بنية اللغة في مختلف مستوياتها، وهو ما اقتضته طبيعة دراستنا في بحثنا هذا.

وقد اقتضت الدراسة أن يكون البحث في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة. أمّا الفصل الأول، فقد تناول الدراسة النظرية التي اندرجت تحت عرض موجزٍ لظاهرتي الإتياع والمزاوجة عند العرب قديماً وحديثاً، مع التمييز بينهما من خلال تعريفٍ موجزٍ ارتضيناه لكلّ منهما والبعد النفسي للإتياع والمزاوجة، الذي تمثّل في العلاقة الوثيقة التي تربط ثنائية الإتياع والمزاوجة، فمجرد نطقنا لإحدى الكلمتين يستدعي الأخرى في الذهن تلقائياً دون أدنى جهد، وكذلك أثر اللغة المنطوقة في ثنائية الإتياع والمزاوجة، فقد لعبت هذه الثنائية دوراً مهماً في حفظ المثل وذيوعه وبقائه في مستودع الذاكرة، بما تمتعت به من إيقاعٍ وجرسٍ وموسيقىّة، وكذلك بيّنا في هذا الفصل أثر الإتياع والمزاوجة في الاقتصاد اللغوي للغة الأمثال، من خلال مجموعة مظاهر لغوية كان أبرزها: التخلّص من الهمز، والقلب المكاني، والتكرار في الحروف والأصوات والمقاطع، والإبدال، والحذف، والاستخفاف، وخرجت الدراسة في نهاية كل موضوع إلى أهم النتائج التي خلص إليها البحث.

وأما الفصل الثاني فهو الدراسة التحليلية على المستوى الصوتي، والتي تناولت ثلاث ظواهر صوتيّة هي: التنغيم؛ حيث عرضت هذه الظاهرة لنطق مجموعة من الأمثال ما بين نغمة صاعدة أو

هابطة، وملاحظة المعنى الذي خرجت إليه مع كل نغمة. والظاهرة الثانية هي النبر، حيث تناولت نبر السياق أو الجمل في مجموعة من الأمثال من خلال تمييز بعض كلمات المثل في النطق عن غيرها، والمعنى الذي خرج إليه. وتناولت الدراسة في هذا المستوى كذلك للمقطع الصوتي حيث تناولت مجموعة من الأمثال بالتحليل المقطعي، وملاحظة المقطع الأكثر شيوعاً وتكراراً فيها، وفي نهاية كل ظاهرة أثبتت الدراسة أهم النتائج التي خرج بها البحث على هذا المستوى.

وأما الفصل الثالث فهو الدراسة التحليلية على المستوى الصرفي، حيث تضمن خمس ظواهر صرفية هي: الأبنية الصرفية والأمثال: والتي قدمت لأبرز الأبنية الصرفية الشائعة في تركيب المثل وفي كلمتي الإتياع والمزاوجة، وملاحظة الصيغة الأكثر تكراراً، والمعنى الذي أفادته. والثانية: الخروج على الأصول الصرفية: حيث عرضت لأبرز الأمثال التي تجلّت فيها مظاهر الخروج على الأصول الصرفية كالمجموع الشاذة، والأبنية الشاذة، وتذكير المؤنث، وتأنيث المذكر، والحذف والثالثة: تعدّد الروايات في الأمثال: حيث تناولت أهم الأسباب التي كانت وراء تعدّد الروايات في الأمثال وأبرزها: كثرة التداول، الاختلاف في نصّ المثل الرواية بالمعنى، اختلاف اللهجات، التقارب في مخارج بعض الحروف، المجالس والمحاورات. ثم تطرقت الدراسة في هذا المستوى إلى ظاهرتي الإبدال والتسهيل، أي إبدال بعض الحروف بأخرى في مجموعة من الأمثال ودلالة ذلك، وتسهيل الهمز في مجموعة أخرى، بسبب اختلاف اللهجات، والسعي وراء الخفة والسهولة.

وفي نهاية كل ظاهرة أثبتت الدراسة أهم النتائج التي خرج بها البحث على هذا المستوى.

وأما الفصل الرابع فهو الدراسة التحليلية على المستوى النحوي، وقد تناولت أربعة أساليب نحوية هي: أسلوب التوكيد، أسلوب الحذف، أسلوب النفي، أسلوب الشرط، وذلك لأنها الأكثر شيوعاً في الأمثال، وفي كل أسلوب تطرقت الدراسة لأبرز الأدوات التي تجلّت في لغة الأمثال، كالتوكيد بالأداة، والتوكيد بغير الأداة في أسلوب التوكيد، والحذف في الاسم، والحذف في الفعل في أسلوب الحذف، والشرط بـ إن، ومن، وحيثما، وإذا، ولو، ولما في أسلوب الشرط، وتناولت الدراسة أيضاً عرضاً لصيغة الفعل الماضي التي تميّزت بها لغة الأمثال العربية، ليختتم كل أسلوب بأهم النتائج التي خرجنا إليها على هذا المستوى.

وأما الفصل الخامس والأخير فهو الدراسة التحليلية على المستوى الدلالي، التي تطرقت إلى أثر الكلمة المزاجية في التطوّر الدلالي من خلال عرض مجموعة من الأمثال على معجمي العين واللسان، وملاحظة التطوّر الدلالي لبعض الكلمات في الأمثال التي جاءت الكلمة المزاجية فيها لا معنى لها، ثم عرضت هذه الدراسة إلى الدخيل في لغة الأمثال من خلال إظهار الأصل اللفظي

لمجموعة من الكلمات الدخيلة في بعض الأمثال. ليختتم كل موضوع بأهم النتائج المستخلصة، وليصل البحث إلى خاتمة تناولت أبرز النتائج المستخلصة في كل مستوى من المستويات الأربعة.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكر الله تعالى على إنجاز هذا البحث، كما نتوجه بشكرنا الخالص، وامتناننا العميق، وعرفاننا بالفضل الكبير إلى معلمنا الأول على درب البحث العلمي أستاذنا الدكتور: ماهر عيسى حبيب، الذي جمع في شخصه كبرياء المعرفة، وتواضع العلماء، وحلم الآباء، نشكر له فائق عنايته وجهده المبذول، ووقته الثمين في سبيل أن يرى هذا البحث النور، بعد أن صوّب خلله، وقوّم اعوجاجه، فكان خير معين لا ينضب، جزاه الله عنا كل الخير، ونسأل له دوام الصحة والعطاء والعمر المديد.

ولا يفوتنا أن نتقدّم بالشكر الجزيل لأستاذينا الفاضلين عضوي لجنة الحكم: الأستاذ الدكتور سامي عوض والدكتورة ميساء عبد القادر لتفضلهما في قراءة هذه الرسالة، آمليْن أن نفيد من ملاحظتهما القيّمة، وتوجيهاتهما السديدة، ولا يفوتنا أيضاً أن نشكر قسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة تشرين على ما لمسناه منهم من تقدير واحترام وإعانة، ونخصّ كذلك بالشكر والتقدير وجميل العرفان عمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة تشرين أساتذة وإداريين، وكل من ساهم في إغناء بحثنا هذا أو إخراج به هذه الصورة.

وبعد فإننا نأمل أن نكون قد وفّقنا في اختيار هذا البحث الشاق والشائق في آنٍ معاً، وأن نكون قد قدّمنا ما فيه الفائدة للمكتبة اللغوية العربية، وأضفنا إلى دراساتنا التراثية بحثاً جديداً جديراً بالقراءة، ونلتمس العذر لنفسنا فيما قد يعترى هذا البحث من خللٍ أو نقص؛ لأنّ الإمام الكليّ بجوانب بحث ثريّ كهذا البحث أمر يصعب بلوغه.

ونرجو أن نكون قد قدمنا في هذا البحث بعض ما نصبو إليه من خدمة العربية وتراثها، وقد نشدنا وجه الحقّ في كل سطر كتبناه، وفي كل فكرة نقلناها ووثقناها، فإن أصبنا فذلك حسبنا، وإن أخطأنا فما نحن إلّا أناسٌ ضعفاء يصيبون قليلاً ويخطئون كثيراً، وسبحان من له الكمال وحده فمنه السداد وبه التوفيق والحمد لله أولاً وآخراً.

وشكراً

الدراسة النظرية

الفصل الأول

1 – مفهوم ظاهرة الإتياع والمزاوجة:

أ – ظاهرة الإتياع قديماً وحديثاً.

ب – ظاهرة المزاوجة قديماً وحديثاً.

2 – البعد النفسي للإتياع والمزاوجة.

3 – اللغة المنطوقة والإتياع والمزاوجة.

4 – الاقتصاد اللغوي والأمثال.

أولاً: مفهوم ظاهرة الإتياع والمزاوجة:

أ - مفهوم ظاهرة الإتياع قديماً وحديثاً:

الإتياع ظاهرة ضاربة جذورها في أعماق التاريخ، استحوذت على اهتمام العلماء منذ القدم، فصنّفوا فيها الكتب وأفردوا لها الأبواب والفصول، وتناولتها المعاجم اللغوية المختلفة، فكان أن تعددت الآراء والأقوال في تحديد معنى الإتياع والوقوف على تعريف جامع له . وللوصول إلى هذه الغاية سنعرض لتلك الآراء المختلفة مع محاولة المقاربة والمقارنة بينها، آخذين بعين الاعتبار تسلسلها الزمني، ومن ثم نضع القول الذي ارتضيناه تعريفاً لهذه الظاهرة.

1 - قديماً:

الإتياع في كتب اللغة: أ - كتب مستقلة.

ب - فصول ضمن كتب أخرى.

أ - كتب مستقلة:

كان أبو الطيب اللغوي الحلبي (ت 351 هـ) من أوائل الروّاد الذين ألفوا في الإتياع، يقول في كتابه: "ذلك أنّ التابع أو اللفظة الثانية إن لم يكن له معنى في نفسه أو كان له معنى المتبوع، ولم يجئ إلّا ليتد ما قبله ويقويه، ثم لا يتكلم به مفرداً كان إتياعاً، وإن كان يشارك اللفظة الأولى أو المتبوع في المعنى، فأفاد في تقويتها وأمكن إفراد التابع في الكلام كان توكيداً"⁽¹⁾.

وممن أفرد كتاباً للإتياع أيضاً أحمد بن فارس (ت 395 هـ) وقد وسمه بالإتياع والمزاوجة يقول فيه "الإتياع والمزاوجة كلاهما على وجهين: أحدهما أن تكون كلمتان متواليّتان على روي واحد، والوجه الآخر أن يختلف الرويان، ثم يكون بعد ذلك على وجهين أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف والآخر: أن تكون الثانية غير واضحة المعنى، ولا بيّنة الاشتقاق، إلّا أنّها كالإتياع لما قبلها"⁽²⁾، نستنتج ممّا سبق اختلاف الإمامين في تحديد معنى دقيق للإتياع، فأبو الطيب اشترط عدم إفراد اللفظ في الكلام مع حمله لمعنى المتبوع أو خلوه من المعنى ليكون إتياعاً، في حين ذهب ابن فارس إلى تصنيف الإتياع بين ماله معنى واضح أو ما كان غير واضح المعنى، وهنا نلاحظ التقارب بين الاثنين في النوع الثاني فقط من أنواع الإتياع.

(1) كتاب الإتياع لأبي الطيب عبد الواحد علي اللغوي الحلبي، حقّقه وقدم له: عز الدين التتوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، 1961، ص 7.

(2) الإتياع والمزاوجة لأحمد بن فارس بن زكريا، حقّقه: محمد أديب عبد الواحد جمران، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1995، ص 43.

ب - فصول ضمن كتب أخرى:

قال الكسائي (ت 189 هـ، علي بن حمزة) فيما نقل عنه السيوطي (ت 911 هـ) من كتاب غريب الحديث لأبي عبيد "إنما سُمِّي إِتِّبَاعاً لأن الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد وليس يُتَكَلَّمُ بالثانية مفردة فلهذا قيل: إِتِّبَاعٌ"⁽³⁾. ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ). في غريب الحديث فيما نقله عنه السيوطي (ت 911 هـ) في المزهري حيث كان يرى أن الإِتِّبَاع لا يكون بالواو⁽⁴⁾، بينما يكون التوكيد بالواو، ومنهم ثعلب في أماليه (ت 291 هـ) حيث أورد "قال الأعرابي سألت العرب أي شيء معنى شيطان نيطان ؟ فقالوا: شيء نَدَّ به كلامنا: نشدّه"⁽⁵⁾.

وكذلك عقد ابن دريد (ت 321 هـ) في جمهرته باباً سَمَّاه (باب جمهرة من الإِتِّبَاع) حيث يقول "هذا جائع نائع، والنائع: المتمائل، وعطشان نطشان في قولهم "ما به نطيش أي حركة"⁽⁶⁾.

ومن أولئك الذين عقدوا فصلاً في الإِتِّبَاع أبو علي القالي (ت 356 هـ) الذي جعل الإِتِّبَاع على ضربين حيث يقول: "الإِتِّبَاع على ضربين: فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به تأكيداً؛ لأن لفظه مخالفٌ للفظ الأول، وضربٌ فيه الثاني غير معنى الأول"⁽⁷⁾.

ومنهم ابن فارس (ت 395 هـ) حيث يقول: "للْعَرَبِ الإِتِّبَاع وهو أن تَتَّبَعَ الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتأكيذاً. وروي أن بعض العرب سئل عن ذلك فقال: "هو شيء نَدَّ به كلامنا، وذلك قولهم ساغِبٌ لاغِبٌ، وهو خَبٌّ ضَبٌّ، وخرابٌ يبابٌ"⁽⁸⁾.

وكذلك أبو منصور الثعالبي (ت 430 هـ) الذي عقد فصلاً للإِتِّبَاع قال فيه: "هو من سنن العرب، وذلك أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها ورويها إشباعاً وتوكيداً كقولهم: جائع نائع، وساغِب لاغِب، وعطشان نطشان، وصَبَّ خَبٌّ، وخرابٌ يبابٌ، وقد شاركت العرب العجم في هذا الباب"⁽⁹⁾.

(3) المزهري في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، دار الفكر (د.ط و د.ت)، 415/1.

(4) المصدر نفسه، 415/1

(5) مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون دار المعارف، ط2، (د.ت)، 7/1.

(6) جمهرة اللغة لابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، مكتبة المثنى، (د.ط و د.ت)، 429/3.

(7) الأمالي لأبي علي القالي، (إسماعيل بن القاسم)، دار الكتاب العربي، (د.ط و د.ت)، 208/2.

(8) الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، حققه وضبط نصوصه: د. عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، ط1، 1993، ص 263.

(9) فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق: سليمان سليم البواب، دار الحكمة للطباعة والنشر، (د.ط)، دمشق، 1984، ص 413.

ومنهم ابن سيدة (ت 458 هـ) حيث عقد باباً سمّاه الإتياع قال فيه "الإتياع على ضربين، فضرِب يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به تأكيداً لأن لفظه مخالف للفظ الأول وضرِب فيه الثاني غير معنى الأول فمن الإتياع قولهم: أسوان أتوان في الحزن، فأسوان من قولهم أسي الرجل أسي إذا حزن ورجل أسيان وأسوان أي حزين وأتوان من قولهم أتوته أتوة بمعنى أتيته أتية وهي لغة هذيل" (10).

وكذلك للحريري (ت 516 هـ) رأي في الإتياع حيث يقول: "ثم إن الإتياع على قسمين مالا معنى له أصلاً غير التقوية كحسن بسن، وماله معنى ظاهر كقسيم وسيم، أو غير ظاهر كشيطان نيطان، أي لاصق بالشر وهو كما قال ابن فارس إمّا معرب بإعرابه كحسن بسن، أو مركب معه كحيص بيص، فإنه إتياع كما صرح به ابن فارس وقد يكون بأكثر من لفظ وفي غير الأسماء نحو لا بارك الله فيك ولا تارك ولا دارك، وهذا يحتمل عندي أن يكون تأكيداً معنوياً ولفظياً على أنه أبدل منه حرف لدفع صورة التكرار" (11).

ومنهم أيضاً ابن الدهان (ت 569 هـ) في الغرّة حيث يقول فيما نقل عنه السيوطي (ت 911 هـ) في المزهري: "منه قسم يسمى الإتياع (أي من باب التوكيد) نحو عطشان نطشان، وهو داخل في حكم التوكيد عند الأكثر، والدليل على ذلك كونه تأكيداً للأول غير مبين معنى بنفسه عن نفسه كأكتع وأبصع من أجمع، فكما لا يُنطق بأكتع بغير أبصع فكذلك بغير أجمع، ولهذا المعنى تكررت بعض حروفها في مثل حسن بسن، كما فعل بأكتع مع أجمع" (12).

ومنهم أيضاً ابن الحاجب (ت 646 هـ) في الكافية حيث يقول في سياق حديثه عن التوكيد: "التأكيد اللفظي على ضربين: إما أن تعيد لفظ الأول بعينه، نحو جاعني زيد، جاعني جاعني زيد، أو تقويه بموازنه مع اتفاقهما في الحرف الأخير، ويسمى إتياعاً، وهو على ثلاثة أضرب لأنه إما أن يكون للثاني معنى ظاهر نحو هنيئاً مريئاً وهو سرير، أو لا يكون له معنى أصلاً بل ضم إلى الأول لتزيين الكلام لفظاً وتقويته معنى، وإن لم يكن له في حال الإفراد معنى نحو قولك: حسن بسن فسن، أو يكون له معنى متكلف غير ظاهر نحو: خبيث نبيث من نبث الشر أي استخرجته" (13).

(10) المخصص، ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، دار الكتب العلمية (د. ط و د. ت)، 28/14.

(11) درّة الغواص في أوهم أهل الخواص، أبو محمد القاسم بن علي الحريري، مطبعة الجوائب، ط1، 1299، ص81.

(12) المزهري، السيوطي 424/1، ابن الدهان هو سعيد بن المبارك بن علي بن عبدالله ابن سعيد البغدادي.

(13) كتاب الكافية في النحو، جمال الدين أبي عمر وعثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي المالكي، شرحه الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي النحوي، دار الكتب العلمية، د. ط، ود. ت، ج 1/ 333.

ومنهم تاج الدين بن عبد الوهاب بن علي السبكي (ت 771 هـ) الذي أشار في شرح المنهاج فيما نقله عنه السيوطي (ت 911 هـ) في المزهري إلى أن "بعض الناس ظنّ أنّ التابع من قبيل الترادف لشبهه به، والحق الفرق بينهما، فإنّ المترادفين يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت، والتابع لا يفيد وحده شيئاً، بل شرط كونه مفيداً تقدّم الأول عليه"⁽¹⁴⁾.

وهنا نلاحظ عدم الاتفاق على مفهوم واضح للإتباع عند القدماء وهذا ما أدى إلى تدخل في المصطلحات والتسميات، فنلاحظ من أدخله في باب التوكيد، بينما عدّه آخر من قبيل الترادف، ومن جهة أخرى نلاحظ التقارب في الآراء بين رأي ابن الدهان في الغرّة، ورأيي ثعلب والكسائي، في حين اقترب تاج الدين السبكي من الوجه الثاني عند أبي الطيب.

وكذلك انفرد أبو علي القالي بالضرب الثاني الذي ذكره وهو أنّ للفظ الثاني معنىً مختلفاً عن اللفظ الأول، ويتبعه في ذلك ابن سيده.

وكذلك نلاحظ اقتراب ابن الحاجب من الحريري في تصنيفه للإتباع، ولاسيما في الضربين الأول والثاني.

الإتباع في المعاجم اللغوية:

أ - المعاجم اللغوية:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ): "التابع التالي ومنه التتبع والمتابعة والإتباع يتبعه: يتلوه، تبعه يتبعه تبعاً"⁽¹⁵⁾. وقال الأزهري (ت 370 هـ): "التابع: التالي"⁽¹⁶⁾. ويقول ابن منظور (ت 711 هـ): "والإتباع في الكلام مثل حسن بسن وقبيح شقيح"⁽¹⁷⁾. ويقول في موضع آخر: "إذا وجد للشيء معنى غير الإتباع لم يقضَ عليه بالإتباع"⁽¹⁸⁾. ويقول الفيروز آبادي (ت 817 هـ): "والإتباع في الكلام: مثل حسن بسن" ولم يزد على ذلك⁽¹⁹⁾.

(14) المزهري، السيوطي، 415/1.

(15) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. محمد المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1988 م، 78/2.

(16) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، (د. ط و د. ت) 282/2.

(17) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، ط1، 1992، مادة تبع، 32/8.

(18) المصدر نفسه، مادة بآل، 41/11.

(19) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي الشيرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، ط1، 1995، 12/3.

ويقول الزبيدي (ت 1205 هـ): "الإِتباع يقتضي أن الثاني ليس له معنى مستقل به"⁽²⁰⁾.

ب - المعاجم الاصطلاحية:

قال أبو البقاء الكفوي (ت 1094 هـ): "والإِتباع هو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتوكيداً، حيث لا يكون الثاني مستعملاً بانفراده في كلامهم، وذلك يكون على وجهين: أحدهما أن يكون للثاني معنى كما في (هنيئاً مريئاً) والثاني لا يكون له معنى بل ضمُّ إلى الأول لتزيين الكلام لفظاً وتقويته معنىً نحو قولك (حسن بسن)"⁽²¹⁾.

وهنا نلاحظ كذلك تعدّد وجهات النظر في تعريف الإِتباع، وبلورة مفهوم واضح له فقد اقترب أبو البقاء الكفوي من ابن فارس في الوجه الأول الذي صنّفه، في حين رأينا اقتراب صاحب اللسان من ابن فارس وأبي الطيب في النوع الثاني عند الأخيرين، وجاء الزبيدي صاحب التاج ليتابع ابن منظور في اللسان، وكذلك لم يذكر الفيروز آبادي تعريفاً واضحاً للإِتباع ولم يحدّد رأيه فيه.

2 - حديثاً:

وفيما يتعلق بالمحدثين، نلاحظ تأثرهم بتعريف ابن فارس للإِتباع و تفريقه بين ضربين له بشكل كبير، فقد أشار ابن فارس إلى ضربٍ تكون فيه الكلمة الثانية ذات معنى معروف، وضربٍ تكون فيه الكلمة الثانية غير واضحة المعنى، ولا بينة الاشتقاق.

ويمكننا كذلك ملاحظة تركّز مقولات المحدثين حول ثلاث نقاط في تعريفهم للإِتباع، النقطة الأولى: النظر إلى الإِتباع من الناحية الشكلية الفنية الجمالية، والنقطة الثانية: النظر إلى الإِتباع من الناحية المعنوية، والنقطة الثالثة: الجمع بين النقطتين السابقتين، أي النظر إلى الإِتباع من الناحيتين الجمالية والمعنوية.

وسنعرض فيما يلي آراء كل فريقٍ حول هذه النقاط الثلاث.

أما الآراء التي تركّزت حول النقطة الأولى للإِتباع فقد وردت على النحو الآتي:

يقول أحد الباحثين: "الإِتباع ظاهرة لغوية جمالية تدل على ما يعانیه المتكلّم من انفعال، وتمنح السامع متعة فنية ويجب أن تدرس مع مثيلاتها من الظواهر اللغوية التي لا يقصر المتحدّثُ فيها إلى الإخبار المجرد ويرمي معه إلى المشاركة الوجدانية"⁽²²⁾.

(20) تاج العروس السيد محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر، (د. ط و د. ت) مادة قزح، 2/207.

(21) الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي، ضبطه: د. عدنان

درويش ومحمد المصري منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط2، دمشق 1981، 1/33.

(22) دراسات لغوية، د. حسين نصار، دار الرائد العربي، (د. ط) 1981م ص62.

ويقول باحث آخر: "الإتباع أسلوب طريف من أساليب الكلام العربي، فيه الرشاقة والتناغم وتقوية المعنى، وهو إلى الارتجال أقرب منه إلى القصد، وبالطرافة أشبه منه بالحصافة، وهو برهان واضح على ما في لغتنا المعجزة من ثراء وتنوع"⁽²³⁾.

ويقول أيضاً أحد الباحثين "الإتباع خفة وذلاقة"⁽²⁴⁾.

ويقول باحث آخر: "لست أعلم قانوناً كان أكثر عملاً في اللغة من قانون الإتباع حتى كان في آخرته طابعاً لغوياً فظهر أثره في الأصول والزوائد والكلمات والأدوات والاشتقاق"⁽²⁵⁾.

وأما الآراء التي تركّزت حول النقطة الثانية للإتباع فقد وردت على النحو الآتي:

يقول محقق كتاب الإتباع لأبي الطيب اللغوي: "الإتباع يكون في الأسماء والأفعال، والإتباع الاسمي قسمان: إما أن يكون التابع متصلاً بالمتبوع و بمعناه أو ليس له معنى، ثم يجيء مفرداً، وهو نوعان: نوع يجيء التابع فيه بلفظ واحد بعد المتبوع نحو حسن بسن و حارّ يارّ، ونوع يجيء فيه لفظان بعد المتبوع نحو: حسن بسن قسن... وإما أن يكون التابع متصلاً بالمتبوع وله معنى، ولا يجيء أيضاً مفرداً كما هو في القسم الأول نحو عطشان نطشان وشيطان نيطان، والإتباع الفعلي: ما كان التابع فيه منفصلاً من المتبوع بواو العطف، والأفعال في هذا القسم الثاني قد تكون ظاهرة و بلفظ واحد نحو: عبس وبسر، وقد تكون مقدّرة كالمصادر التي قدّرت أفعالها نحو قبحاً له وشقحاً، وقد يجيء الإتباع الفعلي بلفظين تابعين نحو لا بارك الله في الشعوبيّ ولا تارك ولا دارك"⁽²⁶⁾.

ويقول باحث آخر: "أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتأكيذاً"⁽²⁷⁾.

وكذلك قال آخر: "الإتباع على ضربين: ضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به توكيداً لأنّ لفظه مخالف للفظ الأول، وضربٌ فيه معنى الثاني غير معنى الأول، فمن الأول قولهم: رجل قسيم وسيم و كلاهما بمعنى الجميل، وضئيل بئيل بمعنى واحد. ومن الثاني حارّ يارّ وعطشان نطشان،

(23) الإتباع، د.غازي مختار طليمات، ص 35، مجلة آفاق الثقافة والتراث، تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، س 5، ع 18 آب 1997، ربيع ثاني 1418 هـ.

(24) مقدمة لدرس لغة العرب، وكيف نضع المعجم الجديد، عبد الله العلايلي، دار الجديد، ط2، 1997، ص 324.

(25) تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، أسعد أحمد علي، دار السؤال للطباعة والنشر بدمشق، ط2، 1985 م، ص 150، وكذلك مقدمة لدرس لغة العرب، عبد الله العلايلي، ص 323.

(26) مقدمة كتاب الإتباع لأبي الطيب، تحقيق عز الدين التتوخي، ص 4.

(27) البلغة في أصول اللغة، محمد حسن خان القنوجي، تحقيق: نذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1988م، 1408 هـ، ص 213.

وجائع نائع، وحسن وبسن، والكلمة الثانية في هذا الضرب الثاني إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلم بالثانية منفردة فلهذا قيل إيتباع⁽²⁸⁾.

وأما الآراء التي تركّزت حول النقطة الثالثة للإيتباع فقد وردت على النحو الآتي:

يقول أحد الباحثين: "الأصل في الإيتباع أن تتبع الكلمة كلمة مأخوذة منها بتغيير بعض الحروف وترك بعضها الآخر لتكون هذه المجانسة في الصوت وسيلة لتأكيد معنى الكلمة الأولى، والغالب أن تقتصر المخالفة على حرف واحد، ولأن هذا هو الأصل في الإيتباع لم يكن للكلمة الثانية في كثير من الأحيان معنى أو اشتقاق واضح"⁽²⁹⁾.

ويقول باحث آخر: "الإيتباع عبارة عن تأكيد الكلمة بضم كلمة أخرى إليها، لا معنى لها في ذاتها، غير أنها تساويها في الصيغة والقافية بغرض الزينة اللفظية وتأكيد المعنى، والكلمة الثانية تسمى الإيتباع ويقسمها اللغويون العرب بحسب معناها إلى ثلاثة أقسام: كلمة الإيتباع لها معنى واضح يدرك بسهولة مثل قولهم هنيئاً مريئاً، كلمة الإيتباع لا معنى لها على الإطلاق، ولا تستخدم وحدها، مثل شيطان نيطان، كلمة الإيتباع لها معنى متكلف مستخرج من الأولى مثل: خبيث نبيث"⁽³⁰⁾.

ويدور حول المعنى السابق باحث آخر حيث يقول: "الإيتباع أن تتبع الكلمة كلمة أخرى تشبهها وزناً وموسيقاً قصداً للتوكيد، وهو ضربان أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية فيه ذات معنى مرادف لمعنى الكلمة الأولى أو قريب منه كقولهم: قسيم وسيم فكل منهما معناها الحسن الجميل والضرب الآخر هو ما كانت الكلمة الثانية فيه لا صلة لها بمعنى الكلمة الأولى، وقد لا يكون لها معنى، أو لها صلة ولكنها بعيدة غير ظاهرة، وإنما ضُمَّت إلى الأولى لتزيين الكلام لفظاً وتقويته معنى"⁽³¹⁾.

ويقول أيضاً محقق كتاب الإيتباع والمزاوجة لابن فارس:

"الإيتباع أسلوب من أساليب الكلام، يقوم على طرفين هما التابع والمتبوع، ويربط بين الطرفين التزاماً بحرف في آخر كل طرف، وبوزن يتساوى فيه الطرفان، ويغلب أن يكون طرفاه اسمين لا فاصل بينهما، وأن يكون الثاني كلمة لا معنى لها حتى يكون الأسلوب أدخل في باب الإيتباع، على أنه قد يكون للتابع معنى بنفسه في نفسه وهو عندئذ يفيد تقوية المعنى"⁽³²⁾.

(28) دراسات في فقه اللغة العربية، د.صبيح الصالح، دار العلم للملايين، ط3، 1968، ص 239.

(29) نصوص في فقه اللغة العربية، د.السيد يعقوب بكر، دار النهضة العربية، د.ط"، 1971م، 2/332.

(30) فصول في فقه العربية، د.رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1987م، ص 246.

(31) أزهير الفصحى في دقائق اللغة، عباس أبو السعود، دار المعارف بمصر، د.ط ود.ت"، ص 310 — 311.

(32) الإيتباع والمزاوجة، ابن فارس، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، ص 27.

وكذلك يقول ناشر كتاب الإتياع والمزاوجة الأول لابن فارس⁽³³⁾ فيما نقله عنه الدكتور رمضان عبد التواب: "يظهر من أمثلة ابن فارس بوضوح أنّ كلاً من الإتياع والمزاوجة يفترقان عن التعبيرات المماثلة كالجع مثلاً في أن الكلمة الثانية في الإتياع والمزاوجة لا ترد فيما عدا ذلك من التراكيب أو على الأقل بهذا المعنى، كما يبدو أنّ اصطلاح الإتياع يقصد به الصيغ الوصفية التي تتبع الكلمة الأولى برابط أو تكون وحدها جملاً مستقلة تسمى بالمزاوجة"⁽³⁴⁾.

وبعد هذا العرض لآراء القدماء والمحدثين في الإتياع، نعرض فيما يلي نماذج من كل نوع من أنواع الإتياع التي رأيناها في الأمثال، لنصل من خلالها إلى تعريف واضح للإتياع:

1 – كلمتان متاليتان لهما وزن وروي واحد ولا يوجد فاصل بينهما من مثل قولهم:

— "لكل ساقطة لاقطة"⁽³⁵⁾.

— "تركتمهم في حيص بيص"⁽³⁶⁾.

— "سواه لواه"⁽³⁷⁾.

— "أكثر الظنون ميون"⁽³⁸⁾.

2 – كلمتان متاليتان لهما وزن وروي واحد وقد فصل بينهما:

أ – بأحد حروف الجر الآتية "من، في، الباء، إلى، على" من مثل قولهم:
— "قرنت الهيبة بالخيبة"⁽³⁹⁾.

(33) ناشر كتاب الإتياع والمزاوجة الأول لابن فارس هو برونو.

(34) فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ص 247.

(35) مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري "الميداني"، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت "د. ط ودت" 185/2، قال الأصمعي وغيره: الساقطة: الكلمة يسقط بها الإنسان، أي لكل كلمة يخطئ بها الإنسان من يتحفظها فيحملها عنه. وقيل لكل كلمة ساقطة أذن لاقطة.

(36) المصدر نفسه، 175/1، يقول الميداني حيصَ بيصَ وحيصَ بيصَ، فالحيص: الفرار، والبوص: الفوت. وحيصَ من بنات الباء وبيصَ من بنات الواو، فصيرت الواو ياء ليزدوجا، يضرب لمن وقع في أمر لا مخلص له منه فراراً أو فوتاً.

(37) المصدر نفسه، 475/1، يقول الميداني: من السهو واللهو يعنى أن يسهون عما يجب حفظه ويشغلن باللهو.

(38) المصدر نفسه، 134/2 وفسره: المين: الكذب وجمعه ميون، يضرب عند الكذب وتزييف الظن.

(39) المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، ط2، 1987، 97/2، لم يذكر حول معناه شيء وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا، مادة خيب، 368/1: خاب يخيب خيبة حرم ولم ينل ما طلب. والهيبة مادة هيب، 789/1: المهابة هي الإجلال والمخافة.

— "جاء بأمّ الرّبيق على أريق" (40).

— "أعييتني من شُبِّ إلى دُبِّ" (41).

— "ما يعرف الحوَّ من اللوِّ" (42).

— "الخرقة من الشقّة" (43).

— "أضيع من طاووس في ناووس" (44).

ب — بأحد حروف العطف الآتية "أو، ثمّ، الفاء، أم" مثل:

— "إنمّا هو الفجر أو البحر" (45).

— "الجار ثم الذّار" (46).

— "ما أدري أغار أم مار" (47).

(40) مجمع الأمثال، الميداني، 233/1، قال أبو عبيد القاسم بن سلام أم الرّبيق الداهية وأصله من الحيات، ويدل هذا التركيب على شيء يحيط بالشيء ويدور به كالريقة وربقت فلاناً في هذا الأمر أي أوقعته فيه حتى ارتبق وارتبك، فكأنّ أم الرّبيق داهية تحيط وتدور بالناس حتى يرتبقوا ويرتبكوا فيها. وأمّا أريق فأصله: وريق تصغير أورك مرخماً وهو الجمل الذي لونه لون الرماد. قال الأصمعي: تزعم العرب أنه من قول رجل رأى الغول على جمل أورك.

(41) المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، 257/1، مفسّره الزمخشري بقوله: أي من حين شببت إلى حين دببت، يعني من الصبا إلى الهرم. يضرب للبغيض.

(42) مجمع الأمثال الميداني، 313/2، وفسّره بقوله: قال بعضهم: أي الحق من الباطل، وقال بعضهم: الحو: سَوَق الإبل، واللو: حبسها، ويروى الحيّ من اللّي، وقيل: الحو: نعم، واللو: لا. أي لا يعرف هذا من هذا.

(43) المصدر نفسه، 364/1. لم يذكر حول معناه شيء.

(44) الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة، للإمام حمزة بن الحسن الأصبهاني، تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المعارف بمصر، "د.ط"، 1972م، 277/1. لم يذكر حول معناه شيء، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا: مادة طوس 127/6، الطاووس: طائر حسن همزته بدل من واو لقولهم طواويس. والطاووس في كلام أهل اليمن: الفضة، والطاووس: الأرض المخضرة التي عليها كل ضرب من الورد أيام الربيع، والناووس: مادة نوس 245/6 مقابر النصارى.

(45) مجمع الأمثال، الميداني، 94/1، وفسّره بقوله: أي إن انتظرت حتى يضيئ لك الفجر الطريق أبصرت قدرك، وإن خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المكروه. يضرب في الحوادث التي لا امتناع منها.

(46) المصدر نفسه، 238/1، وفسّره بقوله: هذا كقولهم الرفيق قبل الطريق وكل منهما يروى عن النبي محمد "ص" قال أبو عبيد: كان بعض فقهاء أهل الشام يحدث بهذا الحديث ويقول معناه إذا أردت شراء دار فسل عن جوارها قبل شرائها.

(47) مجمع الأمثال، الميداني، 324/2، يقال غار أي أتى الغور، ومار أنجد أي أتى نجداً.

— "عين عرفت فذرفت" (48).

ت — بأحد الظروف الآتية: "بعد، تحت، قبل، دون، مع، أبداً" مثل:

— "من لي بالسائح بعد البارح" (49).

— "العنوق بعد النوق" (50).

— "حال الجريض دون القريض" (51).

— "الربّاح مع السماح" (52).

— "المشاورة قبل المساورة" (53).

— "أمضى من السيل تحت الليل" (54).

— "المُعجب أبداً مُغضب" (55).

(48) مجمع الأمثال، الميداني، 627/1، لم يذكر حوله شيءٌ فيما عدا مناسبة قوله. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا: مادة ذرف 109/9 الذرفُ: صَبَّ الدمع، وذرف الدمع يذرف ذرفاً وذرفاناً: سال. يضرب لمن رأى الأمر فعرف حقيقته.

(49) المصدر نفسه، 332/2، وفسّره بقوله: السائح من الصيد ما جاء عن شمالك فولاك ميامنه، والبارح ما جاء عن يمينك فولاك مياسره وأصل المثل: أن رجلاً مرت به ظباء بارحة والعرب تنتشام بها، فكره الرجل ذلك فقليل له: إنها ستمر بك سائحة فعندها قال: من لي بالسائح بعد البارح، يضرب مثلاً في اليأس عن الشيء.

(50) المصدر نفسه، 635/1، وفسّره بقوله: يضرب لمن كانت له حال حسنة ثم ساءت، أي كنت صاحب نوق فصرت صاحب عنوق والعناق: الأنثى من أولاد المعز.

(51) المصدر نفسه، 627/1، وفسّره بقوله: الجريض: الغصّة من الجرض وهو الرقيق يغصّ به، يقال جرض ريقه يجرّض وهو أن يبتلع ريقه على هم وحزن، يقال مات فلان جريضاً أي مغموماً. والقريض الشعر. يضرب للأمر يقدر عليه أخيراً حين لا ينفع. وأصله: أن رجلاً كان له ابن نبغ في الشعر فنهاه أبوه عن ذلك، فجاش به صدره ومرض حتى أشرف على الهلاك، فأذن له أبوه في قول الشعر فقال هذا المثل.

(52) المصدر نفسه، 420/1، وفسّره بقوله: الرباح: الريح، يعني أن الجود يورث الحمد ويربح المدح.

(53) المصدر نفسه، 319/2، لم يذكر حوله شيءٌ فيما عدا مناسبة قوله. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا: مادة شور 434/4. استشار أمره إذا تبين واستتار. والمساورة: مادة سور 385/4 ساوره مساورةً وسواراً واثبه، والإنسان يساور إنساناً إذا تناول رأسه. يضرب في القائل من لا قوام لك به.

(54) جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري حقه: محمّد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، المكتبة العصرية، ط1، 2003م، 185/2، لم يذكر حول معناه شيء.

(55) مجمع الأمثال، الميداني، 375/2.

ث — بأحد حروف المعاني الآتية: "لو، لا، ما، قد، الكاف، لمّا" ما مثل:

— "قد أحزم لو أعزم"⁽⁵⁶⁾.

— "إنّ أُمامي ما لا أسامي"⁽⁵⁷⁾.

— "أقصرَ لمّا أبصر"⁽⁵⁸⁾.

— "ليس المشير كالخبير"⁽⁵⁹⁾.

— "من بدا فقد جفا"⁽⁶⁰⁾.

— "اسعَ بجدك لا بكذك"⁽⁶¹⁾.

ومن خلال ما تقدّم يمكننا استخلاص تعريفٍ للإتباع نجمله بالآتي:

الإتباع: هو توارُدُ⁽⁶²⁾ كلمتين أو ثلاث⁽⁶³⁾ في أسلوبٍ كلامي مرتجل، يغلب عليه الإيقاع الواحد، والتوافق في الوزن والروي، يسمّى طرفاه التابع والمتبوع، والغالب ألا يفصل بينهما بفصل، وقد يفصل بينهما بحرف من حروف المعاني أو الجر أو العطف⁽⁶⁴⁾، ويمكن أن يكون التابع كلمة لا معنى

(56) مجمع الأمثال، الميداني، 64/2، وفسّره بقوله: أي إن عرفت الرأي فأمضيته فأنا حازم وإن تركت الصواب وأنا أراه وضيعت العزم لم ينفعني حزمي.

(57) المصدر نفسه، 104/1، وفسّره بقوله: أي ما لا أساميهِ ولا أقاومه، يضرب للأمر العظيم ينتظر وقوعه.

(58) جمهرة الأمثال، العسكري، 161/1، والإقصار الكف عن الشيء مع القدرة عليه والقصور العجز عنه، قصرت عنه وأنا قاصر إذا لم تقدر عليه، وأقصرت عنه إذا تركته وأنت قادر عليه، يضرب للراجع عن الذنب.

(59) مجمع الأمثال، الميداني، 270/2، لم يذكر حول معناه شيء، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا: مادة شور 435/4 المستشير الذي يعرف الحائل من غيرها من الدواب، ويقول شاورته في الأمر واستشترته بمعنى، وفلانٌ خيرٌ شيرٌ أي يصلح للمشاورة. وشاوره مشاورة وشواراً واستشاره طلب منه المشورة. الخبير: مادة خبر 226/4. خبِرْتُ بالأمر أي علمته، وخبير: عالم بالخبر.

(60) المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، 354/2، لم يذكّر حوله شيءٌ فيما عدا مناسبة قوله. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا تفسيراً للمثل 148/14 من بدا فقد جفا أي من سكن البادية غلظ طبعه لقلّة مخالطة الناس. والجفاء غلظ الطباع. ولم يذكر مناسبة قوله.

(61) المصدر نفسه، 168/1، يضرب في فوز المجدود بمساعيه دون غيره.

ملاحظة: هناك نوعٌ من الإتباع ذكره ابن فارس في كتابه الإتباع والمزاوجة يأتي فيه التابع مخالفاً للمتبوع في حرف الروي وهو نادرٌ في كتب الأمثال لذلك لم نتطرّق إليه في بحثنا هذا.

(62) نقصد بالتوارد هنا أنّ ذكر إحدى الكلمتين يستدعي في ذهن الأخرى تلقائياً وعفو الخاطر دون أدنى جهد مبذول وهذا ما ندعوه بالارتجال.

(63) نريد هنا أن نقول أنّ هناك نوعين من الإتباع ثنائي مثل خبيث نبيث وهو الأكثر، وثلاثي مثل كثير بثير بثير وهو أقل من الثنائي.

(64) نستثني هنا الواو من حروف العطف لأنها تخص المزاوجة كما سنرى.

لها جاءت لغاية فنيّة جماليّة هي تزيين الكلام لفظاً، وتوكيد المتنوع، وإمتاع السامع، وقد يكون التابع كلمة لها معنى يبيّن جاء لتقوية معنى المتنوع وتوكيده.

ب — مفهوم ظاهرة المزوجة قديماً وحديثاً:

كما تعددت آراء اللغويين والعلماء في الإلتباع، كذلك الأمر في المزوجة، فقد تعددت فيها الآراء وعقدت فيها الأبواب والفصول، وتعرّضت لها المعاجم اللغوية، وللوقوف على معنى المزوجة وتحديد دقيق لها، سنعرض لتلك الآراء حسب تسلسلها الزمني، لنضع بعد ذلك القول الذي ارتضيناه تعريفاً لهذه الظاهرة.

1 — قديماً:

المزوجة في كتب اللغة: أ — كتب مستقلة.

ب — فصول ضمن كتب أخرى.

أ — كتب مستقلة:

يقول ابن فارس "ت 395هـ" في مقدمة كتابه "هذا كتاب الإلتباع والمزوجة وكلاهما على وجهين..."⁽⁶⁵⁾ ويتابع ابن فارس تعريفه ويذكر أنواعاً عديدة للإلتباع والمزوجة يظهر من خلالها أنه لا فرق عند الرجل بين الإلتباع والمزوجة، فقد كان يجمع بين الترويج والإلتباع فيقول: "هو تزويج، ويصلح أن يكون إتباعاً"⁽⁶⁶⁾.

ب — فصول ضمن كتب متنوعة الموضوعات:

يورد ابن قتيبة "ت 276 هـ" أمثلة من المزوجة ومعظمها بواو العطف، وقد أدرجها تحت باب بعنوان "تأويل المستعمل من مزدوج الكلام"⁽⁶⁷⁾.

ومن خلال استقراء الأمثلة التي وردت ضمن هذا الباب وجدنا أن ابن قتيبة قد أورد ثلاثة أمثلة ممّا يعدّه مزوجة لم تكن فيها واو العطف وهي: "هو جائع نائع" "ما يعرف هراً من برّ" "ما يعرف

(65) الإلتباع والمزوجة، ابن فارس، ص 43.

(66) المصدر نفسه، ص 46.

(67) أدب الكاتب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط4، 1963م، ص 37.

قبيلاً من دبيرٍ" وهذا يدل على أن معنى المزاوجة لم يكن واضحاً في ذهن ابن قتيبة، ولم يصل إلى تحديد دقيق لمفهومها.

وكذلك تعرّض الزمخشري (ت 538 هـ) للمزاوجة حيث يقول: "ومن المجاز تزواج الكلامان وازدوجا وقالوا على سبيل المزاوجة والازدواج، وأزوج بينهما وزاوج"⁽⁶⁸⁾. وهنا نلاحظ أن الزمخشري بيّن في قوله هذا أن ظاهرة المزاوجة تقتضي وجود كلمتين تُقرن إحداهما بالأخرى .

المزاوجة في المعاجم العربيّة:

أ – المعاجم اللغوية:

يقول ابن منظور (ت 711 هـ) "والمزاوجة والازدواج بمعنى ازدوج الكلام، وتزواج أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن أو كان لإحدى القضيتين تعلّق بالأخرى، وزوّج الشيء بالشيء، وزوجه إليه: قرنه"⁽⁶⁹⁾. وكذلك عرض الزبيدي (ت 1205 هـ) للمزاوجة حيث قال: "ومن المجاز تزواج الكلامان وازدوجا، وقالوا على سبيل المزاوجة هو والازدواج بمعنى واحد، وازدوج الكلام وتزواج أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن، أو كان لإحدى القضيتين تعلّق بالأخرى"⁽⁷⁰⁾.

ب – المعاجم الاصطلاحية:

يقول علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت 816 هـ): "المزدوج: وهو أن يكون المتكلم بعد رعايته للأسجاع يجمع في أثناء القرائن بين لفظين متشابهين في الوزن والروي"⁽⁷¹⁾ كقوله تعالى "وجئتكم من سبأ نبأ يقين"⁽⁷²⁾. ويقول أبو البقاء الكفوي في الكليات: "رد الازدواج هو في البديع تناسب المتجاورين"⁽⁷³⁾، "وجئتكم من سبأ نبأ"⁽⁷⁴⁾.

هنا نلاحظ أيضاً عدم الاتفاق على بلورة مفهوم واضح للمزاوجة في ذهن القدماء من أصحاب المعاجم، فقد انصبّت أفكارهم على التناسب بين المتجاورين من جهة السجع أو الوزن دون توضيح هيئة هذا التجاور.

(68) أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر ط1، 1992، ص277.

(69) لسان العرب، ابن منظور، مادة زوج، 293/2.

(70) تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، مادة زوج، 55/2.

(71) كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، "د.ط"، 1990، ص334.

(72) سورة النمل – الآية 22.

(73) الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص117.

(74) سورة النمل – الآية 22.

2 — حديثاً:

وفيما يتعلق بالمحدثين نلاحظ كذلك انقسامهم بين فريقين في نظرتهم للمزاوجة، فريق رأى فيها غاية توكيدية، وفريق رأى فيها غاية شكلية أسلوبية عملها في الاشتقاق ضعيف أو لا عمل لها.

أما آراء الفريق الأول فقد جاءت في قول أحدهم: "القاعدة في الإتياع أن تتبع الكلمة الأولى كلمة أخرى مجانسة لها دون أن تربط بينهما واو العطف، فإذا جاءت الواو فهذه مزاججة"⁽⁷⁵⁾.

ويقول في موضع آخر: "والغرض من المزاججة كالغرض من الإتياع، وهو تأكيد معنى الكلمة الأولى بالمجانسة الصوتية، وفي الازدواج كما في الإتياع نجد المجانسة بالوزن والروي أكثر من النوع الثاني"⁽⁷⁶⁾.

وكذلك يقول باحث آخر: "ومن مظاهر الموسيقية في نثر اللغة تلك العبارات الكثيرة التي تشمل على ما يسمى بالازدواج أو المزاججة مثل حسن بسن، شيطان نيطان، عفريت نفريت، ونحو هذا من عبارات تنتهي بكلمات لا معنى لها ولا تستعمل مستقلة، وإنما جيء بها لتقوية البنية فيما يسبقها من كلمات بترديد الأصوات المتماثلة، وإن لم تفد معنى جديداً في غالب الأحيان"⁽⁷⁷⁾.

وأما آراء الفريق الثاني فقد جاءت في قول أحدهم: "ذكرنا أن المزاججة نحو من الإتياع وهي لا تكون إلا في القصّة ومن ثم يظهر أن عملها في الاشتقاق ضعيف أو لا عمل لها أبداً، وإنما قصدت دلافة في الأسلوب ومسيرة للاتساق اللفظي"⁽⁷⁸⁾.

ويقول باحث آخر: "والازدواج كثير الوقوع في اللغة العربية، وله شواهد عديدة تدلّ على ذوق العرب في هندسة الألفاظ والتعابير"⁽⁷⁹⁾.

ويعرّف محقق كتاب الإتياع والمزاوجة لابن فارس المزاججة بقوله: "إن المزاججة أسلوب من أساليب الكلام، يقوم على تجاور طرفين منه وعلى إيجاد تناسب موسيقي بينهما، ومصدر هذا التناسب جناس ناقص يربطهما، أو مشكلة في السجع، وارتباط بوزن ولا حاجة لربط القضية بالقصة، أو لغلبة وجود فعل في الطرفين"⁽⁸⁰⁾.

(75) نصوص في فقه اللغة العربية، د. السيد يعقوب بكر، 2 / 327.

(76) المرجع نفسه، 2/339.

(77) دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1972، ص 204.

(78) مقدمة لدرس لغة العرب، عبد الله العلايلي، ص 328، وكذلك تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي د. أسعد علي ص 154 — 155.

(79) النثر الفني في القرن الرابع، زكي المبارك، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر "د. ط" 1931م، 1 / 112.

(80) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، ص 30.

وكذلك يرى محقق كتاب الإتياع لأبي الطيب اللغوي أن "هناك نوعاً من الإتياع يكون فيه الأول تابعاً للثاني، ويتساهل بعضهم فيسميه إتياعاً وبعضهم يسميه ازدواجاً، وهو أولى منعاً للالتباس"⁽⁸¹⁾.

ويقول في موضع آخر: فالمزوجة تغيّر يصيب بنية الكلمة، أو أنه زيادة تضاف إليها حتى تناسب ما سبقها أو ما لحقها من الكلام، وأنها كالإتياع لكنها تخالفه بقصد التناغم الموسيقي⁽⁸²⁾.

وبعد هذا العرض لآراء القدماء والمحدثين في المزوجة، نعرض فيما يلي نماذج من المزوجة جاءت في الأمثال، لنصل من خلالها إلى تعريف واضح لها.

— "لقيته أول صوتك وبوك"⁽⁸³⁾.

— "هو بين حاذف وقاذف"⁽⁸⁴⁾.

— "يكي إليه شعباً وجوعاً"⁽⁸⁵⁾.

— "أخبرته بعجري وبجري"⁽⁸⁶⁾.

— "رماه بسكاته وصماته"⁽⁸⁷⁾.

فمن خلال النماذج السابقة يمكننا استخلاص تعريف للمزوجة يتلخص في أن:

المزوجة: هي تزواج⁽⁸⁸⁾ كلمتين أو ثلاث⁽⁸⁹⁾ في أسلوب كلامي مرتجل، يقوم على طرفين يغلب عليهما الإيقاع الواحد والتوافق في الوزن والروي، والغالب أن يفصل بين طرفيه بحرف عطف هو

(81) الإتياع لأبي الطيب، تحقيق عز الدين التتوخي، ص 10.

(82) المصدر نفسه، ص 10، بتصرف.

(83) مجمع الأمثال، الميداني 2/209، وفسره بقوله: أي أول شيء. باك الحمار الأتان يبوكة بوكاً إذا نزل عليها، وصاك الطيب يصيك به صيكة إذا لصق. صير الصيك صوكاً للازدواج والصوك يدل على السكون والبوك على الحركة كأنه قال: لقيته أول متحرك وساكن.

(84) المصدر نفسه، 2/462، وفسره بقوله: الحاذف بالعصا، والقاذف بالحصى. قالوا في الأرنب لأنها تحذف بالعصا وتقذف بالحجر. يضرب لمن هو بين شرين.

(85) المصدر نفسه، 2/505، وفسره بقوله: يضرب لمن عادته الشكاية ساءت حاله أو حسنت.

(86) المصدر نفسه، 1/331، وفسره بقوله: قيل: العجر: العروق المتعقدة، والبجر: أن تكون تلك العروق في البطن. يضرب لمن تخبره بجميع عيوبك ثقة به.

(87) جمهرة الأمثال، العسكري 1/404، وفسره بقوله: أي بأمر أسكته.

(88) نقصد هنا بكلمة تزواج أي تضام كلمتين مع بعضهما البعض ارتجالاً دون أدنى جهد مبذول.

(89) نريد هنا ما ذكرناه في الإتياع من وجود نوعين للمزوجة ثنائي مثل: رماه بسكاته وصماته، وثلاثي مثل: أخبرته خبوري وشقوري وفقوري.

الواو، وأن يكون طرفه الثاني كلمة لها معنى جاءت لتقوية الكلام، ولتأكيد معنى الكلمة الأولى ومزاوجتها فتبدوان كالزوج الواحد.

وبعد العرض السابق لآراء القدماء والمحدثين يمكننا ملاحظة ما يلي:

1 — عدم اتفاق القدماء على بلورة مفهوم واضح للإتباع وهذا ما أدى إلى تداخل في المصطلحات والتسميات.

2 — انقسام المحدثين بين ثلاث فرق في نظرتهم للإتباع: فريق نظر إليه من الناحية الشكلية الجمالية، وآخر نظر إليه من الناحية المعنوية، وثالث نظر إليه من الناحيتين معاً أي الجمالية والمعنوية.

3 — عدم وضوح مفهوم المزاوجة في ذهن القدماء والمحدثين واختلافهم في بلورة مفهوم واضح لها.

5 — انقسام المحدثين إلى فريقين في نظرتهم للمزاوجة فريق رأى فيها غاية توكيدية، وفريق رأى فيها غاية شكلية أسلوبية لا عمل لها.

6 — الأمر الذي دفعنا إلى إيراد تعريف للإتباع وآخر للمزاوجة يتلخص في أن الإتباع:

توارد كلمتين أو ثلاث في أسلوب كلامي مرتجل، يغلب عليه الإيقاع الواحد، والتوافق في الوزن والروي، يُسمّى طرفاه التابع والمتبوع، والغالب ألاّ يفصل بينهما بفصل، وقد يفصل بينهما بحرف من حروف المعاني أو الجر أو العطف، ويمكن أن يكون التابع كلمة لا معنى لها جاءت لغاية فنية جمالية هي تزيين الكلام لفظاً، وتوكيد المتبوع، وإمتاع السامع، وقد يكون التابع كلمة لها معنى بيّن جاء لتقوية معنى المتبوع وتوكيده.

والمزاوجة: هي تزواج كلمتين أو ثلاث في أسلوب كلامي مرتجل، يقوم على طرفين يغلب عليهما الإيقاع الواحد والتوافق في الوزن والروي، والغالب أن يفصل بين طرفيه بحرف عطف هو الواو، وأن يكون طرفه الثاني كلمة لها معنى جاءت لتقوية الكلام، ولتأكيد معنى الكلمة الأولى ومزاوجتها فتبدوان كالزوج الواحد.

ثانياً: البعد النفسي للإتباع والمزاوجة:

لقد تميّزت طائفةً من الأمثال العربيّة ببناء لغويّ خاص، يغلب عليه الإيقاعيّة والموسيقا، إنّهُ في ظاهر الأمر يبدو كأنّه نوعٌ من الجناس أو السجع الذي نلاحظه في الكلام، ولكنّه في الحقيقة بناءٌ فريد تجلّى في توالي كلمتين متشابهتين في معظم حروفهما، وقد اتفقتا في الحرف الأخير، ولهما وقعٌ خاص تتجاوب أصدائه في أذن السامع؛ إنّها ثنائية فريدة أبدعتها ذاكرة العرب، وألفتها نفوسهم وفي ذلك يقول أحد الباحثين:

"إنّ الكلمات التي تكون على بنية واحدة تجمعها رابطة الجرس والنغمة، وتميزها في الكلام المسموع من غيرها من الألفاظ، كما تجمعها أو تكاد رابطة التناظر الترييني في الكلام المكتوب وإن كانت الأولى أوضح وأقوى"⁽⁹⁰⁾.

إن العلاقة بين النطق والأذن علاقة وثيقة، فالكلام المنطوق يحمل بالضرورة وقعاً إيقاعياً خاصاً يترك أثره في الأذن أولاً قبل العقل، والأذن ميّالة بطبعها إلى سماع الأصوات التي تحمل شيئاً من الإيقاعية وتطرب لها⁽⁹¹⁾.

وإذا ما حاولنا الوقوف على أسرار هذه الثنائية التي تجلّت في الإتباع والمزاوجة يتبادر إلى ذهننا مباشرة أنّ المتكلم أراد أن يحدث لدى السامع متعةً فنية فهي ناحية جمالية لفظية، ولكننا إذا ما تعمقنا في التفكير في سرّ هذه الظاهرة نكتشف أموراً أخرى تتجاوز الناحية الشكلية الجمالية؛ إنّ كلمات تلك الأمثال تترايط بشكل عجيب وترتبط فيما بينها ترابطاً ملحوظاً، فإذا ما نطقنا بالكلمة الأولى من الثنائية نجد أنّ الكلمة الثانية حضرت في ذهننا تلقائياً وكأنهما كالزوج الواحد لا يفترقان، وكل واحد منهما يستدعي الآخر في ذهننا لحظة النطق به.⁽⁹²⁾

إننا نلاحظ وجود تجاذب قوي بين كلمتي الثنائية، وهذا التجاذب يحدث بصورة آلية ولا نكاد نشعر به.⁽⁹³⁾

والشيء الملحوظ أيضاً أنّ هذه الثنائية لا تشترك فقط في الحروف أو الشكل، بل نجد ارتباطاً دلاليّاً بينهما، وكأنّ اللفظة الثانية إنّما جاءت لتؤكد الأولى وتتزاوج معها في سياق لغوي فريد.

(90) فقه اللغة وخصائص العربيّة، دراسة تحليليّة مقارنة للكلمة العربيّة وعرض لمنهج العربيّة الأصيل في التجديد والتوليد، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت ط 5، 1972، ص 125.

(91) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 195 بتصرف.

(92) محاضرات في علم النفس اللغوي، د. حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع "د. ط و د. ت" ص 209، بتصرّف.

(93) المرجع نفسه، ص 215 بتصرّف.

"فمجرد النطق بتلك الكلمة المرتجلة يدعو إلى الذهن لفظاً آخر معروفاً يشترك معها في بعض حروفها أو صفات تلك الحروف، ويفد ذلك اللفظ المعروف ومعه دلالته فيوحي بشيء من دلالة ذلك اللفظ المرتجل" (94).

ويمكننا ملاحظة هذا التلازم والارتباط الوثيق بين كلمتي الإيتباع والمزاوجة في الأمثال التالية:
— "هلكوا فصاروا حنّاً بُنّاً" (95).

فهنا نلاحظ الارتباط بين الكلمتين "حنّاً بُنّاً" لفظياً ودلالياً، ونطق إحداهما يستدعي الأخرى في الذهن تلقائياً وهذا ما نسميه بالارتجال.
— "بلغ فلانٌ من العلم أطوريه وأقوريه" (96).

وهنا نلاحظ كذلك الارتباط الوثيق بين كلمتي المزاوجة واتفاقهما في الدلالة، ونلاحظ كذلك علاقة الارتجال التي تميزهما فنطق إحداهما يستدعي الأخرى مباشرة.
— "النفس عزوفٌ ألوفٌ" (97).

فهنا نلاحظ كذلك الارتباط بين الكلمتين، فمجرد النطق بإحداهما تحضر الكلمة الأخرى في أذهاننا تلقائياً ودون مشقة، فهي أشبه ما تكون "بعربات مقطورة لا تسير إلا إذا سحبتها القاطرة، فهي هياكل لواحق، تستمد حركتها من السوابق التي تشق لها السبل إلى أذهان السامعين" (98).

إنّ الإيقاعية التي نلاحظها في هذه الثنائية تأتي بمنزلة توقيعات نفسية تنفذ إلى صميم السامع لتَهزّ أعماقه في هدوء ورفق، وهذه التوقيعات النفسية التي تخلقها الثنائية تعكس راحة نفسية عند المتكلم أيضاً تدفعه للوقوف عندها (99). وفي ذلك يقول أحدهم: "الذي يقوم به العمال من غناء جماعي أثناء أداء العمل لا يقصدون به التطريب، ولكنهم يقصدون إيجاد إيقاع معين لحركة العمل لولاه لأدّى التعب إلى التباطؤ في العمل، ولولا ما يسببه هذا الغناء من صبغ العمل بصبغة التسلية لكان الإحساس بمشقة العمل أكبر" (100).

(94) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 78.

(95) مجمع الأمثال، الميداني 478/2. وفسره بقوله: الحثّ: الذي قد ببس، والبت: الذي قد ذهب.

(96) الإيتباع والمزاوجة لابن فارس 75، وفسره بقوله: أي منتهاه، أطوريه وأقوريه: الدواهي.

(97) المصدر نفسه، 392/2، وفسره بقوله: يقال عزفت نفسي عن الشيء تعزف عزوفاً أي زهدت فيه وانصرف عنه ومعنى المثل: أنّ النفس تعتاد ما عوّدت، إن زهدتها في شيء زهدت وإن رغبتها رغبت.

(98) الإيتباع، د. غازي طليمات، ص 37، مجلة آفاق الثقافة والتراث، س 5، ع 18، آب 1997، ربيع الثاني 1418هـ.

(99) التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل، دار العودة ودار الثقافة، "د. ط و د. ت" ص 62، بتصرف.

(100) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، 1973، ص 362.

إنّ هذا الرأي يؤكد أهمية هذه الموسيقى والإيقاعية في لغة الأمثال، ويعكس دورها الكبير في إمتاع السامع، وتحقيق الراحة النفسية له عند نطق المثل وسماعه.

وتبدو هذه الإيقاعية واضحة في الأمثال التالية:

— "ما عنده شوبٌ ولا روبٌ"⁽¹⁰¹⁾.

— "ما عنده خيرٌ ولا ميرٌ"⁽¹⁰²⁾.

— "ما عنده طائل ولا نائل"⁽¹⁰³⁾.

— "ما له حانة ولا آنة"⁽¹⁰⁴⁾.

إن نظرة تأملية في هذه الأمثال تجلو لنا بوضوح الجرس والنغم الخاص الذي تتميز به هذه الأمثال، ونلاحظ كذلك الراحة النفسية التي نجدها عند نطق أحدها.

أما سبب شيوع هذا الإيقاع والجرس في هذه الأمثال وغيرها، فقد ذهب الباحثون في تفسيره مذاهب شتى، يقول أحدهم: إن قائل هذا النوع أراد أن يملأ الدنيا صياحاً وصخباً وجلبةً، وأن يُسمع بحال الشخص الموصوف فلم يكتفِ بنفي كل شيء عنده، بل زاد هذا الجرس الذي أحدثه الازدواج، وهو الذي كان بمنزلة الصياح والصخب الذي يصحب النزاع والشجار⁽¹⁰⁵⁾.

ويقول أيضاً نقلاً عن آخر: "ولا يخفى ما في الأمثال التعبيرية التي تهدف إلى هذه المبالغة من ازدواج بين الكلمتين (المسند إليه وما عطف عليه المفيدتين الكثير والقليل أو الكبير والصغير) يحقق جرساً عده بعض الباحثين من المظاهر اللغوية البدائية التي حفظتها الأمثال، ولا إنكار لأنها نموذج للغة العربية القديمة الدالة على أولية حياة الشعوب التي تشبه إلى حد ما حياة الطفل وإذا نظرنا في

(101) مجمع الأمثال، الميداني، 321/2 وفسره بقوله: قال ابن الأعرابي: الشوب: العسل المشوب، والروب: اللبن الرائب.

(102) المصدر نفسه، 312/2 وفسره بقوله: الخير كل ما رزقه الناس من متاع الدنيا، والمير ما جلب من الميرة وهو ما يتقوت فينزود، أي ليس عنده خير عاجل ولا يرجى منه أن يأتي بخير.

(103) المصدر نفسه، 312/2 وفسره بقوله: الطائل: من الطول وهو الفضل، والنائل من النوال وهو العطية، والمعنى ما عنده فضل ولا جود.

(104) المصدر نفسه، 292/2 وفسره: أي ناقة ولا شاة.

(105) الأمثال العربية القديمة، دراسة نحوية، محمد جمال صقر، جامعة السلطان قابوس، ط1، 2000م، ص 57.

حياة الطفل، وجدنا أنه مولع بتكرار اللفظ أو ترديد الألفاظ المتشابهة الجرس في داخل العبارة، يرددها مرة بعد مرة، ويساجل أترابه في النطق بها صحيحة دون أن يعثر اللسان أو يختلط القول⁽¹⁰⁶⁾.

ويقول باحث آخر: "وفي رأيي أن ظاهرة الموسيقى في اللغة العربية تُعزى في أغلب عناصرها إلى تلك الأمية حين كان الأدب أدب الأذن لا أدب العين، وحين اعتمد القوم على مسامعهم في الحكم على النص اللغوي، فاكتمت تلك الآذان المران، والتميز بين الفروق الصوتية الدقيقة، وأصبحت مرهفة تستريح إلى الكلام الحسن وقعه أو إيقاعه، وتأبى آخر لنبوه، أو لأنه كما يعبر أهل الموسيقى نشاز⁽¹⁰⁷⁾".

ويقول في موضع آخر: "ويعجب القارئ عادةً بمعاني الكلام أكثر من إعجابه بوقعه في الأسماع، في حين أن الأمي المرهف الأذن يستجيب أولاً لرنين اللفظ ونغمه، وقد ينفعل له ويتأثر به تأثراً قوياً وإن خلا من جمال في مضمونه ومعناه⁽¹⁰⁸⁾".

ونحن نرى أن سبب شيوع هذا الجرس والإيقاع في لغة الأمثال المدروسة، يمكن أن يعود إلى الحداء⁽¹⁰⁹⁾ الذي ألفته ذاكرة العربي في الفيافي الواسعة بصحبة ناقته أو قطعانه، والحداء أقدم غناء مفرد موقع على نغمة ثابتة، وهي حركة الجمل في حالتها الإسراع والإبطاء. وأما عن الدلالة التي يرمي إليها هذا الجرس المنفرد في لغة الأمثال، فإننا نرى فيه إفحاماً للمتلقى، ونفحاً أنه بوقع يجعله يقف عاجزاً أمامه، منبهراً بسحره، مقتنعاً بقيمة المثل التي توفر عليه التجربة والاستشارة.

وفي ذلك يقول أحدهم:

"للمثل في المجتمع التقليدي أهمية ملحوظة فهو كالنبي قوله لا يُرد، وعلى هذا فإن إيراد المثل في معرض الحديث يكون حجة أو وصولاً إلى الحقيقة، ذلك أنه خطط الطريق للتفكير، ويفكر عوضاً عن الناس، وكأنه يقتل بذلك روح المبادرة وروح الانعتاق⁽¹¹⁰⁾" ويقول آخر: "تعتبر الأمثال والحكم براهين قاطعة يستحضرها المتكلم أو الكاتب للدفاع عن رأي أو عقيدة، بها يبكتان الخصم في الحوار

(106) الأمثال العربية القديمة، محمد جمال صقر، ص 57، نقلاً عن عبد المجيد عابدين في كتابه الأمثال في النثر العربي القديم.

(107) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 195.

(108) المرجع نفسه، ص 197.

(109) وردت فكرة الحداء عند عباس محمود العقاد في كتابه اللغة الشاعرة، فقد أرجع شيوع الوزن والقافية في الشعر العربي واختصاصه بهما إلى هذا الغناء المفرد، لمزيد من التوضيح ينظر اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، د.ط، ود.ت، ص 47.

(110) التحليل النفسي للذات العربية، أنماطها السلوكية والأسطورية د.علي زيعور، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط3، 1982م، ص 90.

والجدل، ويطعنان الغريم في المناظرة فيضرب المثل تستنفر الطاقات الاستدلالية الكامنة في التعبير لأنه شاهد ودليل فضلاً على أنه موصوف بالقدم – والقديم له دوماً قداسته ، فإذا قام الحوار على الحجاج وتخللته الأمثال والحكم تحول إلى محلّ صراع تتشاجر فيه البراهين، وتتجسد فيه قوة الصولة بالقولة المحكمة والدليل المفهم⁽¹¹¹⁾. إننا نرتاح عند سماع هذا التوكيد النغمي، وكأنّ المتكلّم يحاول أن يعكس واقع الحال الذي يعيشه في ذهن السامع، ويحاول أيضاً أن يفرغ انفعالاته عبر هذا النغم الذي يتخذ في معظم الأحيان نمط التشديد، إنّه يشبه الطفل المنفعل الذي يضرب الأرض بقدميه. إنّ العنف كثيراً ما يكون ردّ فعلٍ انفجاريّاً على عدم الاعتراف بأهمية الأنا الذي يمارسه السامع على المتكلّم. ولهذا كلّ جاءت الإيقاعات العنيفة في كلمتي الإتياع والمزاوجة لأنهما نهاية المثل في الغالب؛ فكانت تعبيراً واسع الأبعاد عن التوتر الذي يعاني منه المتكلّم⁽¹¹²⁾.

والشيء الملحوظ في الأمثال ذات الإيقاعات العنيفة "التشديد" هو تراكم الأصوات الشديدة في المثل حتى يحقّق قفزة صوتيّة ثقيلة الوقع تتجلى في الكلمات المزوجة⁽¹¹³⁾.

وهذا ما نلاحظه في قولهم:

— "ويلٌ للشجيّ من الخليّ"⁽¹¹⁴⁾.

— "ما يلقي الشجيّ من الخليّ"⁽¹¹⁵⁾.

فهنا نلاحظ كيف جاء المثل تعبيراً عن التوتر والانزعاج الذي شعر به قائل المثل من جرّاء ما شاهده، ونلاحظ كيف جاءت كلمتا الإتياع بإيقاع عنيف تجلّى في التشديد، وبالصوت الشديد "الجيم"⁽¹¹⁶⁾.

(111) وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان، دار سحر للنشر، ط1، 2004 م، ص 119.

(112) مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، ط3، 1983، ص189، بتصرف.

(113) المرجع نفسه، ص 266، بتصرف.

(114) مجمع الأمثال، الميداني، 553/1. وفسّر الميداني معناه في موضع حديثه عن المثل "صغراهنّ شراهنّ"

(115) المصدر نفسه، 296/2. وفسّره بقوله: أول من قاله امرأة كانت في زمن لقمان، لها زوج يقال له الشجي، وخليل يقال له الخلي، فنزل لقمان بهم، فرأى هذه المرأة ذات يوم انتبذت من بيوت الحي، فارتاب لقمان بأمرها فتبعها فرأى رجلاً عرض لها، ومضيا جميعاً وقضيا حاجتهما. ثمّ إنّ المرأة قالت للرجل: إني أتماوت فإذا أسندوني في رجلي فأنتني ليلاً، ثم اذهب إلى مكان لا يعرفنا أهله. فلمّا سمع لقمان بن عاد ذلك قال: ويل للشجي من الخلي فأرسلها مثلاً.

(116) المدخل إلى فقه اللغة العربيّة، د. أحمد محمد قدور، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب، "د.ط"، 1998 ص122.

وكذلك قولهم: "التقدّم قبل التندّم"⁽¹¹⁷⁾.

وهنا نلاحظ كذلك الإيقاع العنيف في هذا المثل من خلال التشديد وتراكم الأصوات الشديدة مثل "القاف والتاء والdal"⁽¹¹⁸⁾.

وكذلك قولهم: "ردّ الطرف من الظرف"⁽¹¹⁹⁾. وهنا نلاحظ كذلك إيقاعاً متواتراً تجلّى في التشديد وتراكم الأصوات الشديدة مثل "الطاء، الدال".

إنّ الأصوات الشديدة كذلك تكرّرت في معظم الأمثال المدروسة، والتكرار هو تأكيد لذات القائل بالإيقاعات الشديدة إلى جانب المعنى، فالمتكلّم بهذا الإيقاع العنيف يلفت الانتباه إلى موقفه، وكلّما كانت الإيقاعات عنيفة عكس ذلك عمق الانفعال والتوتر في نفس المتكلّم. إنّهُ يتخيّر اللفظة الأقسى للحالة الأقسى مستخدماً متواليّة موسيقيّة يتساوى فيها الطرفان بعدد الأحرف والوزن، ويتشارك بالحرّف الأخير كما هو ملحوظ في الأمثال السابقة "الشجيّ الخليّ، التقدّم التندّم، الطرف الظرف". وهذه المتواليّة الموسيقية تفرض نفسها وكأنّ القائل يوجه ضربة واحدة إلى خصمه أو سامعه، وهذا ما يؤيد تفسيرنا السابق لشبوع هذا الجرس في لغة الأمثال المدروسة، وفي ذلك يقول أحد الباحثين: "ألا تتقارب الكلمات ذات القافية بتمائل جزئي للأصوات وبهذا الصدى الذي يولّد مساً أو لقاءً بين المعاني"⁽¹²⁰⁾.

وكذلك نلاحظ شبوع لون من التضاد في لغة بعض الأمثال المدروسة وهذا التضاد له أثرٌ نفسيّ بيّن على السامع والمتكلّم معاً، إنّ هذا التضاد يثير في ذهن السامع حركة جدل في الدماغ لأنّ قوانين الجدل هي قوانين العقل في الوقت نفسه، والشيء الملحوظ وقوع التعارض في كلمتي الإلتباع والمزاوجة وغالباً ما يكون في نهاية المثل ممّا يعكس صراعاً داخلياً يدور في ذهن القائل بلّغ ذروته في هذا التضاد الذي يحمله المثل ويكون هذا التعارض بمنزلة محركٍ لخيال السامع بلغ ذروته في هذا التناقض⁽¹²¹⁾. وهذا ما نلاحظه في قولهم:

— "غِيضٌ من فيضٍ"⁽¹²²⁾.

(117) مجمع الأمثال، الميداني 186/1، وفسّره بقوله: أي تقدّم إلى ما في ضميرك قبل تتدّمك.

(118) المدخل إلى فقه اللغة العربيّة، د. أحمد محمد قدّور، ص122.

(119) مجمع الأمثال، الميداني 447/1، لم يذكر حول معناه شيء، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة طرف 213/9 الطرّف: طرف العين. والطرف: إطباق الجفن على الجفن. الطرّف: مادة ظرف 228/9 الظرف: البراعة ونكاء القلب وقيل حسن الهيئة والحدق بالشئ.

(120) التحليل النفسي والأدب، جان بيلمان نويل، ترجمة حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، د.ط 1997، ص30.

(121) مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، ص338، بتصرّف.

(122) مجمع الأمثال، الميداني، 12/2، وفسّره بقوله: أي قليل من كثير، الغيظ: النقصان، والفيض: الزيادة.

— "ماله هارب ولا قارب" (123).

— "من لي بالسائح بعد البارح" (124).

— "النفس عزوف ألوف" (125).

فهنا نلاحظ التضاد في هذه الأمثال وقد جاء بمنزلة محرك لخيال السامع، فهو يعكس صراعاً داخلياً يدور في ذهن المتكلم بلغ ذروته في هذا التنافر.

وكذلك يمكننا أن نلمح في هذا التضاد نوعاً من التهكم والسخرية التي يوجهها المتكلم إلى المخاطب، ولاسيما أنه يجمع هذين الضدين في ثنائية متوالية يختتم بها المثل؛ لتكون بمنزلة السيف المسلط على الرقاب الذي لا خلاص منه.

أما عن البعد النفسي الذي يمكن ملاحظته وراء ضرب الأمثال في حديث الناس فيمكننا ملاحظته بعد تأمل هذه المجموعة من الأمثال المدروسة:

— "هو الشعار دون الدثار" (126).

— "الهوى من النوى" (127).

— "شمّر وانتزر والبس جلد النمر" (128).

— "كالبائع الكبة بالهبة" (129).

— "أهون من صوفة في بوهة" (130).

(123) مجمع الأمثال، الميداني، 291/2، وفسره بقوله: القارب: طالب الماء ليلاً، ولا يقال لطالب الماء نهراً ومعنى المثل: ماله صادر عن الماء ولا وارد أي شيء.

(124) المصدر نفسه، 332/2.

(125) المصدر نفسه، 392/2.

(126) المصدر نفسه، 2 / 471 وفسره: الشعار من الثياب ما يلي الجسد، والدثار: ما يلبس فوقه يضرب للمختص بك العالم بدخلة أمره.

(127) المصدر نفسه، 2/475 وفسره بقوله: يعني أن البعد يورث الحب، ومنه يتولد، فإن الإنسان إذا كان يرى كل يوم استحققر وملّ، ولذلك قيل اغترب تتجدد.

(128) المصدر نفسه، 1 / 506 وفسره: يضرب لمن يؤمر بالجد والاجتهاد.

(129) المستقصى، الزمخشري، 2 / 204 وفسره: الكبة: الإبل، والهبة: الريح، يضرب للمغبون في تجارته.

(130) جمهرة الأمثال، العسكري، 2 / 290 وفسره: البوهة: ما طيرته الريح من دقيق التراب، والبوهة أيضاً الرجل الذي لا خير فيه.

إن نظرة تأملية في هذه الأمثال تقودنا إلى استنتاج فكرة جوهرية تميزت بها لغة الأمثال المدروسة بين أيدينا جميعها ألا وهي التوازن في المثل ما بين طرفيه التابع والمتبوع، نجد ذلك في الكلمات (الشعار، الدثار)، (الهوى، النوى)، (شمر، انتر)، (الكبة، الهبة)، (صوفة، بوهة) وهذا التوازن هو معادل موضوعي للتوازن الذي نلمحه بين القائل ونفسه وواقعه من جهة، والقائل والسامع من جهة أخرى، فالأمثال هي "تبرير لحالات متعكسة تدعو لتخفيف المصيبة وتربط الظاهرة الفردية بالقانون النفسي الاجتماعي العام، وفي كونها تجسيداً لحكمة وتجربة لا تخلص من القيمة الأخلاقية"⁽¹³¹⁾.

وكذلك "الأمثال موسوعة تذخر في مستوى قصصها بالتجارب الإنسانية، وبإمكان المتمثل أن يعود في كل حين إليها ويتخذ منها مرجعاً يمكنه من معرفة عاقبة كل تجربة، ومن التكهّن الصائب بمآل تجربته فيلم بما تنتهي إليه مجريات الحياة انطلاقاً من جريان الكلام في الأمثال"⁽¹³²⁾.

فالمثل يخلق عند القائل نوعاً من التوازن مع نفسه من جهة ومع واقعه من جهة أخرى، فهو بنطق المثل يقف بين طرفين ماضٍ مستمر وحاضر مستمر والقائل يتوسط بين الطرفين، ويحقق القائل كذلك التوازن بينه وبين السامع من جهة أخرى، فهو يستدعي الماضي المستمر إلى الحاضر المستمر بنطقه للمثل، ويدفع به إلى مستقبل ينطوي على اليقين، فيصبح الماضي ذا دلالة، ولا يضيع الحاضر، ويدخل المستقبل في دائرة اليقين المجهول للقائل⁽¹³³⁾.

وفيما يلي عرضٌ لأهمّ النتائج التي خلصنا إليها:

- 1 — هناك ترابط وثيق بين كلمتي الإتياع والمزاوجة، فإذا ما نطقنا بالكلمة الأولى نجد الكلمة الثانية تحضر في أذهاننا تلقائياً، فكل واحدة منهما تستدعي الأخرى في الذهن لحظة النطق بها وهذا ما ندعوه بالارتجال.
- 2 — هناك ترابط دلالي بين كلمتي الإتياع والمزاوجة، فالكلمة الثانية جاءت لتؤكد الأولى وتتنازع معها في سياق لغوي فريد.
- 3 — الإيقاعات العنيفة في الأمثال تأتي تعبيراً عن التوتر الذي يعاني منه المتكلم وهذا ما وجدناه في شيوخ التشديد والأصوات الشديدة .

(131) التحليل النفسي للذات العربية، د.علي زيعور، ص 90.

(132) وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، ص 182.

(133) الكلمات والأشياء، التحليل البنيوي لقصيدة الأطلال في الشعر الجاهلي، دراسة نقدية، د.حسن البنا عز الدين،

دار المناهل، ط1، 1989م، ص 122 بتصرف.

- 4 — كلما كانت الإيقاعات عنيفة عكست عمق الانفعال والتوتر في نفس المتكلم، فهو يختار اللفظة الأقسى للحالة الأقسى.
- 5 — شيوع التضاد في لغة بعض الأمثال يعكس صراعاً داخلياً يدور في ذهن القائل بلغ ذروته في هذا التضاد، ومن جهة أخرى يكون محركاً للخيال عند السامع. وكذلك يمكننا تفسيره بميل القائل إلى التهكم والسخرية من المخاطب، لتكون الثنائية الضدية كالسيف المسلط على الرقاب الذي لا خلاص منه.
- 6 — تميّزت لغة الأمثال المدروسة بالتوازن ما بين طرفيها التابع والمتبوع، وهذا التوازن معادل موضوعي للتوازن الذي نلمحه بين القائل ونفسه وواقعه من جهة، والقائل والسامع من جهة أخرى.
- 7 — سبب شيوع الجرس والإيقاع في لغة الأمثال المدروسة يمكن رده إلى الحداء الذي ألفته ذاكرة العربي في الفيافي الواسعة بصحبة ناقته.
- 8 — الدلالة التي يرمي إليها هذا الجرس المنفرد هي إفحام المتلقي ونفح أذنه بوقع يجعله يقف عاجزاً أمامه منبهرًا بسحره، مقتنعاً بقيمة المثل التي توفرّ عليه التجربة والاستشارة.

ثالثاً: اللغة المنطوقة والإتباع والمزاوجة:

الكلام نوعٌ خاصٌّ من السلوك يخرج به الإنسان من حالة السكون إلى حالة الحركة، إننا لا نكاد نسمع شخصاً يتكلّم حتى نستجيب له بالردّ عليه، أي إنّ الكلمات التي تفوّهنا بها نقوم بدور التحريض الصوتي، وهذا التحريض متواصل ومتبادل بين طرفين هما المتكلم والمخاطب⁽¹³⁴⁾.

"ومن المعروف ارتباط عملية التلقي الشفهية بالنطق والسمع، وأيضاً ارتباط الأصوات المستخدمة في الإلقاء والجهريّة بما ينطق اللسان من حروف وكلمات وعبارات، وما تستقبله الأذن من هذا وذاك"⁽¹³⁵⁾.

وإذا تناولنا اللغة المنطوقة وعلاقتها بظاهرتيّ الإتباع والمزاوجة، فإننا نلاحظ أثراً بيّناً تتركه اللغة المنطوقة في هذه الأمثال. إنّ الأمثال التي نتحدّث عنها هي أمثال انفردت بصيغة لفظية فريدة، وهي وقوع ظاهرة الإتباع أو المزاوجة فيها، وكما بيّنا سابقاً تتميز هذه الثنائية بوقع نغمي خاص يحمل جانباً دلاليّاً، ويلعب دوراً تأكيدياً في المثل.

"إن الاستجابة للتحريض الكلامي قد لا تكون دائماً بالردّ بل تكون أحياناً بتقليد الغير ومحاكاته في الصوت والنبرة كما أنّ التحريض قد يكون ذاتياً كالطفل الذي يردّد نفس الكلمة عدة مرات، إذ تترك الكلمة أثراً صوتياً، فيقوم ذلك الأثر الصوتي بدور المنبه للكلمة اللاحقة، وتترك هذه الكلمة بدورها رنيناً في الأذن، فيستثير كلمة لاحقة وهكذا"⁽¹³⁶⁾.

"وسلوكنّا اللفظي يتعلّق بوجود الطرف الثاني في التبليغ، وتتم عملية التبليغ هذه عن طريق الربط بين المنبه والاستجابة، والاستجابة لا تحصل إلّا إذا توفّرت أحد الشروط التالية: شعور المتكلم بدافع قوي.. ووجود منبهات خارجية في الوسط المحيط ورد المخاطب بكلمات تتحوّل إلى منبهات ودوافع للكلام"⁽¹³⁷⁾.

كما أنّ "المقام الذي يتم فيه التواصل لا يؤثر فقط، لأن الغرض منه هو التسلية الخارجية، بل لأنه يسمح للمتكلّم بتطبيق إستراتيجية مخطّطه اللغوي تطبيقاً مرناً يستند إلى مراقبة ردود فعل المستمع

(134) محاضرات في علم النفس اللغوي، د.حنفي بن عيسى، ص 175، بتصرّف.

(135) الأمثال العربيّة، دراسة نقدية، مصطفى أبو العلا، دار الهدى للنشر والتوزيع، "د.ط. و.د.ت"، ص 28.

(136) محاضرات في علم النفس اللغوي، د. حنفي بن عيسى، ص 176.

(137) المرجع نفسه، ص 189.

ومراجعتها، لأن ردود الفعل هذه تقتضي تغييراً في بناء المعلومات، وفي طريقة بناء الجمل، أو تقتضي إضافات مهمة⁽¹³⁸⁾.

واللغة المنطوقة سبقت اللغة المكتوبة منذ القدم حيث: "تري اللسانيات الحديثة على اختلاف مدارسها أنّ اللغة المنطوقة تسبق اللغة المكتوبة وتسوّغ حكمها هذا بأمرين اثنين هما: أنّ اللغة المحكية أقدم وأوسع انتشاراً من الكتابة، وأنّ عودة أنظمة الكتابة كلها إلى وحدات وعناصر من اللغة المنطوقة أمر ثابت"⁽¹³⁹⁾.

ونصل إلى فكرة جوهرية وهي الدور الكبير الذي لعبته ثنائية الإلتباع والمزاوجة في حفظ المثل وبقائه في مستودع الذاكرة حتى تدوينه، إنّ هذه الثنائية بما تمتعت به من موسيقية وجرس وتجانس وسجع بين الحروف وتكرارها أسهمت إسهاماً كبيراً في حفظ المثل وذيوعه وانتشاره على ألسنة العوام، إنّ توازن موسيقي فريد، حفظ لنا التراث من الضياع، "إنّ الكلام المنتظم في جمل مفيدة أسهل على الحفظ، ومما يسهّل الحفظ على الطالب اندراج عناصر المقطوعة المطلوب استظهارها في إطار الصيغ اللفظية المعتادة، ومعنى ذلك أنّ الطالب يحاول دائماً أن يربط في ذاكرته شيئاً غير معروف بشيء آخر معروف، وأن يعقد بينهما صلة من صلات الترابط... وأكبر دليل على ذلك أنّ حفظة القرآن الكريم ممّن لا يعرفون العربيّة، تراهم في حالة نسيان بعض الكلمات، يلجؤون إلى تكرار الكلمات السابقة بنغمة خاصة على أمل أن يجلب النطق بها الكلمات المنسيّة"⁽¹⁴⁰⁾.

"والأطفال لا يتعلمون معاني الكلمات، ومن ثم لا يتعلمون القواعد من أجل ربط هذه الكلمات مع بعضها بعضاً. بل على العكس من ذلك إنهم يتعلمون سلاسل معينة من الكلمات المنطوقة مع النغمات المعينة وبعض الصفات الخارجة عن اللغة والتي يعرفون بأنها مناسبة تماماً للنطق في أماكن سياقات اجتماعية معينة"⁽¹⁴¹⁾.

و"الإيقاع عنصر أساسي للأدب الشفاهي... فمن خصائص المثل الشفاهي أو التفكير الشفاهي بناؤه على موسيقى وإيقاع يحفز على الحفظ والتذكر والاستدعاء"⁽¹⁴²⁾.

(138) نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي سانديرس، ترجمة: د. خالد محمود جمعة، ط1، 2003، ص 88.

(139) المرجع نفسه، ص 73.

(140) محاضرات في علم النفس اللغوي، د. حنفي بن عيسى، ص 233.

(141) اللسانيات وموقفها من اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، د. مازن الوعر، ص 66، مجلة المعرفة السورية تصدرها

وزارة الثقافة والإرشاد القومي، س 25، ع 292، حزيران، 1986.

(142) الأمثال العربيّة، د. مصطفى أبو العلا، ص 40.

"والإيقاع في المثل قوة جذب مغناطيسية تهض بدور أساسي في تثبيته بالذهن، ويفضي به إلى استعمال دائم وتداول مستمر لأنّ الأذهان في التخاطب الشفوي تنتبه أكثر على الكلام الطارق للسمع بالتنعيم وتقبل إقبلاً غريزياً على تلقّف الوجيز المسجوع من الجمل" (143).

ويؤكد الفكرة ذاتها باحث آخر أيضاً فيقول: "و يميل التفكير المطول ذو الأساس الشفاهي، عندما لا يكون في شكل شعري، إلى أن يكون إيقاعياً بشكل ملحوظ، لأن الإيقاع حتى من الناحية الفيسيولوجية يساعد على التذكر" (144).

ويقول في موضع آخر مبيناً بما لا يترك مجالاً للشك دور الإيقاع في الثنائية والتجانس والسجع بين الحروف وتكرارها في حفظ المثل واستدعائه بسهولة في الذاكرة "في الثقافة الشفاهية الأولية عليك لكي تحل مشكلة الاحتفاظ بالتفكير المعبر عنه لفظياً واستعادته على نحو فعال أن تقوم بعملية التفكير نفسها داخل أنماط حافزة للتذكر صيغت بصورة قابلة للتكرار الشفاهي، وينبغي أن يأتي تفكيرك إلى الوجود إما في أنماط ثقيلة الإيقاع متوازنة، أو في جمل متكررة أو متعارضة أو في كلمات متجانسة الحروف الأولى أو مسجوعة أو في عبارات وصفية أو أخرى قائمة على الصيغة أو في الأمثال التي يسمعها المرء باستمرار وترد على الذهن بسهولة وقد صيغت هي نفسها على نحو قابل للحفظ والتذكر السهل" (145).

ويقول آخر: "الوزن والإيقاع على ما يقرره علم النفس إنما هما من أهم العوامل التي تسهل على الذاكرة حفظ القطع الشعرية والنثر المسجع" (146).

"إنّ الإيقاع في بعض الأمثال نظام إضافي يزيد من التآليف بين مكونات التعبير، وتمتدّين اللحمة بينها، ويكسب جملة المثل حصانة تحميها من التلاشي والضياع فيبقى الذهن على فطنته بها، فهو حينئذٍ ليس قاعدة ثابتة ولكنه عنصر مضاف يكسب هذا الصنف طاقة تأثيرية مضاعفة، فيجعل جملة المثل سهلة في النطق، مستساغة في السمع، فإذا كانت كذلك رسخت في الذهن واستحضرها المستعمل بسهولة، فتتال من الخطوة في الاستعمال ما يجعلها تتميز عن غيرها" (147).

(143) وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، ص 74.

(144) الشفاهية والكتابية، والترج أونج، ترجمة حسن البنا عز الدين، ص 94، مراجعة د. محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ع 182، شباط، 1994 م، شعبان 1414 هـ.

(145) المرجع نفسه، ص 94.

(146) الحرف العربي والشخصية العربية، حول نشأتها وتكاملها، حسن عباس، دار أسامة، ط1، 1992 م، ص 228.

(147) وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، ص 75.

ويمكننا ملاحظة ما تقدم ذكره جلياً في المجموعة التالية من الأمثال: "النَّفْلَةُ مُثْلَةٌ"⁽¹⁴⁸⁾.

هنا نلاحظ التجانس بين كلمتي المثل في الحروف، فقد تكررت حروف القاف واللام والتاء في الكلمتين، ونلاحظ كذلك السجع والتوافق في حروف الروي بينهما، واتفاقهما في جرس وإيقاع واحد، وهذا كله ساعد في حفظ المثل في مستودع الذاكرة عبر الزمان، واستدعائه بسهولة لحظة الاستشهاد به.

وكذلك قولهم: "هَيْنَ لَيْنٍ وَأُودِتِ الْعَيْنُ"⁽¹⁴⁹⁾.

هنا كذلك نلاحظ التجانس بين كلمتي الإتياع في الحروف، فقد اتفقتا في حرفي الياء والنون، فضلاً عن توافقهما في حرف الروي، وخضوعهما لجرس وإيقاع واحد، وهو ما ساعد في حفظ المثل واستدعائه في الذاكرة بسهولة لحظة النطق به.

وكذلك قولهم: "تَشْتَهِي وَتَشْتَكِي"⁽¹⁵⁰⁾.

هنا أيضاً نلاحظ التوافق بين كلمتي المزوجة في الحروف، حيث اتفقتا في حروف التاء والشين والياء، وتوافقتا في حرف الروي الياء، وغلب عليهما إيقاع وجرس واحد.

وهذا ما نلاحظه في جميع الأمثال المدروسة (أمثال الإتياع والمزوجة) فقد انفردت هذه الأمثال بخصائص جعلتها تتحدى الزمن وتنتصر عليه، وتخلد في ذاكرتنا لتبقى حية على الألسن، تنطق بها بسهولة ويسر، دون أدنى جهد مبذول "إن من أهم طرائق التربية عندنا الحفظ غيباً، ونحن نحب تكرار المأثورات وترداد الطنطنات، والتلذذ بالطرائف والنوادر العربية القديمة، واحترام النص المحفوظ والموروث والمعنى، إننا نعيش في عالم الكلام والصوت، ونتلذذ بجرس اللفظة الحلوة حرباً أو مدحاً، ونقيم فنوناً على الحرف، ونحب النطق أكثر من الاستماع"⁽¹⁵¹⁾.

(148) مجمع الأمثال، الميداني 414/2، لم يذكر حول معناه شيء وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا، مادة نقل 674/11 النفلة: الانتقال وكذلك النميمة تنقلها، ومثله مادة مثل 11 / 610 المثلة: العقوبة.

(149) أمثال العرب، المفضل بن محمد الضبي، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، ط1، 1981 م، ص 172، وفسره بقوله: قالته امرأة عندما دهنت طرف نسعتها واسودت، وعندما سألتها النساء عن الدهن قالت المثل وعرفت ماذا أردن بها.

(150) مجمع الأمثال، الميداني، 196/1 وفسره: أي تحب أن تأخذ، وتكره أن يؤخذ منك.

(151) التحليل النفسي للذات العربية، د.علي زيعور، ص 109.

خصائص اللغة المنطوقة وأثرها في الأمثال المدروسة:

من خلال دراستنا للأمثال التي جُمعت على أساس شيوع ظاهرة الإتياع والمزاوجة فيها، ومعلوم أن الأمثال لغة منطوقة، خرجنا بجملتها من الخصائص يمكننا إدراجها على النحو التالي:

1 – الديمومة:

فالأمثال تتناقلها الألسن عبر العصور والدهور، وتخلّدها الذاكرة وتستحضرها في كل مقام: "إنّ للأمثال قوة على البقاء لأنّها عصارة تجارب إنسانية، فهي تزخر بالحياة التي عمرت بها على مرّ العصور"⁽¹⁵²⁾.

و"لأن المثل العربي شفاهي المنشأ والصيغة والأداء والتلقي، فقد أعطاه ذلك عناصر الحيوية الدائمة والتجدد والأمانة في إعطاء الصورة المنطوقة والصادقة والمعبرة عن المعنى الأصلي"⁽¹⁵³⁾.
"ولا شك أن الحكم السائرة والألغاز والأمثال وما أشبهه تتصف بالديمومة و لكنها تكون عادة مختصرة"⁽¹⁵⁴⁾.

وهذا ما يمكن ملاحظته في جميع الأمثال المدروسة ونخصّ بالذكر قولهم:

— "سواء قوله وبوله"⁽¹⁵⁵⁾.

— "آخر الداء العياء الكي"⁽¹⁵⁶⁾.

— "الأقارب هم العقارب"⁽¹⁵⁷⁾.

— "أكثر الأغنياء أغبياء"⁽¹⁵⁸⁾.

(152) في الأمثال العربيّة، إبراهيم السامرائي، مطبعة حكومة الكويت، د. ط و د. ت، ص 143.

(153) الأمثال العربيّة، د. مصطفى أبو العلا، ص 41.

(154) الشفاهية والكتابية، والترج أونج، ص 249.

(155) مجمع الأمثال، الميداني، 1 / 498 وفسره: يضرب للرجل الجلد المحبوس.

(156) كتاب الأمثال، لمؤلف مجهول، حيث كتب في نهايته: والمرجو من الناظر الخبير إذا عثر على اسم المصنف وأحواله وحالات الكتاب أن يمنّ علينا بالاطلاع عليها، كتبه: أبو الوفاء محمد بن أحمد بن البساک، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1351هـ، ص33.

(157) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، شرحه وضبطه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، ط2، القاهرة 1952، 103/3.

(158) خاص الخاص، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، شرحه وعلّق عليه: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1994، ص56.

— "الجار ثم الدار" (159).

— "الحركة بركة" (160).

— "الدّلة مع القلة" (161).

— "الرفيق قبل الطريق" (162).

ومعظم الأمثال السابقة لا تزال شائعة ومستعملة على ألسنة الناس حتى يومنا هذا.

2 — التنعيم: تنتظم الأمثال نغمات مختلفة تتوزع بين صاعدة وهابطة ومستويّة أو مسطحة، يتحكّم بها الوتران الصوتيان. "وفي الكلام الشفاهي لا بدّ أن تشمل الكلمة هذا التنعيم أو ذاك، كأن تكون الكلمة حيوية، أو مثيرة، أو هادئة، أو ساخطة، أو مذعنة، أو أيّاً ما كانت، فمن المحال نطق كلمة شفاهة دون أي تنعيم" (163).

وهذا ما ينطبق على جميع الأمثال المدروسة* ونخصّ بالذكر قولهم:

— "المدح الذبح" (164).

فإذا نطقنا المثل هنا بنغمة صاعدة من الأسفل إلى الأعلى قد يفيد التنعيم معها معنى الاستفهام، وإذا نطقنا المثل بنغمة هابطة من الأعلى إلى الأسفل قد يفيد التنعيم معها معنى التقرير، أو إذا نطقنا المثل بنغمة مستوية فقد نفهم معها معنى الإخبار أو الإثبات.

— "المال ميّال" (165).

فعندما تنطق المثل بنغمة صاعدة من الأسفل إلى الأعلى فقد نفهم من التنعيم معنى الاستهزاء، وتغيير النغمة لتصبح هابطة من الأعلى إلى الأسفل قد يفيد التنعيم معه معنى التحسّر، ونطق المثل بنغمة مستوية قد يخرج التنعيم إلى معنى التقرير.

(159) مجمع الأمثال، الميداني 238/1.

(160) المصدر نفسه، 320/1.

(161) جمهرة الأمثال، العسكري، 393/1، وفسّره بقوله: أي الذل مع الفقر.

(162) مجمع الأمثال، الميداني 423/1.

(163) الشفاهيّة والكتابيّة، والترج أونج، ص 193.

(*) اعتمدنا في التنعيم هنا الطريقة التي اعتمدها د. تمام حسان في تصنيفه للتنعيم بين نغمة صاعدة وهابطة ومستوية، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 426. وسنتعرض له بشيء من التوسع في الفصل القادم.

(164) مجمع الأمثال، الميداني، 310/2، وفسّره: أي من مدح وهو يغتر فكأنه ذبح، جعل ضرره كالذبح له.

(165) المصدر نفسه، 375/2.

— العاشية تهيج الأبية⁽¹⁶⁶⁾.

أيضاً هنا إذا نطقنا المثل بنغمة صاعدة من الأسفل إلى الأعلى قد يفيد التنغيم معها معنى التعجب، وتغيير النغمة لتصبح هابطة من الأعلى إلى الأسفل قد يخرج التنغيم إلى معنى الإخبار، أما إذا نطقنا المثل بنغمة مستوية فقد نفهم من المثل معنى الإثبات.

— "سواء علينا قاتلاه وسالباه"⁽¹⁶⁷⁾.

هنا أيضاً نطق المثل بنغمة صاعدة من الأسفل إلى الأعلى قد تخرج التنغيم إلى معنى الاستفهام، وعندما ننطق المثل بنغمة هابطة من الأعلى إلى الأسفل يمكن أن نفهم من المثل معنى التعجب، ونطقه بنغمة مستوية قد تخرج التنغيم إلى معنى التقرير.

3 — الإيجاز والاختصار:

وهما من الخصائص التي تلاحظ بوضوح في جميع الأمثال المدروسة.

"الأمثال العربية تتميز بميزتين ظاهرتين أولاهما: الإيجاز وله مظهران تقليل الألفاظ والحذف منها، وثانيهما: القدم"⁽¹⁶⁸⁾.

ويؤكد الفكرة ذاتها باحث آخر فيقول:

"والأمثال هي خير ممثّل للكلام الموجز، وذلك بسبب قدمها واتصالها الوثيق بالأطوار الشفوية في حضارات الشعوب عامة"⁽¹⁶⁹⁾.

ولاحظنا أن معظم الأمثال المدروسة جاءت جملها قصيرة موجزة، تختصر قصة أو حادثة في بضع كلمات ومن ذلك نذكر قولهم:

— "اطلب ذاك وخلاك ذم"⁽¹⁷⁰⁾.

(166) أمثال العرب، المفضل الضبي، ص 63، وفسره: العاشية: التي تتعشى تهيج أبي العشاء فيتعشى معها، قالها رجل لابنه عندما جاءه ضيف يطلب الطعام وذهب ابنه ليريح الإبل، فغضب الأب وقال لابنه هلاً كنت عشيتها ساعة من الليل، فقال أبت: إنها أبيت العشاء فقال مثله.

(167) المجهول، ص 68، وفسره بقوله: أي إذا رأيت رجلين قتل أحدهما رجلاً وسلبه الآخر، فهما سواء فيه.

(168) الأمثال العربية القديمة، د. محمد جمال صقر، ص 29.

(169) وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، ص 71.

(170) المستقصى، الزمخشري 224/1، وفسره بقوله: أي جاوزك ولم يلزمك.

قاله أحدهم لعمر بن عدي حين قال له: كيف أقدر على أخذ الثأر من الزبّاء وهي أَمْنَع من عقاب الجوّ؟ أي اطلب الحاجة باذلاً جهدي في طلبها ولا عليك إذا لم تقضَ، يضرب في نفي الذمّ عمّن أعذر في الطلب وإن لم يظفر.

— "صغراهنّ شراهنّ"⁽¹⁷¹⁾.

قالت امرأة كانت تخرج مع رجلٍ، ويقضيا حاجتهما بعيداً عن بيوت الحيّ، وبينما هي قاعدة، مرّت بها بناتها، فنظرت الكبرى وقالت أُمّي والله، وقالت الوسطى: صدقت والله. فقالت المرأة: كذبتما ما أنا بأُمّ لكما ولا لأبيكما بامرأة، فقالت لهما الصغرى: أما تعرفان محياها وتعلّقت بها وصرخت، فقالت الأم حين رأت ذلك صغراهنّ شراهنّ فذهبت مثلاً.

ومن ذلك قولهم: "الليل أخفى للويل"⁽¹⁷²⁾.

أول من قاله سارية بن عويمر العقيلي وذلك أن توبة بن الحمير ضربه ثور بن أبي سمعان بجرز فجرح أنفه ووجهه، فمكن من أخذ حقه فأبى، ثم أن سارية نزل به ثور يوماً مع أصحابه فلما أرادوا الإصباح عنه، قال لهم: أدركوا الليل فإنه أخفى للويل ولا آمن عليكم توبة ثم إن توبة سار خلفهم فقتلهم.

وكذلك قولهم: "الطريف خفيف والتليد بليد"⁽¹⁷³⁾.

المثل للقمّان بن عاد قاله عندما خرج يطوف، ووجد امرأة جالسة في ظله ومعها رجل تحدّثه فسلم في المرة الأولى فلم يرد أحد السلام، ثم سلم في الثانية فردّا فقالت المرأة من أنت، قال من بعض هذه البلاد من وادٍ إلى وادٍ، وإنّ مجلسكما لطريف غير تليد، قالت وما أدراك فقال المثل.

فهنا نلاحظ كيف اختصرت هذه الكلمات القليلة قصصاً كبيرة و أوجزت في شرحها.

4 — الشمولية:

حيث نلاحظ في الأمثال المدروسة ميلاً إلى المشاركة الوجدانية المتعدّدة من خلال استخدام ضمير المخاطب والمتكلم والغائب والجمع وقد ظهر ذلك في قولهم: "هو يشوب ويروب"⁽¹⁷⁴⁾.

هنا نلاحظ كيف استخدم القائل ضمير الغائب "هو" وفي ذلك يقول أحدهم:

(171) مجمع الأمثال، الميداني 553/1.

(172) المستقصى، الزمخشري، 343/1، وفسره: أي افعل ما تريد ليلاً فإنه أستر لسرك.

(173) جمهرة الأمثال، العسكري، 17/2، وفسره بقوله: أي أن الذي تستجده من الأشياء أحب إليك من الذي طال لبثه.

(174) مجمع الأمثال، الميداني، 472/2، وفسره: الشوب: الخلط، والرأب: الإصلاح، يضرب للذي يخطئ ويصيب.

"إن اختيار ضمير الغيبة ليس موقع المسند إليه الموصوف، فتتضح طريقة الوصف بالمثل التعبيري الذي الموصوف فيه المسند إليه اختياراً موفق، فهو لا يوقعهم في حرج إذ لو جعلوه ضمير تكلم لمدحوا أنفسهم أو ذموا ولو جعلوه ضمير خطاب لمدحوا المتلقي أو ذموا، وفي كل حرج لا يخرجهم منه إلا ضمير الغيبة"⁽¹⁷⁵⁾.
وكذلك قولهم "قد أحزم لو أعزم"⁽¹⁷⁶⁾.
هنا كذلك نلاحظ كيف استخدم القائل ضمير المتكلم "أنا" فالمثل هنا يوجهه إلى نفسه ناصحاً أو مذكراً.

وكذلك قولهم: "هريق صبحوهم على غبوقهم"⁽¹⁷⁷⁾.
هنا كذلك نلاحظ كيف استخدم القائل ضمير الجمع الغائب (هم).
ومن ذلك قولهم: "إن لم تغلب فاخلب"⁽¹⁷⁸⁾.
هنا كذلك نلاحظ كيف استخدم القائل ضمير المخاطب (أنت).
مما تقدم نلاحظ شمولية الأمثال بجلاء، وتوزعها على ضمائر العربية المتعددة وصيغها، فقد تناولت المخاطب والمتكلم والغائب والجمع.

5 – اللغة المنطوقة تشمل الأمور اللفظية المتوافقة مع الحركة الإيمائية:

فقائل المثل يمكنه أن يقوم بإحدى الإيماءات المتناسبة مع المثل، يقول أحد الباحثين: "مسار الاتصال اللغويّ مثلاً يمكن أن يتأثر جوهرياً بحركات من مثل: حركة الرأس الراضة أو المؤيدة، حركات اليد الشارحة، النظرات الخاصة، وغيرها من الإشارات الإيمائية وحركات التأشير... واللغة المنطوقة بطبيعتها تستند في قسم أساسي منها إلى هذه الإمكانات التي لا تعرفها اللغة المكتوبة من ناحية، وتصوغ الكلام الشفوي على نحو مميز من ناحية ثانية"⁽¹⁷⁹⁾.

وهذا ما يندرج على جميع الأمثال بوصفها منطوقة.

(175) الأمثال العربية القديمة، محمد جمال صقر، ص 47.
(176) مجمع الأمثال، الميداني، 64/2 فُسّر سابقاً وهنا نذكر به إن عزمت الرأي وأمضيته فأنا حازم وإن تركت الصواب وأنا أراه وضيعت العزم لم ينفعني حزمي.
(177) المصدر نفسه، 453/2، وفسّره: يضرب للقوم يذمون على ما ظهر منهم.
(178) المصدر نفسه، 48/1 وفسّره: يقال: خلب خلابة وهي الخديعة ويراد به الخدعة في الحرب.
(179) نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي سانديرس، ص 91.

6 – الاستمرارية:

فاللغة المنطوقة تتصف بالإرسال المتواتر الذي لا انقطاع فيه يُخلّ بالمعنى، فالمثل التالي لا يُفهم معناه إلا إذا نطق على النحو التالي:

— "حال صبوّحهم على غبوقهم"⁽¹⁸⁰⁾.

فإذا قلنا: حال صبوّحهم وسكتنا لم يفهم السامع المعنى المقصود.

وفي ذلك يقول أحدهم: "الإرسال المنطوق إرسال متواتر، مألوف ومستمر، أما الإرسال المكتوب فنادر متقطع إذ تقتضي الكتابة تعمداً أكبر للقيام بها، و جهوداً أعظم للتكيف على موقف مقيّد نسبياً"⁽¹⁸¹⁾.

7 – المباشرة:

فاللغة المنطوقة تعتمد على السياق المباشر بين المتكلم والمخاطب، فإذا غاب المخاطب لم ينطق المتكلم، وإلاّ عدّ ضرباً من الجنون. وهذا ما ينطبق على جميع الأمثال خاصةً أنها تقال في موضع الاستشهاد بقوة الرأي، وإقامة الحجّة على السامع .

وكذلك من الضروري لفهم خصائص البناء اللغوي للمثل شفاهياً أن ينظر إلى المقام الذي ضرب فيه ومن أجله المثل، فليس لهذه الأنواع من هوية سوى في سياقها الثقافي، ونعني بالسياق الثقافي البيئة والمعجم المستخدم في هذه البيئة، وصياغة الألفاظ، وكذلك الأحداث اللغوية المصاحبة لتأليف المثل أو ضربه⁽¹⁸²⁾.

8 – الانتمائية:

فاللغة المنطوقة ترتبط بالأجداد والحضارة والتراث، وتعكس العادات والتقاليد للجماعات المتعاقبة عبر الزمن⁽¹⁸³⁾.

ومن خلال دراستنا للأمثال المختارة اطلعنا على بعض العادات والتقاليد الجاهلية ندرجها على الشكل الآتي:

(180) مجمع الأمثال، الميداني 291/1، وفسّره بقوله: يقال حال المال على الأرض حولاً أي انصبّ وأحلتها أنا: صبيبته ومعنى المثل: افترقوا فقل لبنهم فصار صبوّحهم وغبوقهم واحداً.

(181) اللسانيات وموقفها من اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، د. مازن الوعر، ص 55.

(182) الأمثال العربية، مصطفى أبو العلا، ص 42 بتصرف.

(183) لمزيد من التوضيح ينظر الأمثال العربية القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد، تأليف: رودلف زلهام، ترجمة وتحقيق رمضان عبد التواب، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، ط1، 1971، ص 8.

أ — عادة وأد البنات:

يقول أحدهم: "يراد بوأد البنات دفنهنّ أحياء، وكان ذلك من العادات المتفشية عند العرب في الجاهليّة، وكان الباعث عليه إما مخافة العار الذي يلحقهم بسببهنّ إذا سُبّين، وطمع فيهنّ غير الأكفاء، وإما مخافة الفقر والإملاق"⁽¹⁸⁴⁾.

وقد جاءت هذه العادة في قولهم: "تقديم الحرم من النعم"⁽¹⁸⁵⁾.

وعلق قائل المثل عليه قائلاً يعنون البنات وهذا كقولهم دفن البنات من المكرمات⁽¹⁸⁶⁾.

وهذا يؤكد لنا جاهلية هذه العادة وشيوعها آنذاك.

ب — عادة الأسر:

وردت هذه العادة في قصة المثل: "اسع بجذك لا بكذك"⁽¹⁸⁷⁾.

قالوا: "إنّ أوّل من قال ذلك حاتم بن عميرة الهمداني، وكان بعث ابنه الحسل وعاجنة إلى تجارة، فلقي الحسل قوم من بني أسد، فأخذوا ماله وأسروه وسار عاجنة أياماً ثم وقع على مال في طريقه من قبل أن يبلغ موضع متجره، فأخذه ورجع. فلما رجع تباشر به أهله و انتظروا الحسل فلما جاء إيّانة الذي كان يجيء فيه ولم يرجع رابهم أمره، وبعث أبوه أخاً له لم يكن من أمه يقال له شاكراً في طلبه والبحث عنه، ثم إن شاكراً سأل عنه فأخبر بمكانه، فاشتراه ممّن أسره بأربعين بغيراً فلما رجع به قال أبوه: اسع بجذك لا بكذك فذهبت مثلاً"⁽¹⁸⁸⁾.

هذه القصة تعكس لنا عادة الأسر التي كانت شائعة في العصر الجاهلي بجلاء.

ونقع على مثل آخر يُصوّر مكابدة الأسير ومعاناته وهو قولهم: "غلّ قمل"⁽¹⁸⁹⁾.

قال الأصمعي: "إنّهم كانوا يغلون الأسير بالقدّ وعليه الوبر، فإذا طال القدّ عليه قمل فلقى منه جهداً، فضرب لكل ما يلقي من شدة"⁽¹⁹⁰⁾.

(184) الأمثال العربيّة، دراسة تاريخية تحليلية، د. عبد المجيد قطامش، دار الفكر، ط1، 1988م، ص 373.

(185) مجمع الأمثال، الميداني، 1/183.

(186) المصدر نفسه، 1/183.

(187) المستقصى، الزمخشري، 1/168.

(188) المصدر نفسه، 1/168.

(189) مجمع الأمثال، الميداني، 2/12.

(190) المصدر نفسه، 2/12.

ج - عادة القرعة في اختيار القتلى:

يقول أحدهم: "من عادات الملوك عادة القرعة في اختيار ضحاياهم، وهذه العادة تصور لنا فضلاً عن التعسف والجور والظلم تلك النخبوية اللامبالية في نمط السلوك الملوكي الجاهلي إزاء عوام الناس فكأن هؤلاء أرقام لا صلة لهم البتة بجنس البشر، وهذا ما يؤكد لنا الضدية التي تدثر الجاهلي في أكثر مناحيها، حتى لكأن الجاهلي نادراً ما عرف الوسط فهو دائماً في الأطراف في غلوه ومبالغته"⁽¹⁹¹⁾.

وقد ظهرت هذه العادة في قولهم: "من عزّ بز"⁽¹⁹²⁾.

وأول من قاله رجلٌ من طيء يقال له جابر بن رألان أحد بني ثعل، وكان في حديثه "أنه خرج ومعه صاحبان له، حتى إذا كانوا بظهر الحيرة وكان للمنذر بن ماء السماء يوم يركب فيه فلا يلقى أحداً إلا قتله، فلقي في ذلك اليوم جابراً وصاحبيه فأخذتهم الخيل بالسوية، فأتى بهم المنذر فقال: اقترعوا فأبكم قرع خليت سبيله وقتلت الباقيين، فاقترعوا ففرعهم جابر بن رألان فخلى سبيله وقتل صاحبيه فلما رأهما يقادان ليقتلا قال المثل"⁽¹⁹³⁾.

فهذه القصة عكست لنا عادة جاهلية جائزة ألا وهي القرعة في اختيار القتلى.

د - عادة وسم الإبل بالنار:

يقول أحدهم: "جرت عادة العرب على أن يميز كل منهم إبله عن إبل غيره، وكان يتم لهم هذا التمييز بوسمها بنار تسمى نار الوسم كانت تختلف من إبل إلى إبل بحيث إذا نظر الناس في هذه النار وهذا الوسم عرفوا أصحاب الإبل ولم يحتاجوا إلى السؤال عنهم"⁽¹⁹⁴⁾.

وقد ظهرت هذه العادة في قولهم: "تجارها نارها"⁽¹⁹⁵⁾.

وعلق القائل: "النار السمة يقال: ما نار هذه الناقة؟ أي ما سمتها فإذا رأيت نارها عرفت نجارها، يضرب في شواهد الأمور الظاهرة التي تدل على علم باطنها"⁽¹⁹⁶⁾.

(191) صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية من القرن 6 - 9 هـ، 12 - 15 م، د.محمد توفيق أبو علي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، 1999م، ص 132.

(192) مجمع الأمثال، الميداني، 341/2.

(193) المصدر نفسه، 341/2.

(194) الأمثال العربية، د. عبد المجيد قطامش، ص 382.

(195) مجمع الأمثال، الميداني، 387/2.

(196) المصدر نفسه، 387/2.

هـ — عادة الرجم بالحصى:

يقول أحد الباحثين: "من المعروف أنّ الرجم بالحصى هو أمر قديم ورد ذكره في التوراة ومن المعروف أيضاً أنه من أركان القصاص الإسلامي، أما في كتب الأمثال فإننا نجد الرجم عقاباً للزنا في الجاهلية"⁽¹⁹⁷⁾.

وقد ظهرت هذه العادة في قولهم: "صغراهنّ شراهنّ"⁽¹⁹⁸⁾.

ويروى صغراها شراها ويروى مراها ويعلق عليه القائل: "أول من قاله امرأة كانت في زمن لقمان لها زوج يقال له الشجي وخليل يقال له الخلي فنزل لقمان بهم، فرأى هذه المرأة ذات يوم انتبذت من بيوت الحي فارتاب لقمان بأمرها فتبعها فرأى رجلاً عرض لها ومضياً جميعاً وقضياً حاجتهما، ثم إن المرأة قالت للرجل: إني أتماوت فإذا أسندوني في رجمي فأنتني ليلاً فأخرجني ثم اذهب إلى مكان لا يعرفنا أهله. فلما سمع لقمان ذلك قال: "ويل للشجي من الخلي"⁽¹⁹⁹⁾.

ثم رجعت المرأة إلى مكانها وفعلت ما قالت... ثم إن الناس اجتمعوا فعرفوها فرفعوا القصة إلى لقمان بن عاد وقالوا: اقض بيننا... فأخبر لقمان الزوج بما عرف وأقبل على المرأة فقصّ عليها قصتها كيف صنعت، فقيل للقمان: احكم فيها، فقال: ارجموها كما رجمت نفسها في حياتها فرجمت، والمعنى ذاته نجده في قولهم: "صغراهنّ مراهنّ"⁽²⁰⁰⁾.

و — عادة التزين في الحرب:

وهذا ما ظهر في قولهم: "حنّت فلا تهنت"⁽²⁰¹⁾.

وقد جاء في قصة هذا المثل أن عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم — وكان يُلقب مقروعاً — عشق الهيجمانه بنت العنبر بن عمرو بن تيم، فطرد عنها، فجاء الحارث بن كعب بن زيد مناة ليدفع عنه، فضرب على رجله فقطعت، فسمي الأعرج، وسار عبشمس في بني سعد إلى العنبر يطلبون حقهم في رجل الأعرج، فأبوا عليهم فيه، فقال عبشمس لأصحابه: إن راح إليكم مازن مترجلاً متزينا فأياسوا من العقل، وإن جاءكم أشعث خبيث النفس فارجوه، فراح إليهم في ثياب وهيئة، فتحدث إليهم، فلما انصرف سمع عبشمس رجلاً من أصحاب مازن ينشد بيتاً من الشعر، فعلم عبشمس الشر، فلما أظلم

(197) الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية، د. محمد توفيق أبو علي، دار النفائس، ط1، 1988، ص306.

(198) مجمع الأمثال، الميداني، 553/1.

(199) المصدر نفسه، 553/1.

(200) أمثال العرب، المفضل الضبي، 168.

(201) جمهرة الأمثال، العسكري، 319/1.

رحل وترك قَبْتَهُ قائمة، فطلب مازن فلم يقدر عليه، ثم غزاهم عبشمس، فنزل بهم في ليلة ذات برق ورعد، فلمعت برقَةٌ، فرأت الهيجمانه ساقى عبشمس، فقالت لأبيها: والله لقد رأيت ساقى مقروع، فسمعها مازن فقال: حنّت فلا تهنّت فأرسلها مثلاً⁽²⁰²⁾.

ويقول أحد الباحثين: ولعلنا نجد لعادة التزين في الملبس إشارة إلى إعلان الحرب احتمالات أربع:

1 — هذه العادة تجسّد مظهراً انفصامياً يعترى الشخصية الجاهليّة وهذه الحالة الانفصامية هي التي تجعل في الحرب الكريهة موئلاً فرح.

2 — أن المجتمع الجاهلي يبدو متأهباً للحرب ناظراً إليها على أنها مدعاة طمأنينة تقيه الترهل.

3 — أن هذه العادة تفصح عن ذاتية المجتمع الجاهلي الممزوجة بسادية عميقة قوامها التلذذ بروية الدم.

4 — تفضي إلى تلمس مركبات نفسية وعقد كثيرة مرتبطة ببنية التقاليد الاجتماعية ليصبح التزين صورة معبرة عن الفرح الكامن في أعماق النفس أملاً بقرب التشفي وأخذ الثأر⁽²⁰³⁾.

9 — التصويرية:

فاللغة المنطوقة ولاسيما الأمثال تصوّر لنا بعض المعتقدات والأفكار الاجتماعية التي كانت سائدة في الجاهلية، وقد تعرفنا العديد من هذه المعتقدات من خلال دراستنا للأمثال المختارة، ومن ذلك نذكر:

أ — الزجر والعيافة والطيرة:

فالزجر والعيافة هنا هما التفاؤل بأسماء الطير والوحش وأصواتها ومساقطها وممرها أو النشاوم. والعيافة هي زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها⁽²⁰⁴⁾.

وقد عكس هذا الاعتقاد قولهم: "من لي بالسانح بعد البارح"⁽²⁰⁵⁾.

(202) جمهرة الأمثال، العسكري، 234/1 بتصرف.

(203) صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية، د. محمد توفيق أبو علي، ص 155 بتصرف.

(204) الأمثال العربية، عبد المجيد قطامش، ص 388 بتصرف.

(205) مجمع الأمثال، الميداني، 332/2.

وعلق عليه القائل: "السانح من الصيد ما جاء عن شمالك فولاك ميامنه، والبارح ما جاء عن يمينك فولاك مياسره. وأصل المثل: أن رجلاً مرّت به ظباء بارحة، والعرب تتشائم بها فكره الرجل ذلك فقيل له: إنها ستمر بك سانحة فعندها قال من لي بالسانح بعد البارح"⁽²⁰⁶⁾، يضرب مثلاً في اليأس عن الشيء. فهذا المثل بيّن لنا بوضوح شيوع هذا الاعتقاد الجاهلي بين العرب في الماضي.

ب – الحج:

كان الحج معروفاً عند العرب منذ عهد إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام، وتؤكد الأمثال أن العرب في الجاهلية كانوا يحجون وكانوا يطوفون حول الكعبة عراة كما نعلم، وقد ظهر ذلك في قولهم: "ما حج ولكنه دج"⁽²⁰⁷⁾.

ويقال هم الحاج والداج قالوا: الأعوان والمكّارون⁽²⁰⁸⁾.

وكذلك قولهم: "لجّ فحجّ"⁽²⁰⁹⁾.

وعلق عليه قائلاً: "أي نازع خصمه فحملة اللجاج على أن غلبه بالحجة، ويقال بل معناه أن رجلاً خرج يطوف في البلاد فاتفق حصوله بمكة فحجّ من غير رغبة منه فقيل: لجّ في الطواف حتى حجّ، قال أبو عبيد: يضرب للرجل يبلغ من لجاجته أن يخرج إلى شيء ليس من شأنه"⁽²¹⁰⁾.

وكذلك قولهم: "الحاج والداج"⁽²¹¹⁾.

وعلق عليه: "الحاج الذي يزور البيت، والداج الذي يخرج للتجارة، يقال ما حجّ ولكنه دجّ، وقيل: الداغ: الذين يدبون في أثر الحاج"⁽²¹²⁾.

ج – الجنّ:

وقد ظهر في قولهم: "ريح حزاء فالنجاء"⁽²¹³⁾.

(206) مجمع الأمثال، الميداني، 232/2.

(207) المصدر نفسه، 311/2.

(208) المصدر نفسه، 311/2.

(209) المصدر نفسه، 191/2.

(210) المصدر نفسه، 191/2.

(211) جمهرة الأمثال، العسكري، 311/1.

(212) المصدر نفسه، 311/1.

(213) مجمع الأمثال، الميداني، 405/1.

وعَلَّق عليه قائلاً: الحزاء نبت ذفر يتدخّن به للأرواح يشبه الكرفس، يزعمون أن الجن لا تقرب بيتاً هو فيه، يضرب للأمر يخاف شره فيقال: اهرب فإن هذا ريح شر، والنجاء: الإسراع.

يقول أحدهم: "من هذا المثل نستنتج أنهم كانوا يتصورون الجنّ على غرار البشر أو الدواب، فهم يختارون هذا النبت "الذفر" لكي ينفروه، وهو نبت سام إذا أكلت منه الدواب تنفق، ورائحته مزعجة خصوصاً إذا أحرق، ولعلمهم كانوا يتصورون الأمر نفسه بالنسبة إلى الجن"(214).

د - الحياة بعد الموت:

ظهرت في بعض الأمثال المدروسة إشارات بسيطة تكشف عن اعتقاد الجاهلي بوجود حياة بعد الموت وقد ظهر ذلك في قولهم: "المنايا على البلايا"(215).

وعَلَّق عليه قائلاً: "البليّة: الناقة يغطى وجهها وتشد على قبر صاحبها إذا مات لا تسقى ولا تعلف حتى تموت، وكانوا يقولون إذا فعلوا ذلك يركبها صاحبها في عرصة القيامة"(216).

هذه الإشارة التي وردت في هذا المثل قد تعكس هذا الاعتقاد الذي كان سائداً قبل الإسلام.

وكذلك من ناحية أخرى كانوا يعتقدون بحتمية الموت وأنه لا مفرّ منه وقد ظهر ذلك في قولهم: "أتى أبْدٌ على لُبْد"(217).

والأبْد: الدهر، ولُبْد: النسر السابع من نسور لقمان بن عاد، وكان يأخذ النسر صغيراً فيما زعموا فيربيّه حتى يكبر، فإذا مات أخذ نسرأ آخر، حتى استكمل عمر سبعة أنسر، وكان لُبْد سابعاً، ويقال إن النسر يعيش أربعمئة سنة(218).

وكذلك قولهم: "إذا جاء الحَيْنُ حارَ العين"(219). والحين: هو الأجل.

وكذلك قولهم: "حالَ الأجلُ دون الأمل"(220).

فهذه الأمثال تؤكد لنا شيوع الاعتقاد في ذلك العصر بحتمية الموت والتسليم بذلك.

(214) الأمثال العربية والعصر الجاهلي، د.محمد توفيق أبو علي، ص 262.

(215) جمهرة الأمثال، العسكري، 2 / 219.

(216) المصدر نفسه، 2 / 219.

(217) المصدر نفسه، 1 / 113.

(218) المصدر نفسه، 1 / 113.

(219) المصدر نفسه، 1 / 106.

(220) مجمع الأمثال، الميداني، 1 / 184.

وأما عن الأفكار الاجتماعية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي، فنخص بالذكر هنا علاقة الرجل مع المرأة التي عكستها لنا بعض الأمثال المدروسة ومن ذلك قولهم: "لم يكن وماق ففراق"⁽²²¹⁾. وأما قصة المثل فهي أن عامراً بن الضرب العدواني زوج ابنته من ابن أخيه لكنها ما لبثت أن عادت إلى منزل أبيها، فطلب من زوجته أن تتصح ابنتها بالنصائح التالية: مري ابنتك أن لا تنزل مفازة إلا ومعها ماء فإنه للأعلى جلاء وللأسفل نقاء، وأن لا تمنعه شهوته فإن الحظوة المرافقة وأن لا تطيل مضاجعته فإنه إذا ملّ البدن ملّ القلب⁽²²²⁾ ولكن بعد أشهر أتت البنت مضروبة، فهنا نجد الحكمة في موقف عامر بن الضرب من ذلك فقد أنب ابن أخيه على ضربه للبنت، واعتبر الضرب إهانة وإذلالاً لها مبيناً أن العلاقة الزوجية ينبغي أن تتبنى على الوفاق أي المحبة، وإذا لم يتوفر هذا العنصر فمن الأفضل أن يقع الفراق، وتنتهي القصة بالخلع وهو أن يقع الفراق مع بذل من المرأة للرجل وهذا الحدث على حسب ما ذكره الزمخشري هو أول خلع كان في العرب. وكذلك قولهم: "إلا حظية فلا ألية"⁽²²³⁾.

وعلق عليه القائل: "الألية من الألو وهو التقصير، فالمرأة هنا تسعى إلى امتلاك الحظوة لدى زوجها بالقيام بشؤون المنزل، ولكن رغم نجاحها في خدمة زوجها لم تكن محظية عنده. يقول أحد الباحثين: "تستنتج من هذا المثل أن المرأة كانت ظلاً للرجل حريصة على خدمته، في حين كان الزوج لا يقيم وزناً لأتعب الزوجة وتوددها له، ولذلك كانت معاملته لها تتصف بالغلظة والجفاء"⁽²²⁴⁾.

إن هذه الأمثال عكست لنا فكرة اجتماعية تجسدت في علاقة الرجل مع المرأة المبنية على أساس الزواج، وبيّنت تلك الأمثال سوء معاملة الرجل للمرأة، وظلمه لها.

وفيما يلي عرض لأهم النتائج التي خلصنا إليها:

- 1 — لعبت ثنائية الإتياع والمزاوجة دوراً في حفظ المثل وذبوعه وبقائه في مستودع الذاكرة بما تمتعت به من موسيقية وجرس وتجانس بين الحروف وتكرارها.
- 2 — للأمثال العربية خصائص تميزها عن اللغة المكتوبة أبرزها الديمومة والاختصار والتنغيم والاستمرارية.
- 3 — كشفت لنا الأمثال المدروسة مجموعة من العادات والتقاليد والمعتقدات التي كانت سائدة في الجاهلية.

(221) المستقصى، الزمخشري، 1 / 375.

(222) المصدر نفسه، 1 / 375 بتصرف.

(223) مجمع الأمثال، الميداني، 1 / 29.

(224) في بنية الأمثال العربية القديمة ودلالاتها، مساهمة في إنشائية أدب الأمثال، د. الحبيب العوادي، ط1، تونس 2006 م، ص50.

رابعاً: الاقتصاد اللغوي والأمثال:

الاقتصاد اللغوي: "هو السعي الدائب لتحقيق التوازن بين الاحتياجات المتضاربة والتي لا بدّ من تلبيتها، فمن جانب هناك الإبلاغ وهناك من جانب آخر خمول الذاكرة والنطق معاً وبينهما صراع دائم" (225).

وسنحاول فيما يلي تتبّع أهم مظاهر الاقتصاد اللغوي التي تجلّت في بعض الأمثال يمكننا ترتيبها على النحو الآتي:

1 – محاولة التخلص من الهمز في بعض الأمثال:

وفي هذا يقول أحد الباحثين: "تميل اللغة في تطورها نحو السهولة والتيسير، فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة وتستبدل بها أصواتاً أخرى، لا تتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً، وصوت الهمز عسير النطق، لأنه يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية، ثم انفراج هذه الأوتار فجأة، وهذه العملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير" (226). ويقول آخر: "واللغة العربية تنزع في تطورها كسائر اللغات إلى السهولة والتيسير، ولذلك تراها في ابتغاء التوفير للجهد الذهني والعضلي للإنسان، تتخلّى عن كثير من التفرّعات المعقّدة، والأنظمة التعبيرية المختلفة، والصيغ الشكلية المجهدّة، والأصوات العسيرة النطق" (227).

ومن الأمثال التي لوحظ فيها محاولة التخلص من الهمز قولهم:

— "إنّه لرباط الجاش على الأغباش" (228).

والأصل في الجاش الجأش بالهمز وهو القلب، ومعنى المثل أنه يربط نفسه عن الفرار لشجاعته، فهنا نلاحظ أنّ قائل المثل قد تخلّص من الهمز لتحقيق التوازن مع الكلمة المزوجة وهي الأغباش، نظراً للجهد الذي يتطلّبه نطق الهمزة.

(225) مبادئ اللسانيات العامة، أندريه مارتينييه، ترجمة د. أحمد الحمو، المطبعة الجديدة، "د.ط" دمشق 1985، ص181.

(226) التطوّر اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط1، 1983م، ص48.

(227) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، الشركة العالمية للنشر، ط1، 2001 م، ص30.

(228) مجمع الأمثال، الميداني 73/1. وقال في تفسيره: الجأش: جأش القلب وهو رواحه أي موضع روعه إذا اضطرب عند الفرع، ومعنى رابط الجأش أنه يربط نفسه عند الفرار لشجاعته، والأغباش جمع غبش وهو الظلمة، يضرب للجسور على الأهوال.

— "حَنَّتْ فلا تَهَنَّتْ" (229).

فالفاعل هَنَّتْ أصله هَنَأَتْ "بالهمز" ولكنَّ قائل المثل تخلص من الهمزة لتحقيق الازدواج مع الكلمة الأولى "حَنَّتْ".

كذلك قولهم: "جِئْ به من حيث أَيْسٌ وليس" (230).

قال الخليل: "ليس إنما كان لا أَيْس فأسقطوا الهمزة وجمعوا بين اللام والياء لأنَّ العرب تقول أئْتَيْتِي به من حيث أَيْسٌ ولا أَيْس أي من حيث هو ولا هو" (231).

والتخلص هنا من الهمز، لصعوبة النطق به.

وكذلك قولهم: "ذِيَابٌ في ثِيَابٍ" (232).

وواضحٌ من خلال المعنى أنَّ أصل ذِيَاب ذُنَاب بالهمز، والقائل حاول التخلص منه لصعوبة النطق به.

— "صَنَعَةُ من طَبٍّ لمن حَبٍّ" (233).

يضرب في الحاجة واحتمال التعب فيها، والأصل فيه أَحَبَّ.

وإنما قال حَبٍّ لمزاوجة طَبٍّ، وإلَّا فالكلام أَحَبَّ وقال بعضهم حبيبته وأحبيته لغتان. جاء في لسان العرب في مادة حبيب: "الحبُّ: نقيض البغض والحبُّ: الوداد والمحبة، وأحبَّه فهو محب ومحبوب. وحكى سيبويه حبيبته وأحبيبته بمعنى" (234).

وكذلك قولهم:

(229) جمهرة الأمثال، العسكري 319/1. وفسره بقوله: يضرب لمن حَنَّ إلى مكروه من الأمر، يدعو عليه بالآل يتنهأ به إذا وجده.

(230) المستقصى، الزمخشري، 2 / 36.

(231) المصدر نفسه، 2 / 36.

(232) زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، حققه: د. محمد حجّي، ود. محمد الأخضر، دار الثقافة، ط1، 1981، 7/3، وفسره بقوله: الثياب: جمع ثوب وهذا المثل مشهور في ذم الناس وأنهم كالذباب مكرراً وخداعاً إن كانوا في الصورة خلافها.

(233) مجمع الأمثال، الميداني 1 / 551. وفسره بقوله: أي اصنع الأمر لي صنعة من طَبٍّ لمن حَبٍّ، أي صنعة حاذق لإنسان يحبّه.

(234) لسان العرب، مادة حبيب، 289/1.

— "من حَفْنَا أو رَفْنَا فليقتصد"⁽²³⁵⁾، يضرب لمن يبطره الشيء اليسير، وكان الأصل في حَفْنَا أتحفنا فأَتَبَعَ حَفْنَا رَفْنَا⁽²³⁶⁾.

ومن ذلك قولهم: "هو يشوب ويروب"⁽²³⁷⁾.

فالأصل هنا في يروب يروُب و لكن القائل تَخَلَّص من الهمز لمزاوجة يشوب. فهنا نلاحظ أنَّ القائل قد تخلص من الهمز ليحقق المزاوجة مع الكلمة الأخرى ناووس.

2 — اللجوء إلى القلب المكاني:

وهو عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي⁽²³⁸⁾.

وظهر هذا القلب في بعض الأمثال المدروسة من مثل قولهم:

— "تَلْبَدِّي تصيَّدي"⁽²³⁹⁾.

— "تَلْبَدِّي تصيَّدي"⁽²⁴⁰⁾.

فهنا نلاحظ المثل وقد جاء بروايتين مختلفتين، وقد وقع قلب فيه بين حرفي اللام والباء، ولاحظنا كيف جاء المعنى مختلفاً في الكلمتين اللتين وقع القلب فيهما، ويؤكد وقوع القلب فيهما، إشارة قائل المثل الثاني "العسكري" إلى رواية المثل الأول ومعناها كما هو موضح في الهامش.

وهذا ما يمكن عزوه إلى اللهجات بين القبائل، وانفراد الكلمة بمعنى عند كل قبيلة.

يقول أحد الباحثين: "والقلب كثير في العربيَّة، ومع ذهاب فئة من اللغويين إلى أن مرده إلى اختلاف اللغات، لم يُعْنُوا بنسبته إلى أصحابه، وإنما سردوا ما يقع فيه القلب من الكلمات من غير

(235) مجمع الأمثال، الميداني 344/2. وفسره بقوله: يجوز أن يكون حَفْنَا من حفت المرأة وجهها إذا أزال ما عليه من الشعر تزييناً وتحسيناً، ورَفْنَا من رفَّ الغزال ثمر الأراك أي تناوله، يريد من تناولنا بالإطراء أو زاننا به فليقتصد.

(236) درة الغواص في أوهام أهل الخواص، الحريري، ص80-81.

(237) مجمع الأمثال، الميداني، 2 / 472، وفسره: الشوب: الخلط، والرأب: الإصلاح.

(238) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، ص75.

(239) مجمع الأمثال، الميداني 175/1، وفسره بقوله: التَلْبَدُّ اللصوق بالأرض لختل الصيد، ومعنى المثل احتل تتمكن وتظفر.

(240) جمهرة الأمثال، العسكري، 1/221، والتَلْبَدُّ: التحير، والبلادة: خلاف الذكاء، وروى ثعلب "أحمد بن يحيى" "اقصيدي تصيَّدي" وقال: يضرب للرجل يعدل عن الحق. أي اطلب الحق تنتفع به. وقيل أصل التَلْبَدُّ أن يضرب إحدى راحتيه على الأرض، والبلدة الراحة وروي أيضاً تَلْبَدِّي تصيَّدي أي التصقي بالأرض. يضرب للذي يظهر التَلْبَدُّ ونيتة الوثبة.

تميز، ولم ينسبوا منها إلا كلمات يسيرة، منها نأى، وناء، والأولى لغة قريش، والثانية لكثير من الأنصار وهوازن وكنانة وهذيل⁽²⁴¹⁾.

3 — تكرر أصوات بعينها في مواقع سياقية تحقق التوازن:

من مثل قولهم:

— "الحركة بركة"⁽²⁴²⁾.

— "حرة تحت قرة"⁽²⁴³⁾.

— "حلف بالسمر والقمر"⁽²⁴⁴⁾.

— "جاء بالصقر والبقر"⁽²⁴⁵⁾.

— "حافظ على الصديق ولو في الحريق"⁽²⁴⁶⁾.

— "قد أنصف القارة من رامها وردّ أولها على أخراها"⁽²⁴⁷⁾.

— "قرع فلان وقنع"⁽²⁴⁸⁾.

في الأمثال السابقة نلاحظ تكرر حرفي الراء والقاف بشكل ملحوظ، وتشير هذه الملاحظة إلى وجود ارتباط بين سهولة النطق وتكرار الفونيمات، والذي يعزى إلى مبدأ الجهد الأقل على المستوى الفونولوجي⁽²⁴⁹⁾.

(241) لغة قريش، مختار سيدي الغوث، النادي الأدبي بالرياض، ط1، 1992، ص 119.

(242) مجمع الأمثال، الميداني 321/1.

(243) المصدر نفسه، 274/1، وفسره بقوله: الحرة: مأخوذة من الحرارة وهي العطش، والقرة: البرد. ويقال: كسر الحرة بمكان القرة. قالوا وأشدّ العطش ما يكون في يوم بارد. يضرب في الحثّ على رعاية العهد.

(244) المصدر نفسه، 289/1، وفسره بقوله: السمر: الظلمة وإنما سميت سمرّاً لأنهم كانوا يجتمعون في الظلمة فيسمرون ثم كثر ذلك حتّى سميت سمرّاً.

(245) زهر الأكم، اليوسي، 65/2، وفسره بقوله: أي بالكذب الصّراح، وهو اسم لما لا يعرف، ويقال بالصقّارى والبقّارى.

(246) المصدر نفسه، 283/1، يضرب في الحثّ على رعاية العهد.

(247) المجهول 81، القارة: أربعون رجلاً كانوا مرسومين بحراسة ملوك اليمن ليلاً وكانوا أرمى الناس فأحسوا في ليلة سوداء بحس فأصغوا إليه فرموا نحوه فسكن الحس فوجدوا هرة فيها أربعون سهماً.

(248) كتاب الأمثال لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي، حقّقه وقدم له د. رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (د.ط) 1970 م، ص 57.

(249) اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ص306، ترجمة د. أحمد عوض، مراجعة د. عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع 263 تشرين الثاني، 2000م، شعبان 1421.

والمقصود هنا أن تكرار حروف معينة في لغة من اللغات أكثر من أخرى له صلة وثيقة بسهولة النطق من ناحية المخرج، فالراء صوت "يخرج من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان غير أنه أدخل في ظهر اللسان" (250).

أما القاف فمخرجها من "أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى" (251).

4 - اشتراك بعض الأصوات في الصفات وتنوع توزيعها فيما بينها:

وهذا يولد تناقراً صوتياً أو ازدواجاً يتطلب اقتصاداً في الأداء. يقول أحد الباحثين: "وقد يجتمع في بعض الحروف أكثر من صفة مشتركة وهذا يمثل ميزة صوتية تُقرب بين الحروف المذكورة وإن اختلفت في المخرج فيكون بينها تبادل أو تفاعل عند التقارب أو المجاورة أو التماس" (252).

ويمكننا أن نستشهد على ذلك بصفتي الإطباق والانفتاح "فأما المُطبقة فالصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والمفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف لأنك لا تطبق لشيءٍ منهنّ لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهنّ انطبق لسانك من مواضعهنّ إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف" (253).

ونلاحظ هذا الاشتراك في الصفات في الأمثال عامة، ونخص بالذكر قولهم:

— "اطرح وافرح طفيلي" ومقترح" (254).

وفي هذا المثل نلاحظ اجتماع الصفات التالية في الحروف: فالطاء صوت مجهور شديد مطبق، والجهر انحباس جري النفس عند النطق بالحرف ثم هزّه للوترين الصوتيين عند اندفاعه (255)، أما

(250) الكتاب، سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، عالم الكتب "د. ط و د. ت"، 4/433.

(251) المصدر نفسه، 4/433.

(252) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، د. فخر الدين قباوة، ص 49.

(253) الكتاب، سيبويه، 4/436.

(254) مجمع الأمثال، الميداني 1/613، لم يذكر حول معناه شيء فيما عدا مناسبة القول، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة طرح 2/528 طرح بالشيء، وطرحه يطرحه طرحاً: رمى به. مادة فرح 2/540 الفرح: نقيض الحزن. مادة طفل 11/404 الطفيلي: هو الذي يدخل على قوم من غير أن يُدعى. مقترح مادة قرح 2/558 الاقتراح: ارتجال الكلام وهو ابتداء الشيء تبتدعه وتقرحه من نفسك من غير أن تسمعه، والمثل يضرب للفضولي.

(255) المدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قنّور، ص 121.

الحرف الشديد فهو انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف انحباساً يعيق مرور النفس تماماً فإذا أزيل الغلق المحكم فجأة أحدث النفس المحبوس صوتاً انفجارياً⁽²⁵⁶⁾، أمّا الراء فـصوت مكرّر منفتح وهو ارتعاد اللسان عند النطق بالحرف⁽²⁵⁷⁾، وكذلك الحاء صوت منفتح مهموس رخو، والهمس: هو جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج بحيث لا يهتز الوتران الصوتيان اهتزازاً قوياً⁽²⁵⁸⁾، والرخاوة: هي جريان الصوت مع الحرف لتمام ضعفه لعدم الاعتماد على مخرجه⁽²⁵⁹⁾.

فهنا نلاحظ الازدواج في الصفات والتضاد بينهما، فالإطباق في الطاء يقابله الانفتاح في حرفي الراء والحاء، والجهر في الطاء يقابله الهمس في الحاء، والشدة في الطاء تقابلها الرخاوة في الحاء. وتوزع هذه الصفات بين الحروف يولّد تنوعاً تنغيماً يبعدها عن الثقل. فالراء فُخمت بعد حرف الإطباق "الطاء" في قولنا "اطرح" فتأخر مخرجها. وعندما جاور الحرف الشديد "الطاء" صوت الحاء المهموس والراء المكرّر المنفتح طال صوت الطاء لتظهر صفاته ويتميز لفظه.

وكذلك اجتمعت في الطاء صفتا الإطباق والجهر، والتكرار والانفتاح في الراء، والهمس والرخاوة في الحاء.

5 – توزّع الأصوات العربيّة على مدارج واسعة المدى في الجهاز النطقي:

هذه المدارج تمتدّ من قمة الحنجرة إلى مطبق الشفتين، وهذا له أثرٌ واضح في التيسير اللفظي، إذ يفتح مجالاً للتنقل بين مدارج وأحياز متنوعة ومتباعدة، تسهّل النطق والتعبير، ذلك أن توالي الأصوات يستفيد حين الأداء من هذه المدارج بعيداً عن التقارب والتداخل، فيخفّف على المتكلّم كثيراً من الجهد العضلي المطلوب، وهذا مفقود في بعض اللغات الحية، إذ ينحصر أدائها في نطاق ضيق، وهذا يولّد مشقّة ومعاناة في التعبير، بتداخل المخارج وصعوبة تمييز الأصوات الشديدة التقارب⁽²⁶⁰⁾. ويمكننا تبين ذلك في مثل قولهم: "الدرهم مرّاهم"⁽²⁶¹⁾.

(256) المرجع نفسه، ص122.

(257) المرجع نفسه، ص123.

(258) المرجع نفسه، ص122.

(259) المرجع نفسه، ص122.

(260) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، د. فخر الدين قباوة، ص 47، بتصرف.

(261) مجمع الأمثال، الميداني، 1 / 382.

فالدال مخرجها أسناني بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، والراء مخرجها لساني بين طرف اللسان وما فوق الثنايا، والألف والهاء مخرجها من أقصى الحلق، والميم مخرجها ممّا بين الشفتين⁽²⁶²⁾.

فهنا نلاحظ في هذه الكلمة توزّع المدارج بين الشفتين والحلق والأسنان واللسان وهذا كلّهُ يُيسر النطق بالحروف ويخفف على المتكلم كثيراً من الجهد العضلي.

6 — إبدال بعض الأصوات بأصوات أخرى:

يقول أحد الباحثين: "ومن مظاهر الاقتصاد اللغوي في العربية إبدال حرف بحرف، أو إسقاط حرف من الكلمة، أو اللجوء إلى فونيمات⁽²⁶³⁾ أخفّ وأسهل من فونيمات أخرى، واستخدام العامة أو الترميز أو النحت"⁽²⁶⁴⁾.

ومن الأمثال التي لوحظ فيها إبدال بعض الحروف بأخرى قولهم:

— "أصق الحسّ بالإس"⁽²⁶⁵⁾.

— "ألق الحسّ بالإس"⁽²⁶⁶⁾.

هنا نلاحظ الإبدال بين كلمتي "أصق، ألق".

القاتل أبدل الصاد حاءً مع أنّ المعنى واحد. فالصاد أسليةٌ والحاء حلقية، والصاد أسهل في النطق من الحاء لأنها تخرج من طرف اللسان وفوق الثنايا السفلى⁽²⁶⁷⁾، وكذلك قولهم: — "لم يكن وماق ففراق"⁽²⁶⁸⁾.

(262) الكتاب، سيبويه، 4 / 433.

(263) يعد الفونيم أساس التحليل الفونولوجي الحديث، وهو الوحدة الصغرى في هذا التحليل، وقد ظهر هذا المصطلح عام 1873 مع مرحلة رواد الفونولوجيا، وانتقل من فرنسا إلى بلدان أوروبية وأميركية أخرى ليصير واحداً من أهم المباحث الصوتية التي أثّرت الدرس اللساني بالكثير من الآراء "لمزيد من التوضيح انظر: مبادئ اللسانيات د. أحمد محمد قدّور، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، ط2، 1999، ص98.

(264) مدخل إلى معرفة اللسانيات، د. محمد إسماعيل بصل، دار المتنبّي للطباعة والنشر، "د. ط و د. ت" ص75.

(265) جمهرة الأمثال، العسكري 1/131، وفسّره بقوله: ومعناه ألقى الشرّ بأصول الأعادي، تذهب فروعهم بذهاب الأصل. والحيثُ القتل المستأصل والأُسُّ: الأصل وهو مثل الأُسِّ.

(266) مجمع الأمثال، الميداني 2/203، يذكر المعنى السابق نفسه.

(267) المدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدّور، ص120.

(268) المستقصى، الزمخشري، 1/375، وفسّره بقوله: أي إن لم يكن حبّ في قرب، فالوجه المفارقة.

— "إن لم يكن وفاق ففراق" (269).

فهنا نلاحظ الإبدال بين حرفي الميم والفاء "وماق، وفاق" فقد أبدل القائل الميم فاءً مع أنّ المعنى واحد. ولعلّ تقارب المخرجين هو الذي أدى إلى هذا الإبدال فكلاهما شفويان يخرج من الشفتين ولكن الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، أما الميم فمن بين الشفتين معاً⁽²⁷⁰⁾، ولاشك أن الإبدال هنا كان سعياً وراء الخفة والسهولة في النطق وهو من مظاهر الاقتصاد اللغوي في الأداء.

وكذلك نلاحظ الإبدال في قولهم:

— "لا يعرف الحيّ من اللّي" (271).

— "ما يعرف الحوّ من اللو" (272).

وهنا نلاحظ الإبدال⁽²⁷³⁾ بين حرفي الياء والواو مع أنّ المعنى واحد، ويمكننا إرجاع ذلك إلى كثرة الاستعمال وورود الأمثال على الألسنة بكثرة، أو اختلاف اللهجات بين القبائل، والدافع له في كل ذلك السعي وراء الخفة والسهولة في النطق.

يقول أحد الباحثين: "أهل الحجاز يبدلون الواو ياءً في (قلنسوة)، فيقولون (قلنسية) وهما في الفصاحة سواء ويعكسون الأمر في (قنوان) فهو عندهم بالواو، وتميم وقيس وضبة يجعلونه بالياء (قنيان)" (274).

7 — شيوع الحذف في الأمثال:

يقول أحد الباحثين: "لا يجوز عدّ ما يرد في الكلام العفوي الارتجالي من تراكيب مختزلة خطأً نحويّاً والنظر إليها من منظور المعيار اللغوي، إنّما ينبغي الانطلاق من معيار الاقتصاد في اللغة ثم الحكم عليها من منظور الرغبة في التعبير عن الأفكار بأيسر السبل وأقربها إلى الفهم" (275)، وقد ظهر الحذف في بعض الأمثال ومن ذلك قولهم:

(269) مجمع الأمثال، الميداني، 70/1، ويذكر المعنى السابق نفسه.

(270) المدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدور، ص 121.

(271) جمهرة الأمثال، العسكري، 320/2، وفسره بقوله: الحيّ: الكلام الظاهر، واللّي: الكلام الخفي، يقال ذلك للأحمق الذي لا يعرف شيئاً، وقيل: الحيّ: الحق، واللّي: الباطل.

(272) مجمع الأمثال، الميداني، 313/2، فُسّر سابقاً.

(273) نكتفي هنا بعرض هذه المجموعة من الأمثلة شواهد على الاقتصاد اللغوي والسعي وراء الخفة والسهولة في الأمثال، وسنعرض للإبدال بشيء من التوسع في فصل قادم مع شواهد أخرى.

(274) لغة قريش، مختار سيدي الغوث، النادي الأدبي بالرياض، ط 1، 1992م، ص 136.

(275) نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي ساند يرس، ص 83.

— "إِلَّا حَظِيَّةٌ فَلَا أَلِيَّةٌ"⁽²⁷⁶⁾.

وهنا حذفت كان مع خبرها على تقدير: حَظِيَّةٌ — أَلِيَّةٌ، وحذفت كان مع اسمها على تقدير: حَظِيَّةٌ، أَلِيَّةٌ ويكون التقدير: إن لا أكن عند زوجي حظية فلا أكون ألية. وأما تقدير رواية الرفع: إن لا تكن له في الناس حظية فأني غير ألية⁽²⁷⁷⁾.

وكذلك حذف خبر لا النافية للجنس في قولهم:

— "لا أصل له ولا فصل"⁽²⁷⁸⁾.

فهنا حذف خبر لا النافية للجنس لمنع التكرار.

وكذلك قولهم: "لكل ساقطة لاقطة"⁽²⁷⁹⁾.

فهنا حذف المضاف سعيًا وراء الخفة والاقتصاد في الجهد العضلي والتقدير لكل ساقطة أذن لاقطة.

ونكتفي بهذا القدر من مواطن الحذف في الأمثال، للدلالة على الاقتصاد اللغوي، حيث سنعرض له بشيء من التوسع في فصل الدراسة النحوية.

8 — تكرار مقاطع⁽²⁸⁰⁾ صوتية معينة تمتاز بالخفة والسهولة:

ونذكر من ذلك قولهم: "كما تدينُ تدان"⁽²⁸¹⁾.

يتألف من المقاطع:

كَ	مَا	تَ	دِي	نُ	تَ	دَا	نُ
ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح

(276) مجمع الأمثال، الميداني 29/1، وفسره بقوله: مصدر الحظية الحظوة والحظوة والحظة والألية: فعيلة من الألو وهو التقصير، ونصب حظية وألية على تقدير إلا أكن حظية فلا أكون ألية.

(277) الأمثال العربية، د. عبد المجيد قطامش، ص 231. بتصرف

(278) مجمع الأمثال، الميداني 250/2، الأصل: النسب، والفصل: اللسان يعني النطق، ولم يذكر مناسبة القول.

(279) المصدر نفسه، 185/2.

(280) المقطع: إيقاع صوتي، يمثل مجموعة من العناصر التي تنتج من خففة صدرية لغوية، أي من ضغطة للحجاب الحاجز على الرئتين للتصويت، ينشأ عنها جهد عضلي يتصاعد ثم يهبط ثم ينعدم "الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، د. فخر الدين قباوة، ص 54.

(281) مجمع الأمثال، الميداني 132/2، وفسره بقوله: أي كما تُجَازِي تُجَازَى. يعني كما تعمل تجازى إن حسناً فحسن وإن سيئاً فسيء.

— "كلّ مبذولٍ مملول" (282)، يتألف من المقاطع:

كُلُّ	لُ	مَبْ	ذو	لنْ	مَمْ	لو	لنْ
ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص

— "ما عدا ممّا بدا" (283).

ما	عَ	دا	مم	ما	ب	دا
ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح ح

ومن خلال ملاحظتنا للمقاطع التي تتألف منها كلمات الأمثال السابقة نجد أنّ أكثر المقاطع شيوعاً المقطع الطويل المفتوح "ص ح ح" الذي ينتهي بأحد حروف المد "ا — و — ي" ثم يأتي المقطع الطويل المغلق "ص ح ص" في الدرجة الثانية، وهما يمتازان بالخفة والسهولة لسلاسة التصويت فيهما وفي ذلك يقول أحد الباحثين: "والشائع الكثير الاستعمال هما المقطعان المتوسطان، ويمتازان بأنهما أخفّ المقاطع جهداً" (284).

ويقول في موضع آخر: "المقطع المتوسط هو المسيطر" لأنه الأيسر في النطق، والمطاوع للاقتصاد العلاجي" (285).

وكذلك تتوّع النسيج المقطعي في الكلمات يسهل على اللسان متابعته، بأقل ما يمكن من الجهد العلاجي وهذا ضرب من الاقتصاد عظيم (286).

9 — شيوع ملحوظ للنبر والتنغيم:

"فالتنغيم الذي يتولد عن تلوّن النبر عامة، يبيث في الكلام نبضات مختلفة القوة والضعف، متفاوتة الأشكال والمستويات، فيؤسّر على جهاز النطق تنقلاً بين موجات متساوقة تستبعد الرتوب والتكؤ

(282) المصدر نفسه، 139/2، وفسّره بقوله: أي كل ما مُنِعَه الإنسان كان أحرص عليه.

(283) المصدر نفسه، 328/2، وفسّره بقوله: أي ما منعك ممّا ظهر لك أولاً، قاله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه للزبير بن العوام رضي الله عنهما يوم الجمل، يريد ما الذي صرفك عما كنت عليه من البيعة وهذا متصل بقوله: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا ممّا بدا.

(284) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، د. فخر الدين قباوة، ص 55، وهنا يستخدم قباوة لفظة المقطع المتوسط بدلاً عن الطويل.

(285) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، فخر الدين قباوة، ص 107.

(286) المرجع نفسه، ص 58، بتصرف.

والملا، بالتردد في حيز ضيق محدود، وتتيح لدقات النفس الانسياب، ولجميع أعضاء النطق تبادل العمل بتعاون وانسجام⁽²⁸⁷⁾.

ويقول باحث آخر: "إيقاع التنفس يتغير في الكلام لأن الكلام المستمر لن يكون ممكناً بغير هذا، فلأجل منع انقطاع تيار الكلام يتغير إيقاع التنفس بطريقة معينة بحيث إن اللحظات التي يؤخذ فيها النفس تتوافق مع الفواصل النحوية للمنطوق، أي أنها تتزامن مع بنية المنطوق.

وهذا يعني أن ضبط التنفس بوجهه التخطيط لبنية المنطوق في كل من تزويد جهاز النطق بالطاقة والوقت المستغرق لإنتاج المنطوقات، وهذا في الواقع إجراء اقتصادي للغاية⁽²⁸⁸⁾.

والتنغيم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنبر وهذا ما نلاحظه في قولهم:

— "أُتلف من سلف"⁽²⁸⁹⁾.

فالنبر هنا على المقطع الثالث "من اليسار إلى اليمين" وهو "أُت" قد يخرج التنغيم إلى معنى التقرير، وتغيير المقطع المنبور يغير التنغيم، وتغيير التنغيم يغير المعنى فإذا ما نبرنا المقطع الثاني "أُت" فإن التنغيم قد يخرج إلى معنى الاستهزاء.

وكذلك قولهم:

— "ما عنده شوب ولا روب"⁽²⁹⁰⁾.

والنبر هنا على المقطع الثاني قد يخرج التنغيم إلى معنى الإخبار "شو" وتغيير المقطع المنبور ليصبح على المقطع الأول "شوب" قد يخرج التنغيم إلى معنى الاستهزاء والسخرية، والنبر في المثالين السابقين هو نبر صرفي، وهناك نبر من جهة المعنى يُسمى نبراً دلالياً يقوم على زيادة النبر لبعض مقاطع الكلمة مع ارتفاع في نطقها، فالزيادة تفيد التوكيد للمعنى المراد، فزيادة الصوت في كلمة أُتلف تؤكد معنى التلّف دون غيره، وزيادة الصوت في كلمة شوب تؤكد نفي الشوب أكثر من الروب، وانتقاله إلى الروب يؤكد النفي في الروب أكثر من الشوب، فأنت تنبر الكلمة التي يقتضي الموقف تضخيمها وإظهارها بين سائر الكلمات لأنها مناط التوكيد⁽²⁹¹⁾.

(287) المرجع نفسه، ص 69.

(288) اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ص 291.

(289) الدرّة الفاخرة، الأصيهاني، 97/1.

(290) مجمع الأمثال، الميداني، 321/2، وفسره بقوله: الشوب: العسل، الروب: اللبن الرائب.

(291) مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ط 1990، ص 163.

ويمكننا تلمّس مظاهر الاقتصاد اللغوي فيما سبق ذكره، بما يولّده التنغيم من نبضات في الكلام مختلفة القوة والضعف بحسب النبر، وهذا يُيسّر على جهاز النطق التنقل بين موجات صوتية متعددة ومختلفة، تبتعد عن الرتابة والملل، وتعطي لجهاز التنفس فسحة من التدفق والانسياب بين الشهيق والزفير فضلاً عن دورها في الإغناء عن تكرار الكلمات، فالنبر الدلالي، يغني عن تكرار تلك الكلمات، لأنه يُفيد تأكيد المعنى المراد، بمجرد النبرات المتدفقة فهو بديل من تكرار تلك الكلمات كما هو معروف في التوكيد اللفظي⁽²⁹²⁾.

10 – التخلّص من التفرّيعات الكثيرة، والأنواع المختلفة للظاهرة الواحدة:

فنحن نعلم أنّ العربيّة الفصحى تملك ثلاث علامات تأنيث هي: التاء، الألف المقصورة، الألف الممدودة، فقد ضاعت علامتان الثانية والثالثة وحلّت محلّهما العلامة الأولى في بعض الأمثال المدروسة⁽²⁹³⁾، ومن ذلك قولهم:

— "لقيته صحرة بحرة"⁽²⁹⁴⁾.

يقول الميداني: هما اسمان جعلاً اسماً واحداً، وأصل صحرة من الصحراء وهو الفضاء، وأصل بحرة من البحر وهو الشق الواسع ومنه سمي البحر لأنه شق من الأرض، فهنا نلاحظ ميل القائل إلى التخلّص من المد في صحراء لتصبح تاءً، وكذلك قولهم: "أحسن من بيضة في روضة"⁽²⁹⁵⁾، وهنا نرى أيضاً ميل القائل إلى التخلّص من المد في "بيضاء" لتصبح تاءً سعياً وراء الخفة والسهولة.

يقول أحد الباحثين: "وفي هذا الاختصار للتفرّيعات، اقتصاد للجهد الذهني، إذ يستغني ابن العربيّة عن كثير من المواد الجديدة البعيدة عن مألوفة، ويبقى في أحياز متداولة ميسرة يستوعبها مما تحتمله التراكيب في ضم الحروف بعضها إلى بعض، لتبقى تلك المهملات رصيذاً احتياطياً، ينتظر ما يناسبه من المقاصد الجديدة البعيدة عن المألوف فيستعمل حينذاك. ثم في هذا أيضاً اقتصاد للجهد العلاجي، إذ يستخدم المتكلم من التراكيب ما هو محدود في أحرف قليلة"⁽²⁹⁶⁾.

(292) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، د. فخر الدين قباوة، ص 69، بتصرّف.

(293) التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، ص 55.

(294) مجمع الأمثال، الميداني، 189/2. وفسّره بقوله: أي خالياً ليس بيني وبينه حاجز.

(295) التحفة الأدبية في الأمثال العربيّة، نصري قصير، مطبعة العصر التاسع عشر "د. ط و د. ت" ص 180.

(296) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفردة، د. فخر الدين قباوة، ص 37.

11 – استخفاف بعض الأصوات، يمكننا تتبع أنماط الاستخفاف في الأصوات العربية من خلال

خمس ظواهر هي:

التقريب، والتوحيد، والنقص، والزيادة، والنقل.

1) التقريب بين الأصوات:

يمكننا ملاحظة التقريب بين الأصوات المتنافرة بشكل خاص، "فكثيراً ما تتوضع في اللفظ الواحد أصوات بينها تنافر صوتي، يثقل على جهاز التصويت تداوله بدقة ووفاء، فيتناوله بضروب من التعديل والتبديل، ليقرب بعضه من بعض، ويقيم بينهما قناة مشتركة تيسر الجريان الصوتي" (297).

وتمثل التقريب أو التجنيس (298) في الأنماط التالية:

أ – المُشاكلة:

"نريد بالمشاكلة أن يصير الحرفان المتنافران، وهما متماسان أو متجاوران، متوافقين في التصويت، بتقريب أحدهما من الآخر في إحدى الصفات الغالبة" (299).

وذلك من مثل قولهم:

— "عند التصريح تريح" (300).

— "ليس في التصنع تمتع ولا مع التكلف تطرف" (301).

فإذا ما حاولنا هنا نطق التاءات في الكلمات "التصريح، التصنع، تطرف" نلاحظ انحرافاً في مخرجها لتقترب من الطاء في الإطباق أو الاستعلاء، وتشاكل الأحرف التي بعدها" (302).

ومن المشاكلة قولهم: "كمستبضع التمر إلى هجر" (303).

(297) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفردة، د. فخر الدين قباوة، ص 159.

(298) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1987، ص 243.

(299) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 159.

(300) مجمع الأمثال، الميداني، 657/1، وفسره: أي إذا صرح الحق استرحمت ولم يبق في نفسك شيء، وأراح معناه استراح.

(301) مجمع الأمثال، الميداني، 270/2.

(302) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 160.

(303) المستقصى، الزمخشري، 233/2، وفسره: كانت معدن التمر قبل العراقيين.

— "سقياً ورعياً" (304).

— "أفرط فأسقط" (305).

فهنا نلاحظ في الكلمات التي جاء فيها حرف السين "كمستبضع، سقياً، أسقط" قد انحرف النطق بها إلى "كمصتبضع، صقياً، أصقط".

"كما جاء في لغة بلعبر بتقريب ما بين الحرف الأول أي السين المنسقلة والأحرف المستعلية بعده، إذا تقوم الصاد بذلك، فهي أخت السين في الرخاوة والهمس لما فيها من الاستعلاء، وهو القاسم المشترك بينها وبين تلك الأحرف" (306).

"وكان الأعراب الأكثر الأجود في كلامهم ترك السين على حالها، وإنما يقولها من العرب بنو العنبر، وقالوا صاطع في ساطع، لأنها في التصعد مثل القاف، وهي أولى من القاف، لقرب المخرجين والإطباق" (307).

ب — المجانسة:

وهي أن "يصير الصوتان المتماسان أو المتقاربان متناسبين، من جنس واحد، أي مشتركين في المخرج، مختلفين في الصفة ويقع هذا بين حركة وحرف، أو بين حرفين، إذ يكون تفاعل بينهما لينتقل أحدهما إلى مخرج الآخر" (308).

ومن ذلك قولهم:

— "ذياب في ثياب" (309).

— "هو يشوب ويروب" (310).

(304) كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ، لأبي يوسف يعقوب بن اسحق السكيت، هذبه: أبو بكر زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة المقدسة ط3، "د.ت"، ص 585، وفسره: أي سقاك الله ورعاك أي حفظك.

(305) جمهرة الأمثال، العسكري، 24/1.

(306) الاقتصاد اللغوي، د.فخر الدين قباوة، ص 160.

(307) الكتاب، سيبويه، 480/4.

(308) الاقتصاد اللغوي، د.فخر الدين قباوة، ص 160، وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د.عبد الصبور شاهين، ص 243.

(309) زهر الأكم، اليوسي، 7/3، فسر سابقاً.

(310) مجمع الأمثال الميداني، 472/2، فسر سابقاً.

فهنا نلاحظ إبدال الهمزة ياءً في الأول بعد الذال المكسورة، والهمزة واواً في الثاني بعد الراء المضمومة، فقد أصبح الحرفان مشتركين في المخرج كما هو واضح⁽³¹¹⁾.

وكذلك من المجانسة قولهم: "لا يَنْبِتُ البَقْلَةُ إِلَّا الحَقْلَةُ"⁽³¹²⁾.

"من كلا جنبيك لا لبيك"⁽³¹³⁾.

فهنا نلاحظ المجانسة بين حرفين صامتين، فإذا أردت نطق "ينبت" "جنبيك"، تحسّس أن النون قد انحرفت عن مخرجها، ودخلت حيز الميم، ذلك لأن النون الساكنة لها غنة في الخياشم تتافر الباء، والميم أخت الباء في المخرج وأخت النون في الغنة فتحلّ محلّ النون لمجانسة الباء مع الاحتفاظ باستطالة الغنة⁽³¹⁴⁾.

ومن المجانسة قولهم: "شقيّ لقي"⁽³¹⁵⁾.

فالياء في "لقي" انقلبت عن واو، لتجانس ما قبلها من كسرٍ وفي ذلك يقول قائل المثل: "اللقي مفعول من اللقوة يقال لقي فلان فهو ملقوّ، ثم نقلوا مفعولاً إلى فعليل كما قالوا مقتول ومجروح ثم نقل إلى فعليل فقيل قتل فكأن أصل لقي لقيوّ فلما اجتمعت الياء والواو وسبقت إحدهما صاحبتهما بسكون صيروا الواو ياءً وأدغموها في الياء التي بعدها كما قالوا: لوتيه ليّاً وكوتيه كيّاً والأصل لويّاً وكويّاً"⁽³¹⁶⁾.

ج – الممازجة:

وهي أن "يؤدي التفاعل بين الصوتين إلى تبدل في أحدهما، ليصير من جنس الآخر، فيمتزج الأول بالثاني، مكونين صوتاً واحداً"⁽³¹⁷⁾.

ومن ذلك قولهم: "إنه لرابط الجاش على الأغباش"⁽³¹⁸⁾.

(311) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، 601 بتصرف.

(312) مجمع الأمثال، الميداني، 233/2 وفسره: يقال الحقلة القراح أي لا يلد الوالد إلا مثله وقال الأزهري: يضرب للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل الخسيس.

(313) المصدر نفسه، 232/2 وفسره بقوله: ويروى جانبك وهما سواء يضرب للمخذول.

(314) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 161 بتصرف، وكذلك انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص 187.

(315) الأمثال لأبي عكرمة الضبي، تحقيق رمضان عبد التواب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق "د. طودت" ص 101.

(316) الأمثال لأبي عكرمة الضبي، ص 101.

(317) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 162.

(318) مجمع الأمثال، الميداني، 73/1 فسر سابقاً.

فالهمزة هنا في كلمة "جأش" تحولت إلى صوت من جنس الحركة التي قبلها وهي الفتحة، لتمييز به ويتكون منهما حرف مد "جأش" هو الألف وفي ذلك تخلص من الصوت الانفجاري "الهمزة" وتسهيل في النطق⁽³¹⁹⁾.

ومن الممازجة قولهم: "آخر الداء العياء الكي"⁽³²⁰⁾.

فالألف هنا في "آخر" أصلها همزة، فانقادت لما قبلها بأن صارت مداً من جنسه، لتمييز بها امتزاجاً كاملاً، مشكلين مقطعاً ممدوداً أيضاً⁽³²¹⁾.

وكذلك من الممازجة قولهم: "أيت به من حسك وبسك"⁽³²²⁾.

فالحرف الأول في "أيت" همزة وصل، ووقوعها قبل الهمزة من الإتيان شكلاً تعثراً في بدء النطق السريع، فحمل ما بعده على الانفعال به للاندماج⁽³²³⁾.

2) توحيد الأصوات:

قد يكون في الكلمة الواحدة تماس أو تقارب بين أصوات يثقل أدائها أو يتعذر، لما تحمله من تنافر، في هذه الحالة يتولد بالاحتكاك بين الحروف أو الحركات تبدلات اضطرارية، ليزول الثقل والتعذر وينفق الصوتان على شكل يوحد مصيرهما⁽³²⁴⁾.

وتأتي هذه التحولات في الضروب التالية:

أ – المماثلة في الحرف:

وتعني أن يكون تفاعل بين الحرفين المتقاربين ليصيرا من لفظ واحد، ومن ذلك قولهم: "أكثر الظنون ميون"⁽³²⁵⁾.

فهنا نلاحظ إدغام لام التعريف في "الظنون" بالطاء بعدها، لتدغم فيها ويكون ما يشبه الحرف الواحد، فيرفع اللسان بهما دفعة واحدة.

(319) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 163 بتصرف.

(320) المجهول، ص33، وفسره: لأنه إنما يعالج بالكي إذا لم تبقى حيلة، فإما برأ وإما مات فكان آخر الداء لذلك.

(321) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 162.

(322) كتاب الأمثال، للإمام أبي عبيدة القاسم بن سلام، حققه د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون، ط1، 1980 ص232.

(323) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 162.

(324) المرجع نفسه، ص 166.

(325) مجمع الأمثال، الميداني، 134/2، وشرحه بقوله: المين: الكذب وجمعه ميون يضرب عند الكذب وتزييف الظن.

وفي ذلك يقول أحدهم: "ذلك أن مخرج اللام بين طرف اللسان ولثة الثنايا العليا، ومخرج الحروف الشمسية في حيز تلك اللثة وطرف اللسان أيضاً، والتنقل بين المخرجين المتداخلين يقتضي التعثر كمشية المفيد.

فلا بد من أن تتنازل اللام عن شخصيتها الصوتية، وتلجأ إلى حيز مخرج ما بعدها، لتدمج فيه ويكوناً صوتاً يمثل التوحد والإدغام والتيسير⁽³²⁶⁾.

ومن المماثلة قولهم: "أخذ البريء بالجري"⁽³²⁷⁾.

وفي رواية أخرى: "أخذ البريء بالجري"⁽³²⁸⁾.

"لفظ الهمزة بعد الياء المدية يقتضي جهداً عضلياً ظاهراً، للانتقال من سكون إلى نبر، ولذلك فإن العربي يستعين بمضاعفة المد، ليتيسر له تحقيق الصوت المنبور، وتجنباً لتلك المعاناة، لجأ أهل الحجاز إلى إبدال الهمزة حرفاً ليناً من جنس المد قبلها"⁽³²⁹⁾.

ب – المماثلة في الحركة:

استثقل بعض العرب أحياناً أداء الأحرف المتجاورة أو المتقاربة، بالانتقال بين حركتين مختلفتين، فلجأ بعضهم إلى المماثلة الصوتية بين الحركتين، لجعلوا الأولى منهما بلفظ الثانية، تخفيفاً على اللسان⁽³³⁰⁾.

من ذلك قولهم: "اطلب ذاك و خلاك ذم"⁽³³¹⁾. فالطاء في "اطلب" ساكنة، ولحقت به همزة الوصل، وجاء بعد الحرف الساكن حرف مضموم هو اللام، فالهمزة هنا تتحول حركتها من الكسر إلى الضم للمماثلة.

وكذلك قولهم: "جاء بالطم والرم"⁽³³²⁾.

(326) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 166.

(327) تمثال الأمثال، لأبي المحاسن محمد بن علي العبدري الشيبني، حققه: د. أسعد ذبيان، دار المسيرة، ط1، 1982م، 148/1، وشرحه: الجريء، الشجاع، وقد لا يهزم وهو بالهمز أيضاً المقدام.

(328) المصدر نفسه، 148/1.

(329) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 167.

(330) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 168.

(331) المستقصى، الزمخشري، 224/1، وقال: أي جاوزك، ولم يلزمك وقال: أي اطلب الحاجة باذلاً جهداً في طلبها ولا عليك إذا لم تقض، يضرب في نفي الذم عن أعذر في الطلب وإن لم يظفر.

(332) مجمع الأمثال، الميداني، 223/1، وقال: الطم، البحر، وقال ابن الأنباري: الطم الماء الكثير والرم الثرى.

وقال الأزهري الطم بالفتح وهو البحر "وإنما كُسرت الطاء في هذا المثل لمجاورة اللام"⁽³³³⁾.

ج – المناظرة:

وهي التصرف في الصيغ لغير سبب صوتي ظاهر في البنية، لتصير الكلمات نظيرة ما تشاركه في المبنى أو المعنى لمقاصد شكلية فنية، وفي هذا تيسير للفظ من ناحية، وتهيئة لإدراك الدلالات المقصودة⁽³³⁴⁾.

ومن ذلك قولهم: "من حب طبّ"⁽³³⁵⁾.

فهنا حب أصلها أحب بالهمز فالقائل تخلص من الهمزة في أحب لينظر طب في الوزن والحروف.

وقولهم: "لقيته أول صوك وبوك"⁽³³⁶⁾.

فالقائل هنا صير الصيك صوكاً للازدواج، والصوك يدل على السكون والبوك على الحركة⁽³³⁷⁾.

وقولهم: "تركتم في حيص بيص"⁽³³⁸⁾.

يقول القائل: "وحيص من بنات الياء وبيص من بنات الواو فصيرت الواو ياءً ليزدوجا"⁽³³⁹⁾. أي قلبت الواو ياء لتناظر الياء في "بيص".

(333) مجمع الأمثال، الميداني، 223/1.

(334) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 170، بتصريف.

(335) مجمع الأمثال، الميداني، 335/2، وفسره: من أحب فطن واحتال لمن يحب، والطب: الحنق.

(336) المصدر نفسه، 209/2 وقال: أي أول شيء، باك الحمار الأتان يبوكتها بوكاً إذا نزل عليها وراك الطيب يصيك به صيكاً إذا لصق.

(337) المصدر نفسه، 209/2.

(338) المصدر نفسه، 175/1، وقال: الحيص: الفرار، والبوص: الفوت.

(339) المصدر نفسه، 175/1.

(3) نقص الأصوات:

أي تناول الأصوات بالحذف والاستبعاد وذلك نراه في الأنماط التالية:

أ - البتر:

هناك أصوات عسيرة النطق، ومنتدرة الأداء، أو ثقيلة فأزيلت أو حذفت من ذلك قولهم: "أغنى عنه من التفة عن الرقة"⁽³⁴⁰⁾.

فالأصل هنا في تفة تفهة و في رفة رفهة وجمعها رفات وتفات⁽³⁴¹⁾، فحذفت الهاء لالتقاءها بمثلها في الوقف.

ومنه قولهم: "أتق خيرها بشرها وشرها بخيرها"⁽³⁴²⁾، فهنا حذفت التاء الأولى من كلمة أتق لتخفيف التصويت وتحقيق الاقتصاد العلاجي⁽³⁴³⁾.

وكذلك قولهم: "هين لين وأودت العين"⁽³⁴⁴⁾. فكلمة هين أصلها هين والنطق بها هكذا ثقيل جداً، لذلك تخلى عن صوتين دفعة واحدة هما الحرف الصامت الياء وحركته⁽³⁴⁵⁾.

وكذلك قولهم: "صلمة بن قلمعة"⁽³⁴⁶⁾.

وكذلك قولهم: "سعيه في خياب بن هيب"⁽³⁴⁷⁾.

(340) مجمع الأمثال، الميداني، 16/2، وفسره بقوله: التفة هي السبع الذي يسمى عناق الأرض والرفة التبن، ويقال دقاق التبن.

(341) المصدر نفسه، 16/2.

(342) المصدر نفسه، 183/1.

(343) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 176.

(344) أمثال العرب، المفضل الضبي، 172، قالته امرأة عندما دهنت طرف نسعتها واسودت، وعندما سألتها النساء عن الدهن قالت المثل.

(345) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 177.

(346) مجمع الأمثال، الميداني، ص 562/1. وفسره بقوله: قال ابن الأعرابي: هذا مثل قولهم طامر بن طامر، إذا كان لا يدري من هو ولا يعرف أبوه وهو من طمر إذا وثب، يضرب لمن يظهر ويثب على الناس من غير أن يكون له قديم.

(347) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، ص 46 وفسره: أي في خسار، هيب من هاب الشيء يهابه إذا خافه أو قره أو عظمه ومنه الهيب: الكثير الخوف.

وقولهم: " غاطُ بن باطٍ" (348).

فأسماء الأعلام هنا جاء بعدها وصفٌ يعيّن اسم الآباء، فهنا حذف التتوين من الكلمات "صلمة، خياب، غاط" لمجيء ابن بعدهما منعاً لالتقاء الساكنين فالمتكلم هنا بين تحريك الساكن الأول بالكسر، وهو ثقل في اللفظ لزيادة مقطع في طرف الاسم، وبين إزالته أصلاً من السبيل، لوصل الصفة بالموصوف وقد اختار الوجه الثاني لأنه أيسر على اللسان وأقصد (349).

وكذلك قولهم: "ما يلقي الشجيّ من الخليّ" (350).

فالقائل هنا يقف على الكلمات التي في آخرها إدغام "الشجيّ" - "الخليّ" بحذف الحرف الأخير منهما لإزالة الثقل وتكوين مقطع أيسر من السابق (351) وبذلك يصبح النطق "الشجيّ - الخليّ".

ومثله قولهم: "من قلّ ذلّ ومن أمر قلّ" (352).

فهنا كذلك يلجأ القائل إلى حذف الحرف الأخير لإزالة الثقل وتكوين مقطع أيسر فيصبح "قلّ، ذلّ، قلّ" في الوقف.

يقول أحد الباحثين:

"لا يجوز عدّ ما يرد في الكلام العفوي الارتجالي من تراكيب مختزلة خطأً نحوياً والنظر إليها من منظور المعيار اللغوي، إنما ينبغي الانطلاق من معيار الاقتصاد في اللغة ثم الحكم عليها من منظور الرغبة في التعبير عن الأفكار بأيسر السبل وأقربها إلى لغتهم" (353).

(348) مجمع الأمثال، الميداني، 12/2 وفسره: يقال غاط في الشيء يغط ويغيط إذا دخل فيه ويقال هذا رجل تغط فيه الأقدام أي تغوص، وباط مثل فاض من بطا يبطو إذا اتسع، يضرب للمخلط في حديثه إذا أرادوا تكذيبه.

(349) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 177 بتصرف.

(350) مجمع الأمثال، الميداني، 296/2، وفسره: من شجاه يشجوه إذا أحزنه، ويجوز أن يقول شدد للزدواج ومعناه أي شيء الذي يلقاه الشجي من الخلي من ترك الاهتمام بشأنه لخلوه مما هو مبتلى به.

(351) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 178 بتصرف.

(352) مجمع الأمثال، الميداني، 345/2، وفسره: قال أوس بن حارثة أمر أي كثر يعني من قلّ أنصاره غلب و من كثر أقرباؤه ملّ أعداؤه.

(353) نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي سانديرس، ص 83.

ب – الإضعاف:

والمراد به "توهين شدة الصوت وتخفيضها، ليتيسر للفظ أدائه مع احتفاظ المعنى بدلالته، فكثيراً ما يكره حذف الصوت، لما يحمله من دلالات لغوية أو صرفية، أو إعرابية، ويكون في تحقيقه شيء من الثقل أو العسر، فيتناوله اللسان العربي بالصقل والترقيق، حفاظاً على حقوق الشكل والمضمون" (354).

ومن ذلك قولهم: "يضرب الماش بالدرماش" (355).

فكلمة الدرماش أصلها "الدرماش" ونطقها على هذا النحو ثقیل جداً على اللسان والأذان، وهنا يقبح بالعربي أن يُسقط أحد المثلين، فيكون التوسط بين التصريح والبت، بتوهين الحرف الأول ووصله بالثاني، ليكونا كالحرف الواحد المديد فيصبح الدرماش (356).

ومن الإضعاف ترقيق الحرف في مثل قولهم: "عاشرينا وأخبرينا" (357).

فالراء هنا جاءت مرققة لأنه وليها صائت الكسر الطويل أو حرف المد كما يعرفه أجدادنا. ومن الإضعاف إمالة الألف لدى الحجازيين، لأنها توهين لانفراج الفم في التصويت، وانحراف به ليكون بين الألف والياء، وإنما يقع ذلك إذا كان قبل الألف أو بعدها كسرة أو ياء أو إمالة (358).

ومن ذلك قولهم: "إلى أن يجي الترياق من العراق مات الملسوع" (359) فهنا جاءت الألف مسبوقة بياء في "الترياق" فأميلت الياء لتناسب الألف "الترياق". وكذلك قولهم: "ذهبوا عساريات وعشاريات" (360).

هنا أيضاً جاءت الألف وقد سبقت بياء فلحقت بها الإمالة لتناسب الألف:

(354) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 183.

(355) مجمع الأمثال، الميداني، 512/2، وفسره: يضرب لمن يخلط في القول أو الفعل.

(356) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 183.

(357) المستقصى، الزمخشري، 156/2 وفسره: كان رجلان يتعشقان امرأة وأحدهما جميل والآخر دميم، فكان جميل يقول: عاشرينا وانظري إلينا، ويقول الدميم: عاشرينا وأخبرينا، فأنتهما متتكررة وقد نحرا جزورين فوجدت جميل يلمس الدسم ويأكل الشحم فاستطعمته فأعطاها وأما الدميم فكان يعطي كل سائل فسألته فأعطاها الأطائب، وقدمت إلى كل واحد، فغضب جميل، وأقصته ورغبت في الدميم.

(358) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 186، بتصرف.

(359) مجمع الأمثال، الميداني، 121/1 لم يذكر حول معناه شيء، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة ترق 32/10 فارسي معرب هو دواء السموم لغة في الدرياق والعرب تسمي الخمر ترياقاً وترياقاً لأنها تذهب بالهم.

(360) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، ص 57 وفسره أي متفرقين.

"عساريات، عشاريات".

"وإنما لجأت تلك القبائل إلى الإمالة لأن الانتقال بين تلك الأصوات والألف فيه شدة كمن يتصعد في زاوية حادة من طرف أحد أضلاعها إلى الرأس، ثم يهبط إلى طرف الضلع الآخر، كل هذا بخطوتين متصلتين ولتخفيف هذه المشقة في إخراج الكلام، ينعطف التصويت بإمالة بين الألف والياء، فيصير كالسير في خطٍ منحنيٍّ محدّب لطيف، بدلاً من التقلّب العنيف" (361).

وكذلك من الإضعاف الروم: "وهو الإشارة إلى الحركة مع صوت خفي في المرفوع والمضموم، والمجرور والمكسور، دون المنصوب والمفتوح" (362).

ومن ذلك قولهم: "ذهب أهل الدثر بالأجر" (363).

فقد يجد القائل حرجاً في التسكين للحرف الأخير "الأجر" فيروم ثلث الكسرة تنبيهاً على ذلك، ويسقط باقي صوتها، لئلا يعيب شيء من المراد (364).

ومن الإضعاف أيضاً الإشمام "وهو الإشارة إلى الحركة من غير تصويت، ويختص بالمرفوع والمضموم دون غيرهما" (365).

ومن ذلك قولهم: "الخلاء بلاء" (366).

فهنا قد يذهب القائل بصوت الضمة كله، ويشير إلى ذلك بضم الشفتين.

(361) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 186.

(362) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، ص 117.

(363) مجمع الأمثال، الميداني، 389/1 وفسره: الدثر كثرة المال، يقال: ماله دثر ومالان دثر، وأموال دثر أي كثير.

(364) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 189 بتصرف.

(365) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، ص 117.

(366) جمهرة الأمثال، العسكري، 358/1 وفسره: المثل للقمان بن عاد قاله عندما خرج يطوف ووجد امرأة جالسة مع رجل تحدثه فوقف لقمان فحيا فلم يردا عليه، ثم سلم الثانية فردا ولم يجدا حولهما أحد. فقال المثل.

4) زيادة الأصوات:

ونقصد به زيادة أو إضافة بعض الأصوات على الأصل لتأمين الجهد الأدنى للفظ وذلك عبر الأنماط التالية:

أ - الفصل:

"وهو إقحام صوت أو أكثر بين المتنافرين أو المتماثلين أو المتجانسين لإزالة ثقل الأداء اللفظي، فيما هو كلمة واحدة أو كالكلمة"⁽³⁶⁷⁾.

ومن ذلك قولهم: "لا تعطيني وتعظني"⁽³⁶⁸⁾.

فهنا نلاحظ إقحام نون الوقاية في "تعطيني" قبل ياء المتكلم، والياء حرف مد يقتضي أن يكون قبله حركة من جنسه، ولأن الفعل يأنف لزوم الكسر، وياء المد لا تقبل غير ذلك، جعلت هذه النون بينهما، تزيل التنافر والاستعصاء، وتؤمن التصويت الحقيقي للطرفين، والجهد الأدنى للأداء⁽³⁶⁹⁾.

ب - التخلص:

نريد به "التصرف في أحد الساكنين المتماسين من الصيغة، لإزالة تعذر اللفظ أو ثقله"⁽³⁷⁰⁾. ومن ذلك قولهم: "جاء به من حيث أيسر وليس"⁽³⁷¹⁾.

فهنا نرى أن الظرف حيث توالى فيه ساكنان الياء والناء فتدخل الصائت لإزالة التعذر، والغاية التيسير فقد كان هذا الظرف ساكن الآخر لجموده وبعده عن التمكن فاضطر العربي إلى إلحاق الحركة المناسبة له للتخلص من العقبات، وجعل الكلمة قريبة التناول والاستخدام⁽³⁷²⁾.

ومن ذلك قولهم: "لم يُفْت من لم يُمْت"⁽³⁷³⁾.

فالأصل هنا في يفت يفوت وفي يمت يموت. ولكن القائل وجد ثقلاً في وصل الكلام فحذف حرف المد ليسهل الأداء المقطعي ويتحقق أقل جهد علاجي⁽³⁷⁴⁾.

(367) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 192.

(368) مجمع الأمثال، الميداني، 214/2، وفسره بقوله: أي لا توصيني وأوصي نفسك.

(369) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 194 بتصرف.

(370) المرجع نفسه، ص 196.

(371) المستقصى، الزمخشري، 36/2.

(372) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 196 بتصرف.

(373) مجمع الأمثال، الميداني، 270/2، وفسره: من مات فهو الفائت حقيقة.

(374) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 199 بتصرف.

ومن ذلك قولهم: "لا تكذبن ولا تشبهين"⁽³⁷⁵⁾.

فهنا الفعل لا تكذب أكد بنون التوكيد الثقيلة، فالتقى ساكنان، وهما حرفان صامتان، فحُرك الأول بالفتح بناءً ففعل لا تكذبين⁽³⁷⁶⁾.

وكذلك قولهم: "لا دريت ولا انتليت"⁽³⁷⁷⁾.

فالفعل دريت أصله درى ساكنة الآخر وعندما اتصلت بها تاء التأنيث الساكنة حذفت الألف المقصورة للتخفيف⁽³⁷⁸⁾.

ج – التمكين:

للعربية الابتداء بمتحرك، والوقوف على ساكن، فإذا اعترض ذلك مقطع يخالف صياغة المفردات، وتعذر على الأداء الكلامي، فإنه يقحم حرفاً في أول الكلمة أو آخرها، لتأمين تحقق الأصوات بالابتداء أو الوقف وتيسير الاقتصاد اللغوي⁽³⁷⁹⁾.

ومن ذلك قولهم: "اطرح وافرح طفيلي ومقترح"⁽³⁸⁰⁾.

فالفعل اطرح جاء بصيغة الأمر وعندما حذف حرف المضارعة تصدر الحرف الساكن، فاستعانت العربية بهمزة وصل تقدم هذا المقطع المبتور، وتحمل الحركة المناسبة، للتمكين من اللفظ⁽³⁸¹⁾.

ومن التمكين قولهم: "سواء علينا قاتلاه وسالباه"⁽³⁸²⁾.

فهنا جاءت الهاء بعد الألف الساكنة، حيث يستحيل الوقف التام عليها، فتدخل هاء السكت لتهدون الأداء، ذلك لأن جريان الصوت منطلق بأداء الحرف الأخير متحركاً، فإذا فاجأه السكون المجرد للوقف قطع عليه ذلك الانطلاق وحبسه عن بلوغ مداه، وهنا تتدخل الهاء لتتحمل السكون اللازم وتكون وسطاً عازلاً، يحول بين تناقض الحالتين⁽³⁸³⁾.

(375) مجمع الأمثال، الميداني، 245/2، وفسره: من التشبه أي لا تكذب على غيرك ولا تشبه بالكذب.

(376) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 199.

(377) الوسيط في الأمثال، لأبي الحسن علي بن أحمد محمد الواحدي، تحقيق: د. عفيف محمد بن عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، دار الكتب الثقافية "د.ط" 1975 ص 186 وفسره: لم تعلم و لم تقصر في الطلب لأن انتلنت من ألوت إذا قصرت.

(378) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 199.

(379) المرجع نفسه، ص 200 بتصرف.

(380) مجمع الأمثال، الميداني، 613/1.

(381) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 201.

(382) المجهول ص 68 وفسره: أي إذا رأيت رجلين قتل أحدهما رجلاً، وسلبه الآخر، فهما سواء فيه.

(383) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 204.

5) نقل الأصوات:

وهو لتيسير الأداء في بعض الأصوات وإزالة العراقيل المترتبة عن توضّعها. وذلك من خلال التّنقّل والتحوّل عبر الأساليب التالية:

أ – المخالفة:

وهي أن تعترض الأصوات المتجاورة صعوبات في التأدية الكلامية، تقتضي تصرفات تجميلية، تزيل الاستتقال⁽³⁸⁴⁾.

ومن ذلك قولهم: "إني لآتيه بالعشايا والغدايا"⁽³⁸⁵⁾.

"فأصل عشايا هنا عشاو بواو هي لامها، وتلك الواو بعد همزة منقلبة عن الياء الزائدة في عشية كما في صحيفة وصحائف، ثم قلبوا الكسرة فتحة للتخفيف، كما فعلوا في صحارى وعذارى، إلا أنهم التزموا التخفيف الجمع الذي أعلّت لامه وقبلها همزة، لأنه أثقل، ثم انقلبت اللام ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، ثم أبدلت الهمزة تخفيفاً لاجتماع الأشباه"⁽³⁸⁶⁾.

فجمع التكسير هنا عندما تطرفت فيه ألفان، وبينهما همزة مفتوحة، "غداى" صُيرت الهمزة ياءً "غدايا" لإزالة بؤرة التوتر اللفظي ولأنه يعسر لفظ الأصوات المتقاربة مع ثقل الجمع⁽³⁸⁷⁾.

ب – الانزياح:

وهو أن "ينزلق الصُّويت، وينتقل إلى موقع مجاور له مُساهمًا في تخفيف صيغة اللفظ، وتحقيق الاقتصاد العلاجي للسان"⁽³⁸⁸⁾.

ومن الانزياح قولهم: "هو يشوب ويروب"⁽³⁸⁹⁾.

فيروب هنا أصلها "يرؤب" بالهمز فحذف القائل الهمزة المتحركة، بتقديم ساكن قبلها يحتمل التحرك، واقتضى ذلك انزلاق حركتها بمكانها، لتصير للساكن المتقدم و ذلك تخلص من شدة الهمزة الانفجارية العسيرة النطق⁽³⁹⁰⁾.

(384) المرجع نفسه ، ص 204 بتصرف.

(385) الأمثال، أبو عكرمة الضبي، ص 28.

(386) درة الغواص في أوهام أهل الخواص، الحريري، ص 80.

(387) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 209 بتصرف.

(388) المرجع نفسه، ص 211.

(389) مجمع الأمثال، الميداني، 472/2.

(390) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 213.

وفيما يلي نلخص أهم النتائج التي خلصنا إليها بعد عرضنا هذا:

- 1 — من أبرز مظاهر الاقتصاد اللغوي محاولة التخلّص من الهمز لأنه صوت عسير النطق.
- 2 — من مظاهر الاقتصاد اللغوي اللجوء إلى القلب المكاني وذلك بتقديم بعض حروف الكلمات على بعض لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي.
- 3 — من مظاهر الاقتصاد اللغوي والسهولة تكرار حروف بعينها في كلمات معينة، وأكدنا أنّ هناك ارتباطاً بين سهولة النطق وتكرار هذه الحروف، الذي يعزى إلى مبدأ الجهد الأقل.
- 4 — كان لاشتراك بعض الحروف في الصفات وتنوع توزيعها فيما بينها دور في الاقتصاد اللغوي، فالازدواج والتضاد بين هذه الحروف ولد تنوعاً تنغيمياً أبعداها عن النقل.
- 5 — كان لتوزيع الأصوات العربيّة على مدارج واسعة المدى أثر واضح في التيسير النطقي.
- 6 — كان لإبدال بعض الحروف بحروف أخرى دور في الاقتصاد اللغوي، وقد وقع هذا الإبدال إمّا سعياً وراء السهولة والتيسر في النطق من ناحية المخرج، أو بسبب كثرة الاستعمال وورود الأمثال على الألسنة بكثرة، وإما لاختلاف اللهجات بين القبائل.
- 7 — كان الحذف مظهراً من مظاهر الاقتصاد اللغوي إلى جانب محاولة التخلّص من التفرعات الكثيرة للظاهرة الواحدة كما رأينا في علامات تأنيث.
- 8 — من مظاهر الاقتصاد اللغوي أيضاً تكرار مقاطع صوتية معنية تمتاز بالخفة والسهولة في لغة الأمثال المدروسة وهما المقطع الطويل المفتوح "ص ح ح" والمقطع الطويل المغلق "ص ح ص".
- 9 — ومن مظاهر الاقتصاد اللغوي كذلك شيوع ملحوظ للنبر والتنغيم في الأمثال المدروسة، فالتنغيم بما يولده من نبضات في الكلام مختلفة القوة والضعف بحسب النبر، يُيسّر على جهاز النطق التنقل بين موجات صوتية متعددة ومختلفة بعيدة عن الرتابة والملل، فضلاً عن دوره في الإغناء عن تكرار الكلمات ذات المعنى المراد.
- 10 — ومن مظاهر الاقتصاد اللغوي الاستخفاف في بعض الأصوات، من خلال خمس ظواهر هي: التقريب، والتوحيد، والنقص، والزيادة، والنقل.

الفصل الثاني

الدراسة الصوتية

1. التنعيم.
2. النبر.
3. المقطع.

أولاً: التنغيم:

وقيل: "هو رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة"⁽¹⁾. وقيل: "هو إعطاء الكلمات نغمات معينة تنتج من اختلاف درجة الصوت التي تُحدّد وفق عدد الذبذبات التي يولّدها الوتران الصوتيان"⁽²⁾.

إنّ تنغيم الجملة هو محصّلة نهائية لثلاثة أمور:

1 — نغمة الكلمة.

2 — النمط التنغيمي⁽³⁾.

3 — التغيرات النغمية الناشئة عن الانتقال من نغمة كلمة إلى نغمة كلمة أخرى، وتسمى بنغمة الاتصال أو المجاورة.

وبناءً على ما تقدّم يمكننا القول: التنغيم من الظواهر الصوتية التي تساعد في تحديد الدلالة، لأنّ تغير النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة، وقد وجد بعض الباحثين أنّ الفونيمات* تقسم إلى نوعين:

فونيمات رئيسية، وفونيمات ثانوية، أمّا الفونيمات الرئيسية فهي تلك العناصر التي تكون جزءاً أساسياً من الكلمة المفردة وذلك كالباء والتاء والياء... الخ، وأمّا الفونيمات الثانوية فهي ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى في الكلام المتصل؛ فهي لا تكون جزءاً من تركيب الكلمة، بل تظهر وتلاظ فقط حين تضم كلمة إلى أخرى، أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة، كأن تستعمل جملة، ومن ثمّ سميت الفونيمات الرئيسية بالفونيمات التركيبية، وسميت الفونيمات الثانوية بالفونيمات ما فوق التركيبية ومن أمثلة الفونيمات الثانوية النبر والتنغيم⁽⁴⁾.

(1) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخابجي بالقاهرة، ط2 1985م، ص 206.

(2) اللغة العربية ثوابت ومتغيرات، دراسات في التغير اللغوي، الدواعي والآفاق، د. محمد عبدو فلفل، دار الينابيع، ط1، 2002م، ص 187.

(3) يقصد الكاتب بالنمط التنغيمي تحديد الإمكانات الأساسية التي يترتب عليها تغير صوتي أو نحوي. دراسة السمع والكلام د. سعد مصلوح، عالم الكتب (د.ط)، 1980 م، ص 260.

(*) الفونيم: "هو أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني" مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قنّور، ص 104.

(4) علم اللغة العام، الأصوات د. كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر، (د.ط)، 1970، ص 210 بتصرف وكذلك ينظر: التنغيم ودلالاته في العربية، يوسف عبد الله الجوارنة، مجلة الموقف الأدبي، صادرة عن اتحاد الكتاب العرب، س81، ع369 / 2002م، ص 36.

وإذا ما حاولنا استجلاء وظائف التنغيم في الجملة وجدنا إجماع الباحثين حول هذه الوظائف ودورها في الجملة يقول أحدهم: "وقد أدرك النحاة العرب القدماء قيمة النغمة الصوتية في تحويل الجملة من باب إلى باب ولكنهم لم يكتبوا عنه كثيراً"⁽⁵⁾.

ويقول آخر: "وللنبر والتنغيم وظيفة حيوية في كل اللغات ولهما أهمية كبرى في بيان خصائص الكلام الإنساني"⁽⁶⁾.

وقد كان للتنغيم دورٌ واضحٌ في تحديد المعنى وفهم الدلالة في جميع الأمثال المدروسة، ونكتفي هنا بتناول أمثلة منها ندرجها فيما يلي:

— "أتى أجد على لبد"⁽⁷⁾.

فهذا المثل يكون التنغيم في نطقه محورياً رئيسياً في تحديد دلالاته، فإذا نطقنا المثل بنغمة صاعدة* من الأسفل إلى الأعلى قد يفيد معنى التعجب والاستهجان، وإذا نطقنا المثل بنغمة هابطة من الأعلى إلى الأسفل قد يفيد معنى التقرير، وإذا نطقنا المثل بنغمة مسطحة أو مستوية يمكن أن نفهم منه معنى الإخبار وهنا نلاحظ علاقة التنغيم بالنبر تتضح بجلاء، "فلا يحدث تنغيم دون نبر للمقطع الأخير في الجملة أي في الكلمة التي تقع في آخر الجملة"⁽⁸⁾.

— "أفواهها مجاسها"⁽⁹⁾.

أيضاً هنا نلاحظ دور التنغيم في تحديد دلالة المثل، فإذا نطقنا المثل بنغمة صاعدة يمكن أن نفهم منه معنى التعجب، وإذا نطقنا المثل بنغمة هابطة قد تفهم منه معنى التقرير، وإذا نطقنا بنغمة مستوية

(5) في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق في الدلالة، د. خليل أحمد عمارة، مؤسسة علوم القرآن، ط2، 1990 م، ص 173.

(6) علم اللغة العام، د. كمال محمد بشر، ص 210.

(7) جمهرة الأمثال، العسكري، 113/1 وفسره بقوله: الأبد: الدهر.

(*) اعتمدنا هنا الطريقة التي استخدمها الدكتور تمام حسان في التنغيم فقد صنف التنغيم إلى نوعين هما: النغمة الهابطة من أعلى إلى أسفل على آخر مقطع وقع عليه النبر، والنغمة الصاعدة من أسفل إلى أعلى على آخر مقطع وقع عليه النبر، وهناك نغمة سماها النغمة المسطحة لا هي بالصاعدة ولا بالهابطة، (اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص 226).

(8) الدلالة اللغوية عند العرب، د. عبد الكريم مجاهد، دار الضياء، (د.ط و د.ت)، ص 177.

(9) مجمع الأمثال، الميداني، 27/2، أصله أن الإبل إذا أحسنت الأكل، اكتفى الناظر بذلك عن معرفة سمنها، كان فيه غنى جسها.

قد نفهم منه معنى الإخبار. وتتضح هنا الصلة الوثيقة بين النبر والتنغيم، فالصوت أو المقطع الذي يضغط عليه في النطق يسمى صوتاً منبوراً⁽¹⁰⁾.

فنحن لو نطقنا كلمة مجاسها بضممة على حرف السين، لوجدنا أنّ الأصوات فيها متساوية نبراً، لكن عندما نطقنا الكلمة بالتضعيف (مجاسّها) فإن حرف السين تفاوت في النبر عن الأصوات والمقاطع الأخرى، وهذا ما يجعله ينقل الكلمة إلى بنية أخرى ذات دلالة جديدة، وهذه الدلالة تشكل جزءاً أساسياً من دلالة التنغيم، لأنه لا يحدث تنغيم دون نبر للمقطع الأخير في الجملة.

— "أكثر الأغنياء أغنياء"⁽¹¹⁾.

إذا نطقنا المثل بنغمة صاعدة من الأسفل إلى الأعلى يمكن أن نفهم من المثل معنى السخرية، وتغيير النغمة في نطقنا لتصبح هابطة من الأعلى إلى الأسفل يمكن أن يخرج المثل إلى معنى التقرير ونطقه بنغمة مستوية قد يخرج المعنى إلى الإثبات، فهنا نلاحظ "أنّ التنغيم في الكلام المنطوق كالترقيم في الكلام المكتوب، فالترقيم وضع إشارات في حالة جامدة ليس لها تأثير التنغيم الذي يصاحب الحديث فينبه ويثير ويتطلب حالة من الانتباه والمتابعة لما يجري فهو يقوم بوظيفة دلالية بما يصاحبه أيضاً من قرائن كإشاحة الوجه وتجهمه أو إقباله وانفراج أساريره"⁽¹²⁾.

— "رجلٌ ظلومٌ غشومٌ"⁽¹³⁾.

وهنا أيضاً عندما ننطق المثل بنغمة صاعدة من الأسفل إلى الأعلى يمكن أن نفهم منه معنى التهكم والسخرية، وتغيير نطقنا للمثل ليصبح بنغمة هابطة من الأعلى إلى الأسفل قد يخرج المثل إلى معنى التعجب، أما إذا نطقنا المثل بنغمة مستوية فقد نفهم منه معنى الإثبات.

— "نزلت بين المجرّة والمعرة"⁽¹⁴⁾.

(10) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1971، ص 171.

(11) خاص الخاص، الثعالبي، ص 56 وقد قاله في ذم العين.

(12) الدلالة اللغوية عند العرب، د. عبد الكريم مجاهد، ص 178.

(13) الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر بن القاسم الأنباري، تحقيق: د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، ط1، 1992، 33/2 وفسره بقوله: الذي يأخذ ما ليس له، ويضع الأشياء في غير مواضعها، والغشوم: الذي يخبط الناس ويأخذ كل ما قدر عليه.

(14) مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى، 612/2، وفسره بقوله: هما حيّان من الأحياء، والمجرّة: هي مجرّة السماء والمعرة ما وراءها من ناحية القطب الشمالي، وسميت معرة لكثرة النجوم بها، وأصله أن رجلاً سأل آخر عن منزله فأخبره أنه ينزل بين حيين من العرب، فقال نزلت بين المجرّة والمعرة، أراد حيين عظيمين ككثرة النجوم.

أيضاً هنا إذا حاولنا نطق المثل بنغمة صاعدة من الأسفل إلى الأعلى يمكن أن نفهم معناه على الاستفهام "نزلت بين المجرة والمعرّة"¹⁵ وإذا ما حاولنا نطقه بنغمة هابطة من الأعلى إلى الأسفل يمكن أن نفهم معناه على التقرير، أما نطقه بنغمة مستوية فقد نفهم معناه على الإعجاب.

— "أحزم الفريقين الركين"⁽¹⁵⁾.

فإذا نطقنا المثل بنغمة صاعدة من الأسفل إلى الأعلى يمكن أن نفهم معناه معها على التعجب "أحزم الفريقين الركين"! وإذا ما حاولنا نطقه بنغمة هابطة من الأعلى إلى الأسفل قد تخرج معناه إلى الإخبار. وكذلك نطقه بنغمة مستوية قد تخرج معناه إلى التأكيد.

— "الإيناس قبل الإبسّاس"⁽¹⁶⁾.

هنا أيضاً عندما ننطق المثل بنغمة صاعدة من الأسفل إلى الأعلى قد يفيد التنغيم معها معنى الاستفهام الإيناس قبل الإبسّاس؟ أو التعجب: الإيناس قبل الإبسّاس، وتغيير النغمة لتصبح هابطة من الأسفل إلى الأعلى قد يخرج المثل إلى معنى التقرير، أما نطقه بنغمة مستوية فقد تخرج معناه إلى الإخبار.

— "تركه الله حتّا فتّا لا يملأ كفاً"⁽¹⁷⁾.

فهذا المثل يتألف من جملتين يتضح معناهما معاً من خلال التنغيم فهو ينطق بالصورة التالية:
"تركه الله حتّا فتّا لا يملأ كفاً"؟ ذات نغمة صاعدة من الأسفل إلى الأعلى قد تفيد معنى الاستفهام.
"تركه الله، حتّا فتّا، لا يملأ كفاً" ذات نغمة هابطة من الأعلى إلى الأسفل قد تفيد معنى التهكم والسخرية.

"تركه الله حتّا فتّا، لا يملأ كفاً" ذات نغمة هابطة من الأعلى إلى الأسفل قد تفيد معنى الحالية أي وهو لا يملأ كفاً.

"تركه الله حتّا فتّا لا يملأ كفاً" ذات نغمة مستوية لا صاعدة ولا هابطة قد تفيد معنى التقرير.

من خلال ما تقدّم يمكننا استنتاج ما يلي:

(15) جهمرة الأمثال، العسكري، 415/1، لم يذكر حول معناه شيء، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة ركك.

432/10 الركيك والركاكة والأرك من الرجال: الفصل الضعيف في عقله ورأيه.

(16) مجمع الأمثال، الميداني، 82/1 وفسره: يقال: أنسه أي أوقعه في الأنس وهو نقيض أوحشه، والإبسّاس الرفق بالناقة عند الحلب وهو أن يقال لها بس بس، يضرب في المداراة عند الطلب.

(17) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، ص 572 وفسره بقوله: إذا دُعي على الإنسان.

- 1 — التنغيم تغيرات موسيقية تتناوب الصوت من صعود إلى هبوط أو من انخفاض إلى ارتفاع، تحصل في كلامنا وأحاديثنا لغاية وهدف، وذلك حسب المشاعر والأحاسيس التي تنتابنا من رضى وغضب ويأس ونفي أو إثبات، فنستعين بهذا التغير النغمي الذي يقوم بدور كبير في التفريق بين الجمل.
- 2 — اختصاص التنغيم بالعمل على مستوى الجملة وليس على مستوى الكلمة، وهذا واضح في الأمثال السابق ذكرها.
- 3 — لا يمكن وضع نظام جاهز للتنغيم يمكن إتباعه، فهو كما رأينا محكوم بالموقف الكلامي، وبالظروف المحيطة بكل من المرسل والمتلقي.
- 4 — هناك علاقة وثيقة بين النبر والتنغيم، فلا يحدث تنغيم دون نبر للمقطع الأخير في الجملة وفي ذلك يقول أحدهم: "هناك رابطة قوية بين النبر والتنغيم، فلا بد أن تنتهي نغمة التنغيم صاعدة أو هابطة على مقطع منبور"⁽¹⁸⁾.
- 5 — للتنغيم دلالة نحوية، حيث يلعب دوراً في التمييز بين التراكيب الاستفهامية والتقريرية دون استخدام أدوات أو أسماء تفيد الاستفهام. وفي ذلك يقول أحدهم: "التنغيم هو الذي يبرز خصائص بعض الأساليب والتراكيب التي تكون محذوفة بعض عناصرها فمثلاً هناك التراكيب التي تحتوي على أدوات استفهام وليست استفهامية وتلك التي لا تحتويها والسياق يشير إلى الاستفهام فيها"⁽¹⁹⁾.
- 6 — التنغيم في الكلام المنطوق كالترقيم في الكلام المكتوب. وفي ذلك يقول أحدهم: "التنغيم يميز لغة الخطاب عن اللغة المكتوبة، فهو في الأولى كما الترقيم في الثانية، كل منهما يقوم بوظيفة دلالية في تحديد المعنى"⁽²⁰⁾.

(18) الدلالة اللغوية عند العرب، د. عبد الكريم مجاهد، ص 180.

(19) التنغيم ودلالته في العربية، يوسف عبد الله الجوارنة، مجلة الموقف الأدبي، ص 39.

(20) المرجع نفسه، ص 38.

ثانياً: النبر:

"وهو وضوح نسبيّ لصوتٍ أو مقطعٍ إذا قُورِنَ ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام"⁽²¹⁾. و يعرفه آخر بقوله: "فاعلية فيزيولوجية تتخذ شكل ضغطٍ أو إقبالٍ يوضع على عنصر صوتي معيّن في كلمات اللغة"⁽²²⁾.

والنبر في العربية يتحقّق بوجود عاملين:

1 — الوظيفة الدلالية المكتسبة في الكلمة.

2 — البنية الصوتية للكلمة الناتجة باعتبارها ذاتاً مستقلة موجودة وجوداً فيزيائياً كاملاً⁽²³⁾.

إنّ التعاريف السابقة للنبر تقودنا إلى القول: إنّ المقطع الذي يعلو فيه صوتنا ويقوى عن مستوى الكلام العادي يعدّ منبوراً، فالمتكلّم في أثناء حديثه سواء كان صوته قوياً أم ضعيفاً — بشرط الوضوح السمعي — يعلو صوته أو يقوى أحياناً عن مستواه العادي. عندها يمكننا القول: إنّ المتكلّم ينبر في كلامه بمعنى أنّ هناك مقاطع ارتفعت درجة صوتها فاكستبت وضوحاً زائداً بالمقارنة مع المقاطع الأخرى⁽²⁴⁾.

وذهبت فئة من الباحثين إلى إنكار وجود النبر في العربية معلّين ذلك تعليلاتٍ مختلفة من ذلك قولهم: "إنّ اللغة الضاغطة كثيراً ما يحدث فيها حذف الحركات غير المضغوطة، وتقصيرها وتضعيفها، ومدّ الحركات المضغوطة"⁽²⁵⁾. وكذلك قولهم: "ليس لدينا من دليلٍ يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربيّة كما كان يُنطق بها في العصور الإسلاميّة الأولى، إذ لم يتعرّض له أحدٌ من المؤلفين القدماء"⁽²⁶⁾. ويعلق الدكتور رمضان عبد التّوّاب على قول برجشتراسر السابق فيقول: "هذا هو رأي المؤلف، أما أنّه ليس لدينا نص نستند إليه في معرفة حالة النبر في العربية القديمة فهذا صحيح، وأمّا أنّ العربية لم تكن تنبر، فإننا نشك في ذلك الذي قاله برجشتراسر، وهو يغفل في كلامه التطوّر

(21) مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص 116.

(22) في البنية الإيقاعية للشعر العربي، نحو بديل جذري لعروض الخليل ومقدمة في علم الإيقاع المقارن، د.كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، ط2، 1981م، ص 220.

(23) المرجع نفسه، ص 308.

(24) الدلالة اللغوية عند العرب، د. عبد الكريم مجاهد، ص 169 بتصرّف.

(25) التطوّر النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها المستشرق الألماني برجشتراسر في الجامعة المصريّة عام 1929، د. رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4، 2003 م، ص 72.

(26) الأصوات اللغويّة، د. إبراهيم أنيس، ص 172.

اللغوي، وتأثير الشعوب التي غزتها العربية بعاداتها القديمة في النبر، وأثر ذلك في اختلاف موضعه من الكلمة⁽²⁷⁾.

ونحن نميل إلى معرفة العرب القدماء للنبر وإن لم يذكروه بالاسم، فالمفهوم كان واضحاً في أذهانهم ويمكننا الاستشهاد على ذلك بقول أحدهم: "وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملتته وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ بالله هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو نحو ذلك⁽²⁸⁾. وقد رأينا أن للنبر* دوراً واضحاً في تحديد دلالة الأمثال المدروسة، وسنعرض فيما يلي مجموعة من الأمثال تعكس هذا الدور وتؤكد بهجاءه ومن ذلك نذكر قولهم:

— "أغلظ المواطئ الحصا على الصفا"⁽²⁹⁾.

انطلاقاً من تعريفنا السابق للنبر، نحاول الآن ملاحظة دور النبر* في تحديد الدلالة، وتغيير المعنى عند السامع على مستوى الجملة أو السياق، مع ملاحظة تركزه على مقطع من المقاطع في أكثر من كلمة في المثل فإذا قلنا: أغلظ المواطئ الحصا على الصفا، ورفعنا صوتنا في كلمة (الحصا) وضغطنا على أحد مقاطعها دلّ ذلك على أنّ المتكلم لديه شك في مكان الدوس، وإذا ما حاولنا تغيير موضع النبر ليصبح في كلمة (الصفا) وضغطنا على أحد مقاطعها دلّ ذلك أن المتكلم لديه شك في نوعية الأرض المداس عليها.

— "إنّ ألبها لها"⁽³⁰⁾.

(27) التطوّر النحوي للغة العربية، رمضان عبد التواب، ص 72.

(28) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الخانجي بالقاهرة، ط4، 2003، 370/2. (* حللنا الأمثال هنا وفق الطريقة التي أشار إليها إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 175، وهنا اعتمدنا نبر السياق في تحديد المعنى على خلاف تحليلنا في الفصل السابق حيث اعتمدنا نبر الكلمات.

(29) مجمع الأمثال، الميداني، 16/2. وفسّره بقوله: أي موطئ الحصى. ولم يزد على ذلك، بالعودة إلى لسان العرب مادة وطئ وجدنا 195/1 وطئ الشيء يطؤه وطأ: داسه. الصفا: مادة صفا 414/14 موضع بمكة، والصفا: اسم أحد جبلي المسعى، والصفا: العريض من الحجارة الأملس. يضرب للأمر يتعذر الدخول فيه والخروج منه.

(•) اعتمدنا هنا في التطبيق نبر السياق أو الجمل وهو أن يعمد المتكلم إلى كلمة في جملة فيزيد من نبرها ويميزها على غيرها من كلمات الجملة، رغبة منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص، وقد يختلف الغرض من الجملة تبعاً لاختلاف الكلمة المختصة بزيادة نبرها. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص 175.

(30) جمهرة الأمثال، العسكري، 142/1، وفسّره بقوله: معناها أن جدّ القوم وجماعتهم لهم وليس لك، وهو من قولهم تألبوا عليه إذا اجتمعوا.

فإذا ضغطنا على أحد مقاطع كلمة (ألبها) ورفعنا صوتنا نرى أن النبر يمكن أن يفيد معنى التأكيد على أن الجدّ هو المقصود، وإذا غيّرنا المقطع المنبور ليصبح في كلمة (لها) وذلك بزيادة الضغط على أحد مقاطع رأينا أن النبر يمكن أن يفيد معنى التأكيد على أن الجد هو جدهم.

— "تركت دارهم حوثاً بوثاً"⁽³¹⁾.

وهنا كذلك إذا حاولنا زيادة شدة الصوت ورفعته في كلمة (حوثاً) نجد أن النبر قد أفاد معنى الشك في حدوث التفرّق، وتغيير موضع النبر ليصبح في كلمة (دارهم) قد يجعل النبر يخرج إلى معنى الشك في مكان التفرّق.

— "الحر بعد الكور"⁽³²⁾

فإذا حاولنا زيادة شدة الصوت في كلمة (الحر) وذلك بالضغط على أحد مقاطعها، نرى أن النبر قد أفاد معنى الشك في حدوث النقصان، وتغيير المقطع المنبور ليصبح في كلمة (الكور) قد يجعل النبر يخرج إلى معنى الشك في حدوث الزيادة.

— "شربَ فما نَقَعَ ولا بَضَعَ"⁽³³⁾.

وهنا نرى كذلك أن زيادة شدة الصوت، والضغط على أحد مقاطع كلمة (نقع) يمكن أن يجعل النبر يخرج إلى معنى تقرير عدم شفاء الغليل والاكتفاء، وتغيير المقطع المنبور ليصبح في كلمة شربَ يجعل النبر يخرج إلى معنى تقرير فعل الشرب.

— "من أخذ من النها وش والمهاوش"⁽³⁴⁾.

وهنا نرى أنّ زيادة شدة الصوت ورفعته في كلمة (النها وش) قد يخرج النبر إلى معنى تأكيد فعل النهش، وتغيير المقطع المنبور ليصبح في كلمة (المها وش) قد يجعل النبر يخرج إلى معنى تأكيد وقوع النهش في مكان المهاوش.

(31) مجمع الأمثال، الميداني، 195/1، وفسّره بقوله: أي أثّرت بحوافر الدواب وخربت، يقال: تركتهم حوثاً بوثاً، وحوث بوث، وحيث بيث، إذا مزّقهم وبدّدهم.

(32) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 96/3، وفسّره بقوله: الحور: النقصان، الكور: الزيادة، يضرب في الذلّ بعد العزّ.

(33) مجمع الأمثال، الميداني، 518/1، وفسّره بقوله: يقال: بضعت من الماء: رويت ونقعت أي شفيت غليلي، يضرب لمن لا يسأم أمراً.

(34) مجالس ثعلب، أبو العباس، 36/1، وفسّره بقوله: النهاوش والمها وش أخذ من نهش الحيّة والمعنى يأخذه من النهب وينفقه في غير حيلة. والمها وش: مواضع من الرمل إذا وقعت فيها رجل البعير لا تكاد تخرج.

— "النار ولا العار"⁽³⁵⁾. وكذلك نرى هنا أنّ الضغط على أحد مقاطع كلمة (النار) ورفع الصوت فيها، قد يجعل النبر يخرج إلى معنى الشك في النار، وتغيير المقطع المنبور ليصبح في كلمة (العار) قد يخرج النبر إلى معنى الشك في وقوع (العار).

— "في كل خبرة عبرة"⁽³⁶⁾.

وهنا أيضاً نرى أنّ الضغط على أحد مقاطع (خبرة) ورفع الصوت فيها، قد يجعل النبر يخرج إلى معنى الشك في الخبر، وتغيير المقطع المنبور ليصبح في كلمة (عبرة) قد يخرج النبر إلى معنى الشك في وقوع العبرة.

وهنا أيضاً نرى أنّ الضغط على أحد مقاطع كلمة (خبرة) ورفع الصوت فيها، قد يجعل النبر يخرج إلى معنى الشك في الخبر، وتغيير المقطع المنبور ليصبح في كلمة (عبرة) قد يخرج النبر إلى معنى الشك في وقوع العبرة.

ومن خلال ما تقدّم يمكننا استخلاص النتائج التالية:

- 1 — النبر هو وضوح ظاهر لصوتٍ أو مقطعٍ إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام.
- 2 — ما دمنا نربط بين النبر والعلو النسبي للصوت، فإنّ عامل الشدة يكون هو المسؤول المباشر عن درجة النبر، بحيث تكون كمية الشدة في المقطع المنبور أعلى منها في المقطع غير المنبور.

(35) المستقصى، الزمخشري، 351/1.

(36) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 77/3.

ثالثاً: المقطع:

المقطع الصوتي "هو كمية من الأصوات، تحتوي على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها"⁽³⁷⁾. والمقطع: "مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة"⁽³⁸⁾. ويعرفه آخر بقوله: "هو مجموعة من الأصوات المفردة تقع بين كل انفتاح من انفتاحات الفم أثناء الكلام وبين الانفتاح الذي يليه"⁽³⁹⁾.

إن اللغة العربية تتميز بمجموعات من المقاطع عند النطق بها، تتكوّن كل مجموعة من عدة مقاطع ينضم بعضها إلى بعض، وينسجم بعضها مع بعض، فهي وثيقة الاتصال، وبذلك ينقسم الكلام العربي إلى تلك المجموعات من المقاطع، وكل مجموعة اصطلاح على تسميتها بالكلمة، وقد تتكوّن هذه الكلمة من مقطع واحد، وقد تتعدّى ذلك إلى عدة مقاطع تكون وثيقة الصلة فيما بينها، ولا يكون بينها انفصال في أثناء النطق بها⁽⁴⁰⁾. وقد تعددت آراء الباحثين في تصنيف المقاطع، وتعددت مصطلحاتهم*.

واختلفوا كذلك في أهمية المقطع فبعضهم صرّح بأنه لا أهمية له مثل سويت الذي قال: إن القسم الوحيد الذي يتحقّق في الكلام عملياً هو المجموعات النفسية التي تعود إلى الضرورة العضوية للتنفس، وكانت الدراسة التجريبية للعملية الكلامية السبب في التخفيف من غلواء هؤلاء المهاجمين بعد أن ثبت أن الصدر لا يواصل ضغطاً ثابتاً خلال المجموعة النفسية، وأن عضلات الصدر تنتج نبضة منفصلة لكل مقطع⁽⁴¹⁾.

وترجع أهمية المقطع في الدراسة الصوتية إلى أسباب كثيرة منها:

(37) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ص 101.

(38) أصوات اللغة، د. عبد الرحمن أيوب، مكتبة الشباب، (د.ط و د.ت) ص 139.

(39) الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، دار الشروق، ط2، 1969م، ص 254.

(40) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص 163 بتصرّف.

(*) محمد الأنطاكي استخدم لفظة الطليق وقسم المقاطع إلى مفتوح ومغلق ومضاعف الإغلاق، وقسمها من حيث الطول والقصر إلى قصير ومتوسط وطويل (الوجيز في فقه اللغة، ص 257). في حين قسم الدكتور سعد مصلوح المقطع إلى مقطع ثنائي وثلاثي ورباعي من حيث عدد الصوتيات، أما من حيث الكلمة فقد قسمه إلى قصير ومتوسط وطويل وبالغ الطول (دراسة السمع والكلام، ص 277) وكذلك ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ص 102.

(41) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط1، 1976 م، ص 237.

1 — اللغة كلام، والمتكلمون لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملةً بنفسها، وإنما ينطقون الأصوات في شكل تجمّعات هي المقاطع، ومن هنا يخرج الفونيم إلى الحياة من خلال المقطع⁽⁴²⁾.

2 — المقطع حقيقة موجودة، ويؤكد ذلك اكتشاف بعض الطرق الكتابية التي استخدمت المقطع رمزاً في كتابتها⁽⁴³⁾.

3 — المقطع هو مجال العمل بالنسبة للنبر السابق ذكره لأنّ النبر يعمل على مستوى المقطع بينما يعمل التنغيم على مستوى الجملة.

4 — دراسة المقطع تسهّل علينا الحكم على نسيج الكلمة العربية و نسيج ما ليس بعربي من الكلمات⁽⁴⁴⁾.

وسنعرض الآن لأبرز المقاطع العربية* الشائعة في النسيج الصوتية لبعض الأمثال العربية المدروسة التي قمنا بجمعها من قائمة الأمثال المدروسة أو المتناولة في البحث، لنصل من خلالها إلى النتائج المرجوة:

— "بَعْدَ الهياط والمياط"⁽⁴⁵⁾.

وبالتحليل نلاحظ الآتي إذا سكتنا على المقطع الأخير:

بَعْ	دَلْ	هَـ	يَاطْ	وَلْ	مَ	يَاطْ
ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ح ص

— "البلايا على الحوايا"⁽⁴⁶⁾.

(42) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص 238.

(43) المرجع نفسه، ص 239 وننظر كذلك: الوجيز في فقه اللغة، محمّد الأنطاكي ص 256.

(44) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 169.

(*) رأينا هنا اعتماد المصطلحات التالية في تقطيعنا للأمثال حيث أطلقنا اسم المقطع القصير المفتوح على المقطع (ص ح)، والمقطع الطويل المفتوح على (ص ح ح)، والمقطع الطويل المغلق على (ص ح ص)، والمقطع المديد المقل ب صامت على (ص ح ح ص)، والمقطع المديد المقل ب صامتين على (ص ح ص ص).

(45) مجمع الأمثال، الميداني 140/1 قال يونس بن حبيب: الهياط: الصياح والمياط: الدفع، أي بعد شدة وأذى ويروى بعد الهيط والميط. قيل: الهيط: القصد والميط: الجور أي بعد الشدة الشديدة ومنهم من يجعله من الصياح والجلبة.

(46) مجمع الأمثال، الميداني، 148/1، وفسره بقوله: قاله عبيد بن الأبرص يوم لقي النعمان بن المنذر في يوم يؤسه، والحوية والسوية: كساء يحشى بالثمام ونحوه ويدار حول سنام البعير والحوية لا تكون إلا للجمال، فأما السوية فإنها تكون لغيرها. ومعنى المثل: البلايا تساق إلى أصحابها على الحوايا، أي لا يقدر أحد أن يفرّ ممّا قدر له.

وبالتحليل نلاحظ المقاطع التالية:

أَلْ	بَ	لَا	يَا	عَ	لِيْ	حَ	وَا	يَا
ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح ح

— "أَتَيْتُ فَلَانًا فَمَا أُرْغَانِي وَلَا أَثْغَانِي"⁽⁴⁷⁾.

وبالتحليل نلاحظ المقاطع التالية:

أَ	تِيْ	تُ	فُ	لَا	نَنْ	فَ	مَا	أُرْ	غَا	نِيْ	وَ	لَا	أَنْثُ	غَا	نِيْ
ص	ص	ص	ص	ص	ص ح	ص ح	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
ح	ص	ح	ح	ح ح	ص	ص	ح ح	ح ص	ح ح	ح ح	ح	ح ح	ح ص	ح ح	ح ح

— "التَّجْدُ وَلَا التَّبْدُ"⁽⁴⁸⁾.

وبالتحليل نلاحظ المقاطع التالية:

اتُ	تَ	جَلْ	لُ	دُ	وَ	لات	تَ	بَلْ	لُ	دُ
ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص	ص ح ص	ص ح	ص ح
						ص	ح			

— "تَرَكْتُ فَلَانًا سَادِحًا رَادِحًا"⁽⁴⁹⁾.

وبالتحليل نلاحظ المقاطع التالية:

تَ	رَكْ	تُ	فُ	لَا	نَنْ	سَا	دَ	حَنْ	رَا	دَ	حَنْ
ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح ص

— "جِيءَ بِهِ مِنْ حَيْثُ أَيْسَ وَلَيْسَ"⁽⁵⁰⁾.

(47) الأمثال، أبو عكرمة الضبي، ص 27 وفسره: أبي لم يعطني إيلًا ولا غنمًا، والثغاء أصوات الشاء.

(48) مجمع الأمثال، الميداني، 90/1، وفسره بقوله: يعني أنَّ التجلّد ينجيك من الأمر لا التّبّد ونصب التجلد على معنى الزم التجلد ولا تلزم التّبّد، ويجوز الرفع على تقدير حَقِّك أو شَأْنُكَ التجلّد. وهذا من قول أوس بن حارثة لأبيه فقال: يَا مَالِكَ التَّجْلِدُ وَلَا التَّبْدُ.

(49) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، ص 60، وفسره بقوله: سَدَحْتُ فَلَانَةً وَرَدَحْتُ إِذَا أَخْصَبْتُ وَحَسَنْتُ حَالَهَا. هذا مأخوذٌ من سدح وردح بالمكان أي أقام به، وهو يضرب في الرجل إذا أصاب حاجته يقال: سدح و ردح، وفلان سادح أي مخصب لأنه إذا أخصب انسدح مستقياً.

(50) المستقصى، الزمخشري، 36/2، وفسره بقوله: ليس إنما كان لا أيس فأسقطوا الهمزة وجمعوا بين اللام والياء لأن العرب تقول ائنتني من حيث أيس ولا أيس أي من حيث هو ولا هو. لم يذكر مناسبة المثل.

وبالتحليل نلاحظ المقاطع التالية:

جي	ء	ب	هـ	من	حي	ث	أي	س	و	لي	س
ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح

— "الخلاءُ بلاءٌ"⁽⁵¹⁾.

وبالتحليل نلاحظ المقاطع التالية:

ال	خ	لا	ء	بـ	لا	ء
ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح

— "عاشرينا وأخبرينا"⁽⁵²⁾.

وبالتحليل نلاحظ المقاطع التالية:

عا	ش	ري	نا	و	أخ	بـ	ري	نا
ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح ح

— "السّلاح ثمّ الكفاح"⁽⁵³⁾.

وبالتحليل نلاحظ المقاطع التالية إذا سكتنا على المقطع الأخير:

اس	س	لاخ	ثم	مل	كـ	فاح
ص ح ص	ص ح	ص ح ح ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ح ص

— "نَجَارُها نارها"⁽⁵⁴⁾.

وبالتحليل نلاحظ المقاطع التالية:

ن	جا	ر	ها	نا	ر	ها
ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح

(51) جمهرة الأمثال، العسكري، 358/1. وقال: المثل للقمان بن عاد قاله عندما التفت حوله و لم ير أحداً. أما مناسبتة فعندما خرج يطوف ووجد امرأة جالسة مع رجل تحدثه، فوقف لقمان فحياً، فلم يرداً عليه ثم سلم الثانية فرداً ونظرا فلم يجدا حولهما أحد. لم يذكر فيم يضرب.

(52) المستقصى، الزمخشري، 526/2، فسر سابقاً.

(53) خاص الخاص، الثعالبي، 120، وقال: يضرب في الجند أصحاب السلاح.

(54) مجمع الأمثال، الميداني، 387/2، فسر سابقاً.

— "هو الشعارُ دون الدنار" (55).

وبالتحليل نلاحظ المقاطع التالية:

هـ	وش	ش	عا	رُ	دو	ند	د	ثا	ر
ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح

— "كالباحثة عن حنفها بظلفها" (56).

وبالتحليل نلاحظ المقاطع التالية:

كلُ	با	حـ	ثـ	ةـ	عنـ	حتـ	فـ	ها	بـ	ظلـ	فـ	ها
ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح

— "لي الغادرة والمتغادرة والأفيل النادرة" (57).

وبالتحليل نلاحظ المقاطع التالية:

ليل	غا	د	ره	ول	م	تـ	غا	د	رة
ص ح ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص

ولُ	أ	في	لُ	انـ	نا	د	ره
ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح ص

— "من سعى رعى" (58).

وبالتحليل نلاحظ المقاطع:

مَنْ	سَ	عى	رَ	عى
ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح

— "قد أنصف القارة من رامها وردّ أولها على أхраها" (59)

(55) المصدر نفسه، 471/2، فسر سابقاً.

(56) المجهول، ص 86، وفسره بقوله: أي كالشاة التي تبحث عن سكين لتذبح بها، بعد أن لم يجد الذابح ما يذبحها به، فبحثت عن السكين برجلها وهي مربوطة حتى وجدتتها وذبحت بها.

(57) أمثال العرب، المفضل الضبي، ص 155، الغادرة: الباقية، والأفيل: تصغير إفال الولد الصغير من الإبل، ويقال في الطمع.

(58) مجمع الأمثال، الميداني، 371/2.

(59) المجهول، ص 81، فسر سابقاً.

وبالتحليل المقطعي نلاحظ المقاطع التالية:

قَدْ	أَنْ	صَ	فُلْ	قَا	ر	ة
ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح

مَنْ	رَا	مَا	هَا	وَ	رَدْ	دَ
ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح

أَوْ	لَا	هَا	عَ	لِي	أَخْ	رَا	هَا
ص ح ح	ص ح ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح

— "المحاجزة قبل المناجزة"⁽⁶⁰⁾.

وبالتحليل نلاحظ المقاطع التالية:

الْ	م	حَا	جَ	زَ	قُبْ	لِلْ	مُ	نَا	ج	زَ
ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص

— "النجاح مع الشَّراح"⁽⁶¹⁾.

وبالتحليل نلاحظ المقاطع التالية:

انْ	نَ	جَا	حُ	م	عَشْ	شَ	رَا	ح
ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح

— "شاوروهـن وخالفوهـن"⁽⁶²⁾.

وبالتحليل المقطعي نلاحظ المقاطع التالية:

شَا	و	رَو	هَن	و	خَا	لِ	فَو	هَن
ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص

وبعد هذا العرض التحليلي للمقطع في بعض الأمثال المدروسة نستنتج ما يلي:

(60) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 79/3، وفسره بقوله: المحاجزة: الممانعة، والمناجزة: سرعة القتال، أي الكفّ عن الشرّ قبل وقوعه وفرّ مما لا طاقة لك به.

(61) مجمع الأمثال، الميداني، 388/2، وقال: أي اشرح لي أمري فإنّ ذلك ممّا ينجح حاجتي.

(62) زهر الأكم، اليوسي، 240/3، وفسره: أي النساء.

1 — شيوع المقطع الطويل المفتوح (ص ح ح) الذي ينتهي بأحد حروف المدّ في الأكثرية العظمى من الكلمات التي تقع موقع الإبتاع والمزاوجة، يليه المقطع القصير المفتوح (ص ح) في الدّرجة الثانية ومن ثمّ المقطع الطويل المغلق (ص ح ص) في الدّرجة الثالثة، أمّا الدّرجة الرابعة فكانت للمقطع المديد المقفل بصامت (ص ح ح ص) يليه المقطع المديد المقفل بصامتين (ص ح ص ص).

2 — ميل السّلف إلى أداء المثل بطريقة فيها نوع من المدّ، وهذا يخلق نوعاً من التجانس الموسيقي والجرس في الكلام إننا نلاحظ "مبلاً غرزيّاً في كل كتلة من عدّة مقاطع تشبه الفقرات القصار أو العبارات القصيرة، فإذا تردّدت في أواخر هذه الكتل مقاطع بعينها شعرنا بسهولة ترديدها وأحسننا بغيطة وسرور حين سماعها وبعث فينا هذا الرّضا والاطمئنان إليها"⁽⁶³⁾.

3 — الاشتراك الملحوظ في عدد المقاطع بين الكلمة التي تقع موقع التابع، والكلمة التي تقع موقع المتبوع، وهذا بدوره يخلق نوعاً من الجرس والإيقاع يساعد على تذكّر المثل واستدعائه في الذاكرة.

4 — جمال المثل ورونقه إنّما يكمن في الكلمتين اللتين تقعان موقع التابع والمتبوع، نظراً لتشابه مقاطعهما في النطق وتمتعهما برنين خاص يؤثّر في السامعين، فضلاً عن تشابههما في عدد المقاطع وفي هذا يقول أحد الباحثين أيضاً: "ومن أهم خصائص البناء اللغوي للمثل العربي الاهتمام أكثر من مؤلف المثل أو ضاربه بالمعنى والمبنى للمقطع الأخير من المثل بحيث يشير هذا الجزء أو التركيب الأخير إشارة صوتيّة وإشارة معنوية إلى أهم ما يهدف إليه المثل"⁽⁶⁴⁾.

5 — اقتصار المقطع القصير المفتوح (ص ح) في معظم الأمثال المدروسة على حروف الميم و الباء والقاف واللام على الترتيب، والقاسم المشترك الملحوظ بين هذه الحروف هو أنّها جميعها تتصف بالشدّة والجهر، والشدّة صفة من صفات القوة، وهذا يتناسب مع المثل الذي يقال في موضع الاستشهاد بقوة الرأي، وإقامة الحجّة، ومما يؤكد ذلك ما ذكره أحد القدماء حيث قال: "وإنّما ضرب العلماء الأمثال لأنّ الخبر في نفسه إذا كان ممكناً فهو يحتاج إلى ما يدلّ عليه وعلى صحته والمثل مقرون بالحجّة"⁽⁶⁵⁾.

(63) موسيقى الشّعْر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1972م، ص 11 — 13.

(64) الأمثال العربية، دراسة نقدية، مصطفى أبو العلا، ص 48.

(65) نقد النثر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، تحقيق: طه حسين وعبد الحميد العبادي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، (د.ط) 1933م، ص 57.

الفصل الثالث

الدراسة الصرفية وتتضمن:

1. الأبنية الصرفية والأمثال.
2. الخروج على الأصول الصرفية.
3. تعدد الروايات في الأمثال.
4. الإبدال.
5. التسهيل.

أولاً: الأبنية الصرفية والأمثال:

نظراً لتعدد الأبنية الصرفية في لغة الأمثال رأينا ضرورة استقراء أشهر الأبنية الصرفية للكلمات المزوجة في الأمثال التي قامت عليها هذه الدراسة، باستثناء الكلمات الدخيلة التي ستحلل صوتياً لأنها لا وزن لها على المستوى الصرفي، وفيما يلي عرض لهذه الأبنية مرتبة وفق المجرد فالمزيد:

1- صيغة فَعَلَ وقد جاءت في قولهم:

- "حيثما سَقَطَ لَقَطَ" (1).
- "شَرِبَ فما نَقَعَ ولا بَضَعَ" (2).
- "كمستبضع التمر إلى هَجَرَ" (3).
- "اللهم سَمِعاً لا بَلْغاً" (4).
- "ما أشبه الحَوْلَ بالقَبْلَ" (5).
- "ما عنده حَضَضَ ولا بَضَضَ" (6).
- "من رَفَقَ رَتَّقَ ومن خَرَقَ حَرَقَ" (7).
- "من غَلَبَ سَلَبَ" (8).

2- وزن فَعَلَ كما في قولهم:

- "إنَّ النساءَ لَحَمٌّ على وَضْمٍ" (9).
- "البَغْلُ نَغْلٌ وهو لذلك أَهْلٌ" (10).

(1) مجمع الأمثال الميداني، 320/1، وقال الميداني: يضرب للمحتال.

(2) المصدر نفسه، 518/1، ذكر سابقاً.

(3) المستقصى، الزمخشري، 233/2، كانت معدن التمر قبل العراقيين.

(4) المصدر نفسه، 342/1، وقال: ويروى سمع لا بلغ يقوله الرجل إذا سمع خبراً لا يعجبه. أي جعله الله مقصوراً على السماع ولا بلغ أن يتم ويتحقق.

(5) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 102/3، وفسره بقوله: الحول: ظهور البياض في مؤخرة العين، ويكون السواد من قبل الماق والقبل مثله يضرب في تشبيه الرجل بأبيه.

(6) التحفة الأدبية، قصير، ص 181.

(7) مجمع الأمثال، الميداني، 373/2.

(8) المصدر نفسه، 371/2.

(9) المصدر نفسه، 29/1، وفسره بقوله: الوضم: ما وقى به اللحم من الأرض من بارية أو غيرها وهذا المثل يروى عن عمر رضي الله عنه حين قال: لا يخلون رجلٌ بمغيبية إنَّ النساءَ لحمٌ على وضمٍ.

- "تَحْتَ هَذَا الْكَيْشِ نَيْشٌ" (11).
- "غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ" (12).
- "لِكُلِّ زَعْمٍ خَصْمٌ" (13).
- "مَا بِهِ نَيْضٌ وَلَا حَيْضٌ" (14).
- "مَا عِنْدَهُ خَيْرٌ وَلَا مَيْرٌ" (15).
- "مَا عِنْدَهُ شَوْبٌ وَلَا رَوْبٌ" (16).
- "مَا لَهُ زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ" (17).
- "هَيْنٌ لَيْنٌ وَأُودَتِ الْعَيْنُ" (18).
- "جَاءَ بِالْهَيْءِ وَالْجِيءِ" (19).
- "ذَهَبَ أَهْلُ الدَّيْرِ بِالْأَجْرِ" (20).
- "قَدْ يَبْلُغُ الْخَضْمُ بِالْقَضْمِ" (21).
- "مَنْ الرَّفْشِ إِلَى الْعَرْشِ" (22).

3- وزن فَعْلٍ كما في قولهم:

-
- (10) مجمع الأمثال، الميداني، 145/1، وفسره بقوله: يقال فلان نغل: إذا كان فاسد النسب، ويضرب لمن لؤم أصله فخبث فعله.
- (11) المصدر نفسه، 207/1، يضرب لمن يرتاب به.
- (12) المصدر نفسه، 12/2، فُسِّرَ سابقاً.
- (13) المصدر نفسه، 192/2، و قال الميداني: الزعم ثلاث لغات والتقدير لكل ذي زعم خصم، أي لكل مدع خصم يباريه ويناوله. يضرب عند ادعاء الإنسان ما ليس له.
- (14) التحفة الأدبية، قصير، ص 97، و قال: النبض والحيض من الوتر، والنبض تحريك الوتر والحيض صوته.
- (15) مجمع الأمثال، الميداني، 312/2، وفسره بقوله: الخير: كل ما رزقه الناس من متاع الدنيا. المير: ما جلب من الميرة وهو ما يتقوت فيترود، أي ليس عنده خير عاجل ولا يرجى منه أن يأتي بخير.
- (16) المصدر نفسه، 321/2، ذكر سابقاً.
- (17) متخير الألفاظ، أحمد بن فارس، حققه وقدم له: هلال ناجي، مطبعة المعارف، ط1، 1970، ص 156. وقال: أي ماله شيء.
- (18) أمثال العرب، المفضل الضبي، ص 172. ذكر سابقاً.
- (19) مجمع الأمثال، الميداني، 238/1، وفسره بقوله: أي بالطعام والشراب وقيل: هما اسمان من قولهم جأجأت بالأبل إذا دعوتها للشرب وهأهأت بها إذا دعوتها للعلف.
- (20) المصدر نفسه، 389/1.
- (21) المصدر نفسه، 56/2 وفسره: الخضم أكل بجميع الفم، والقضم بأطراف الأسنان.
- (22) المصدر نفسه، 327/2 وفسره بقوله: الرفش: مجرفة يرفش بها البر، ويجوز أن يكون الرفش مصدر رفش يرفش وهو الرفع، أي كان نازلاً فصار صاعداً.

- "جاء بالشقَرِ والبُقَرِ وبيّناتٍ غيرٍ" (23).

- "جاء بالصقَرِ والبُقَرِ" (24).

4- وزن فعول كما في قولهم:

- "إنّه لطَيُورٌ فَيُورٌ" (25).

- "رجلٌ ظلومٌ غشومٌ" (26).

- "ركُوضٍ في كلِّ عَرُوضٍ" (27).

- "الصَّبُوحُ جَمُوحٌ" (28).

- "النفسُ عَزُوفٌ أُلُوفٌ" (29).

5 - صيغة فَعِيلٌ كما في قولهم:

- "ريحٌ ولكنّه مَلِيحٌ" (30).

- "الطَّرِيفُ خَفِيفٌ والتَّليدُ بَلِيدٌ" (31).

- "كلٌّ غَرِيبٌ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ" (32).

- "مَلِيحٌ قَزِيحٌ" (33).

- "رب حَنِيثٌ مَكِيثٌ" (34).

(23) مجمع الأمثال، الميداني، 242/1، وقال الميداني: ويروى بالصقَر والبُقَر والغير من قولك غيرت الشيء فتغير ويراد

ها هنا جاء بالكلام المغير عن وجه الصدق. والشقَر والبقر اسم لما لا يعرف أي جاء بالكذب الصريح.

(24) زهر الأكم، اليوسي 65/2، ذكر سابقاً.

(25) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، ص 84. وقال: يقال للحديد السريع الرجعة.

(26) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري 33، ذكر سابقاً.

(27) مجمع الأمثال، الميداني، 425/1، وقال: العروض: الناحية، يضرب لمن يمشي بين القوم بالفساد.

(28) المصدر نفسه، 578/1، لم يذكر حول معناه شيء. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة صبح 502/2 الصبوح:

كل ما أكل أو شرب غدوةً وقيل: الخمر. وقيل: ما جُلِبَ بالغداة من اللبن، وقيل: الناقة المحلوبة بالغداة. جموح

مادة جمح 426/2 فرس جموح إذا لم يثن رأسه، والجموح من الرجال: الذي يركب رأسه فلا يمكن رده.

(29) المصدر نفسه، 392/2، ذكر سابقاً.

(30) المصدر نفسه، 445/1، لم يذكر حول معناه شيء. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة ملح 601/2

الملح: الحسن من الملاحه.

(31) جمهرة الأمثال، العسكري، 17/2، وقال: المثل للقمان بن عاد ومعناه أن الذي تستجده من الأشياء أحب إليك من

الذي طال لبثه معك.

(32) مجمع الأمثال، الميداني، 155/2، لم يذكر حول معناه شيء. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة غرب 640/1

رجل غريب ليس من القوم. مادة نسب 756/1 النسب: القريب.

(33) الأمثال، لأبي عكرمة الضبي، ص 101. وفسره بقوله: يراد بذلك المبالغة في المعنى، المقصود هو في جودته

وإحكامه بمنزلة الصنيع من الطبخ الذي قد ملح وقزح. والقزح: التابل. ومليح: فعيل من الملح.

- "رَبِّ دَمِيمٍ غَيْرِ دَمِيمٍ" (35).

6- وزن فاعِل كما في قولهم:

- "إِذَا أُخْصِبَ الزَّيْتَانُ جَاءَ الْغَاوِي وَالْهَاوِي" (36).

- "اخْتَلَطَ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ" (37).

- "بَقِينَا بَيْنَ كُلِّ حَاذِفٍ وَقَاذِفٍ" (38).

- "تَرَكْتُ فَلَانًا سَادِحًا رَادِحًا" (39).

- "حَوْلَ حَابِلِهِ عَلَى نَابِلِهِ" (40).

- "فَلَانٌ جَائِعٌ نَائِعٌ" (41).

- "مَالَهُ حَابِلٌ وَلَا نَابِلٌ" (42).

- "مَا عِنْدَهُ طَائِلٌ وَلَا نَائِلٌ" (43).

- "مَالَهُ هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ" (44).

- "مَالَهُ هَابِلٌ وَلَا آيِلٌ" (45).

(34) مجمع الأمثال، الميداني، 421/1، وقال: يقال مكث فهو ماكث ومكيث، يضرب لمن أراد العجلة فحصل على البطء.

(35) خاص الخاص، الثعالبي، ص 49 وقال: يضرب في ذي الخير الذي لا منظر له. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة ذم 222/12: نقيض المدح. والذميم ما يسيل على أفخاذ الإبل والنغم وضروعها من ألبانها. الذميم 208/12 مادة ذم: الدمامة: القصر والقبج.

(36) مجمع الأمثال، الميداني، 92/1، وفسره بقوله: الغاوي: الجراد، والهاوي: الذباب. تهوي أي تجيء وتقصد إلى الخصب، يضرب في ميل الناس إلى حيث المال.

(37) المستقصى، الزمخشري، 94/1، وفسره بقوله: أي ناصب الحباله بالرامي بالنبل، وقيل السدى باللحمة، يضرب في اشتباك الأمر وارتبأكه.

(38) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبوبكر الأنباري، 75/2، وفسره بقوله: الحاذف: الذي يحذف بالعصا، والقاذف: الذي يقذف بالحجارة.

(39) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، ص 60، ذكر سابقاً.

(40) زهر الأكم، اليوسي، 146/2، وفسره بقوله: الحابل: هنا السدى، والنابل: اللحمة. والمعنى جعل أعلاه أسفله وهو ظاهر.

(41) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبوبكر الأنباري، 47/2، وفسره بقوله: النائع: هو الجائع وقالوا هذا إتياع. كقولهم: حسن بسن، وقال بعضهم النائع: العطشان.

(42) مجمع الأمثال، الميداني، 319/2، وفسره بقوله: الحابل: السدى والنابل: اللحمة أي ماله شيء.

(43) المصدر نفسه، 312/2، وفسره بقوله: الطائل: من الطول وهو الفضل، والنائل من النوال وهو العطية والمعنى ما عنده فضل ولا جود.

(44) المصدر نفسه، 291/2.

- "هو الفائق والرائق" (46).

7- وزن أَفْعَلَ كما في قولهم:

- "أَعْذَرَ مَنْ أُنْذَرَ" (47).

- "أَفْرَطَ فَأَسْقَطَ" (48).

- "أَقْصَرَ لَمَّا أَبْصَرَ" (49).

- "من أَكْثَرَ أَهْجَرَ" (50).

8- وزن فَعَالَ كما في قولهم:

- "أعْطَانِي اللَّفَاءَ غَيْرَ الْوَفَاءِ" (51).

- "السَّرَّاحُ مِنَ النَّجَاحِ" (52).

- "النِّدَاءُ بَعْدَ النَّجَاءِ" (53).

- "لكلِّ داءٍ دواءٌ" (54).

- "ما له دارٌ ولا عَقَارٌ" (55).

- "لا عَبَابَ ولا أَبَابَ" (56).

9- وزن فِعَالٍ كما في قولهم:

(45) مجمع الأمثال، الميداني 325/2، وفسره بقوله: الهابل: المحتال والأبل: الحسن الرعية. يضرب لمن لا يكون له أحد يهتم بشأنه.

(46) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، 477/1، وفسره: أي هو مالك الأمر هو يفتح ويغلق ويضيّق ويوسع. يقال: قد رتق فهو راتق إذا ضم وجمع.

(47) مجمع الأمثال، الميداني، 655/1، وفسره: أي من حذرَكَ ما يحل بك فقد اعذر إليك، أي صار معذوراً عندك.

(48) جمهرة الأمثال، العسكري، 24/1. وقال: أي من كثر كلامه كثر سقطه.

(49) المصدر نفسه 161/1، ذكر سابقاً.

(50) مجمع الأمثال، الميداني، 329/2، وفسره بقوله: الإهجار: الإفحاش، وهو أن يأتي في كلامه بالفحش، والهجر: الاسم من الإهجار كالفحش من الإفحاش، سُمي هجراً لهجر العقلاء إياه. يضرب لمن يأتي في كلامه بما لا يعنيه.

(51) المصدر نفسه، 634/1. وفسره بقوله: اللفاء: الخسيس، الوفاء: التام. يضرب لمن يبخلك حقك ويظلمك فيه.

(52) المصدر نفسه، 463/1، وقال: يضرب لمن لا يريد قضاء الحاجة، أي ينبغي أن تؤيسه منها إذا لم تقض حاجته.

(53) المصدر نفسه 395/2، وقال الميداني: يضرب في التحذير، والنجاء المناجاة يعني يظهر الأمر بعد الإسرار أي بعد ما أَسَرَ.

(54) المصدر نفسه، 273/2.

(55) المصدر نفسه، 311/2 وفسره بقوله: العقار: النخل، ويقال هو متاع البيت.

(56) المصدر نفسه، 253/2 وفسره: يقال إنَّ الطباء إذا أصابت الماء لم تعب فيه، وإن لم تصبه لم تأبب له أي لم تنتهياً لطلبه، يضرب للرجل يعرض عن الشيء استغناءً.

- "بعد الهَيَاطِ والمِيَاطِ" (57).

- "السِّلاحِ ثُمَّ الكِفَاحِ" (58).

- "العِتَابِ قَبْلَ العِقَابِ" (59).

10- وزن فُعَالٍ كما في قولهم:

- "رماه بِسُكَاثِهِ وَصُمَاتِهِ" (60).

11- وزن إِفْعَلُ كما في قولهم:

- "اِطْرَحْ وَأَفْرَحْ طُفَيْلِي وَمُقْتَرِحْ" (61).

12- وزن فُعَالَةٌ كما في قولهم:

- "خَشَّ ذُوَالَةَ بِالْحِيَالَةِ" (62).

13- وزن فَعُولَةٌ كما في قولهم:

- "ماله حُلُوبَةٌ وَلَا رَكُوبَةٌ" (63).

14 - وزن فَاعِلَةٌ كما في قولهم:

- "ماله نَاغِيَةٌ وَلَا رَاغِيَةٌ" (64).

- "ماله سَارِحَةٌ وَلَا رَائِحَةٌ" (65).

- "ماله عَافِطَةٌ وَلَا نَافِطَةٌ" (66).

- "لِكُلِّ سَاقِطَةٍ لَاقِطَةٌ" (67).

(57) مجمع الأمثال، الميداني، 140/1، ذكر سابقاً.

(58) خاص الخاص، الثعالبي، 120، ذكر سابقاً.

(59) المستقصى، الزمخشري، 333/1، و قال: قاله أوس بن حارثة لابنه مالك في وصاياه، أي ابدأ بالمعاتبة فإن لم تجد فتنّ بالعقوبة. يضرب في النهي عن التسرع إلى الشر.

(60) جمهرة الأمثال، العسكري، 404/1، وقال: قاله أوس بن حارثة لابنه مالك في وصاياه، أي ابدأ بالمعاتبة فإن لم تجد فتنّ بالعقوبة. يضرب في النهي عن التسرع إلى الشر.

(61) مجمع الأمثال، الميداني، 613/1.

(62) المصدر نفسه، 324/1، وفسّره بقوله: ذُوَالَةُ: اسم للذئب اشتق من الذألان وهو مشي خفيف ويضرب لمن لا يبالي أي توعّد غيري فإنني أعرفك.

(63) متخير الألفاظ، أحمد بن فارس، ص156.

(64) مجمع الأمثال، الميداني، 311/2. وقال: النّاغية: النعجة والراغية: الناقة أي ماله شيء.

(65) المصدر نفسه، 334/2، وفسّره بقوله: سرحت الماشية: أرسلتها في المرعى فسرحت، والمعنى ماله ما تسرح وتروح أي ماله شيء ومثله كثير.

(66) المصدر نفسه، 290/2 وفسّره بقوله: العافطة: النعجة، والنافطة: العنز، وقال بعضهم: الأفة لأنها انقطت في كلامها، والنافطة: الشاة أي ماله شيء.

15- وزن فَعَالٌ كما في قولهم:

- "سَوَاءٌ لَوَاءٌ" (68).

- "المَالُ مَيَّالٌ" (69).

16- وزن مَفَاعِلٌ كما في قولهم:

- "الدَّرَاهِمُ مَرَاهِمٌ" (70).

17- وزن أَفْعَالٌ كما في قولهم:

- "ألقى عليَّ أَجْرَامَهُ وَأَجْرَانَهُ" (71).

- "عَاطٍ بِغَيْرِ أَنْوَاطٍ" (72).

- "ضَرَبُ أَخْمَاسٍ لِأَسْدَاسٍ" (73).

18- وزن مَفْعُولٌ كما في قولهم:

- "كُلُّ مَبْنُودٍ مَمْلُودٌ" (74).

- "كُلُّ مَمْنُوعٍ مَتَّبُوعٌ" (75).

- "المَحْبُوبُ مَسْئُوبٌ" (76).

(67) مجمع الأمثال، الميداني 185/2، قال الأصمعي: الساقطة: الكلمة يسقط بها الإنسان، أي لكل كلمة يخطئ بها الإنسان من يتحفظها فيحملها عنه، وأدخلت الهاء في اللاقطة لازدواج الكلام. يضرب في التحفظ عند النطق، وقيل لكل كلمة ساقطة أذن لاقطة لأن أداة لقط الكلام الأذن.

(68) المصدر نفسه، 475/1. وقال: هما فعال من استوى والتوى، يضرب للنساء، أي هن يستوين ويلتوين ويجتمعن ويتفرقن ولا يثبتن على حال واحدة. يضرب للمتلون.

(69) المصدر نفسه، 375/2.

(70) المصدر نفسه، 382/1.

(71) من نثر الدر، لأبي سعد منصور بن الحسين الآبي، اختار النصوص: مظهر الحجّي، منشورات وزارة الثقافة ط1، 1997. 94/4. وقال: الجرم: النفس، الجرن: الجسد أي ألقى عليه هواه.

(72) مجمع الأمثال، الميداني، 649/1، وفسره بقوله: العطو: التناول، الأنواط: جمع نوط وهو كل شيء معلق يقول: هو يتناول وليس هناك معاليق. يضرب لمن يدعي ما ليس يملكه.

(73) جمهرة الأمثال، العسكري 6/2، و قال هو أن يظهر الرجل أن ورده سدس وإنما يريد الخمس. يضرب للمماكرة والخداع.

(74) مجمع الأمثال، الميداني، 139/2، ذكر سابقاً.

(75) المصدر نفسه، 155/2، لم يذكر حول معناه شيء. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة منع 343/8 المنع: أن تحول بين الرجل وبين الشيء الذي يريده. مادة تبع 27/8 تبعت القوم تبعاً: إذا مشيت خلفهم.

(76) المصدر نفسه، 375/2، لم يذكر حول معناه شيء، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة سبب 456/1 التساب: التتاسم.

تلك هي أبرز الصيغ الصرفية الشائعة في الكلمات التي تقع موقع الإتياع والمزاوجة في لغة الأمثال المدروسة، وإذا تأملنا البناء العام للمثل أو الهيكل العام له، نجد أنَّ صيغة (أفعل من) هي من أكثر الصيغ التي ترددت في تركيب الأمثال وذلك في نحو قولهم:

- "أبرد من عبقرٍ وحبقرٍ" (77).
- "أثلف من سلف" (78).
- "أتيس من تيس تويت" (79).
- "أحسن من بيضة في روضة" (80).
- "أخبَّ من ضبَّ" (81).
- "أضيع من طاووس في ناووس" (82).
- "أغربُ من غراب" (83).
- "أغرُّ من الدُّباء في الماء" (84).
- "أمضى من ترحه بعد فرحة" (85).
- "أمضى من السيل تحت الليل" (86).
- "أهون من تبنة على لبنة" (87).
- "أهون من ذنب الحمار على البيطار" (88).
- "أهون من صوفة في بوهة" (89).
- "أوسع من هند مند" (90).

(77) جمهرة الأمثال، العسكري، 210/1.

(78) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 97/1.

(79) المصدر نفسه، 97/1.

(80) التحفة الأدبية، قصير، 180.

(81) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 192/1.

(82) المصدر نفسه، 277/1.

(83) المصدر نفسه، 321/1.

(84) مجمع الأمثال، الميداني، 17/2.

(85) جمهرة الأمثال، العسكري، 185/2.

(86) المصدر نفسه، 185/2.

(87) مجمع الأمثال، الميداني، 483/2.

(88) المستقصى، الزمخشري، 275/1.

(89) جمهرة الأمثال، العسكري، 290/2.

(90) التحفة الأدبية، قصير، 178.

- "أسمع من سمع" (91).

- "أثبت في الدار من الجدار" (92).

- "أغنى عنه من النقة عن الرقة" (93).

مما تقدّم نلاحظ بجلاء شيوع هذه الصيغة في تركيب المثل، بالمقارنة مع الأمثال المدروسة، وقد تعدّدت آراء الباحثين في أسباب هذا الشيوع، فقد انقسموا بين فريقين، فريقٌ أنكر هذه الصيغة ووجد فيها انتحالاً على المثل العربي، وفريق آخر وجد فيها فائدة مقصودة تخدم مقام المثل.

أمّا الفريق الأول فقد ذهب أحد مؤيديه إلى القول: "ومن الملاحظ كثرة ما جاء من الأمثال العربية على وزن أفعل والتي وصلت عند الميداني إلى تسعمائة وثمانية عشر مثلاً إلاّ أنّه من الراجح عندي أنّ جلّ هذه الأمثال كتابيّة دون مؤخراً ولا يدخل معظمها ضمن المثل الشفاهي... فإنّ كثيراً ممّا ورد من الأمثال على أفعل هو عبارات منتحلة على المثل العربي القديم" (94).

وكذلك يقول آخر: "وزن أفعل... لا يوجد في أية لغة من اللغات السامية حتى الحبشية فهو مرتجل في العربية جديد، فأفعل إذا كان للتفضيل هو أكثر تخصيصاً وتحديداً من بين سائر أبنية الاسم، فاخترع العربية له من علامات ميلها إلى التخصيص والتعيين" (95).

ويرى آخر أنّ "أفعل من ما هو إلّا عبارات قد صنعها الناس لتكون أمثالاً، ولكنها لم تظفر بالألفة الشعبية، ولهذا ظلّ كثير منها حبيس الكتب والمصنفات" (96).

وأما الفريق الثاني فقد ذهب أحد أنصاره إلى القول:

"استخدم العرب (أفعل) ويراد بها التفضيل كقولهم هذا أكبر من ذاك كأنّ بناء أفعل ممّا يصلح للمثل، ذلك أنّ المثل يقتضي ضرباً من المبالغة وإسناد الصيغة إلى موصوف اتّصفت بها اتّصافاً تاماً، غلب على غيره من الصفات ممّا يقوي هذه المبالغة المعروفة" (97).

ويقول آخر: "الوزن أفعل الذي قد يبدو رقيقاً في الظاهر هو في جوهره نصل حاد لما فيه من قدرة على الحسم وتأتي حسميته من كونه يفصل في المفاضلة بين شيئين لذا كان هذا الوزن هو أداة التفضيل في قواعد اللغة العربية" (98).

(91) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 218/.

(92) المستقصى، الزمخشري، 40/1.

(93) مجمع الأمثال، الميداني، 16/2.

(94) الأمثال العربية، دراسة نقدية، مصطفى أبو العلا، ص 49.

(95) التطور النحوي للغة العربية، د. رمضان عبد التواب، ص 105.

(96) الأمثال العربية، دراسة تاريخيّة تحليليّة، د. عبد المجيد قطامش، ص 183.

(97) في الأمثال العربية، د. إبراهيم السامرائي، ص 77.

(98) مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، ص 264.

ويرى آخر أن "من الأمثال يسترعي الانتباه ما كان منها على (أفعل من) فهذا النوع مجال ثري كان الكتاب قديماً يستمدون منه النعوت وذكر الأحوال وذلك إذا قصدوا المبالغة في الوصف... فهو يعرض صفة محمودة اقترنت بإحدى الشخصيات أو يبرز عيباً ونقيصة سلوكية ويرتبط البعض منها بمواقف وأحداث تفسّر سبب وضعها"⁽⁹⁹⁾.

والراجح عندنا أن الأمثال التي جاءت على صيغة (أفعل من) قد تكون أمثالاً أصيلة وليست منتحلة كما زعم البعض، ولاسيما أن الميداني أردف كل باب من الأمثال بمجموعة من الأمثال عنونها بقوله (ما جاء منها على أفعل) ثم أردف هذه الأمثال بالأمثال المولدة، فلو كانت تلك الأمثال من المولّد لجعلها المصنّف تحت عنوان واحد ولم يفصل بينها وبين المولّد. ولم يكتفِ المصنّف بذلك، بل وضع تفسيراً لكل منها، وكذلك صنّف بعض المؤلفين مصنفات كاملة جمعوا فيها الأمثال التي جاءت على هذه الصيغة مثل سوائر الأمثال على أفعل للأصفهاني وغيرها، وهذا أيضاً يؤكد أصالة هذه الصيغة، والصفة الغالبة على هذه الصيغة أنها للمبالغة والمفاضلة بين شيئين وقد ضربت معظمها في الحيوانات كما هو واضح في الأمثال السالفة الذكر، كالضبّ والسمع والغراب والطاووس والحمار... وهذا يعكس قراءة الإنسان لعالم الحيوان، "فالعرب ضربت معظم أمثالهم بالبهائم لشدة مخالطتهم لها، وملاحظاتهم لدقائق الحياة وضروب سلوكها وطباعها وغرائزها فهم أقدر على وصفها وضرب الأمثال بها من علماء اللغة الذين لم يعيشوا معها"⁽¹⁰⁰⁾.

وكذلك تعددت الآراء في تفسير سبب شيوع هذه الصيغة في الهيكل العام لغالبية الأمثال حيث قال أحدهم: "إنّ المفاضلة في الأمثال العربية درجات متفاوتة ففي درجة أولى تكون الموازنة بين أنموذج واقعي مستمد من الواقع، ومائل في الواقع للناظرين، صار بمثابة الرقم القياسي وانتصب مثلاً أعلى الواقع، ولكن الواقع في صبوته نحو المثل الأعلى يرقى نحوه فيبلغه بل يتجاوزه... ولجأت الأمثال العربية إلى صيغة أفعل التفضيل للتعبير عن هذا التجاوز"⁽¹⁰¹⁾.

وفسرّه آخر بقوله: "وأزعم أنّ عوامل عدّة كانت وراء انتشار هذه الصيغة خاصة في المثل المكتوب ومن هذه العوامل طبيعة اللغة وما تملكه من أبنية صرفيّة، والمبالغة في الوصف، والتشبيه الذي ألفه العرب في أساليبهم وتعابيرهم ممّا أعطى لهذه الصيغة خاصة - في المثل العربي - اطراداً وقبولاً عند ضارب المثل ومتلقيه"⁽¹⁰²⁾.

(99) وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، ص 89.

(100) الأمثال العربية، دراسة تاريخيّة تحليليّة، د. عبد المجيد قطامش، ص 186.

(101) في سيكولوجيا الأمثال العربية، جورج صدقني، ص 12، مجلة المعرفة السورية، وزارة الثقافة والإرشاد

القومي، س 18، ع 210 آب 1979 م.

(102) الأمثال العربية، مصطفى أبو العلا، ص 70.

ويمكننا ردّ السبب الرئيسي لشيوع هذه الصيغة في الهيكل العام للمثل إلى ما تتمتع به من إيجاز واختصار في الكلام، لأنها تدل على شيئين في وقت واحد هما وصف الشيء بصفة ما وتفضيله على غيره وفي ذلك يقول أحدهم: "والمثل بجميع أشكاله سواء كان تركيباً إسنادياً تاماً أو تركيباً جزئياً على أفعال من — مضافاً ومنسوباً — يعدّ أداة مذكرة فهو يفضي في مستوى ضبط مضربه إلى جملة من المعاني النظرية تفوق بكم ملفوظها ملفوظه بأضعاف، ثم يفضي في مستوى ثانٍ إلى تجسيد هذه المعاني وتمثيلها عبر قصة أو قصتين تنطوي على دوافع وأطراف ومواقع وتفاصيل ونتائج"⁽¹⁰³⁾.

ومن ناحية أخرى تتمتع هذه الصيغة بقدرة فائقة على الإقناع فتتزل على سمع المخاطب كالسيف القاطع؛ لأنها تفاضل بين شيئين في وقت واحد، فيقف السامع عاجزاً عن الرد، مقتنعاً بالقيمة الإخبارية التي حملها المثل؛ لأنه يمثل تجربة حياتية يلمسها في بيئته وواقعه، وخاصة أنها أكثر ما قيلت في الحيوانات.

وبعد هذا الغرض يمكننا استخلاص النتائج التالية:

1 — شيوع صيغة فعل في الأكثرية العظمى من الأبنية الصرفية التي وقعت موقع الإتياع والمزاوجة، ومجيء هذه الصيغة نكرة يدخلها في باب العموم، ومعنى ذلك أن المثل الذي ضرب ليس خاصاً بأحد الأفراد أو الأشياء، بل هو يصلح لكل زمان ولكل مكان، ويستطيع القائل أن يستشهد فيه في كل مقام يناسبه، وفي ذلك يقول أحدهم: "لقد استفاد الحكيم من العموم الذي تكنه النكرة في عرض الحقائق بحيث تبدو كقاعدة مسلمة ولا تصادم المتلقي"⁽¹⁰⁴⁾.

2 — شيوع صيغة فاعل في الدرجة الثانية من الأبنية الصرفية التي وقعت موقع الإتياع والمزاوجة تليها صيغة فعل في الدرجة الثالثة وفي ذلك يقول أحدهم: "اعلم أن باب فعل لخفته لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها لأن اللفظ إذا خفّ كثر استعماله، واتسع التصرف فيه، ومما يختص بهذا الباب بضم مضارعه باب المغالبة، ونعني بها أن يغلب أحد الأمرين الآخر في معنى المصدر، فلا يكون إذن إلا متعدياً نحو كارمني فكرمته أكرمته: أي غلبته بالكرم"⁽¹⁰⁵⁾.

ومن هذا المعنى نلاحظ مناسبة هذه الصيغة للأمثال، فالمثل تتناقله الألسنة بخفة وسهولة، ومجيئه بهذه الصيغة أعطاه خفة أكبر وقوة في النطق، لأنه يقال في مقام المغالبة، وكأنّ القائل يضع نهاية لمخاطبه بكلمات مثله.

(103) وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، ص 72.

(104) الأمثال العربية القديمة، دراسة نحوية، محمد جمال صقر، ص 40.

(105) شرح شافيه ابن الحاجب، للشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي النحوي مع شرح شواهد للعالم عبد القادر البغدادي صاحب خزنة الأدب، حققهما: محمد نور الحسن، محمد الزفراف، محمد محي الدين عبد الحميد،

دار الكتب العلمية، (د.ط) 1975 م، 70/1

3 – شيوخ صيغة (أفعل من) في بناء الغالبية العظمى من الأمثال وتركيبها، وذلك يعود إلى ما تتمتع به هذه الصيغة من الإيجاز والاختصار من جهة، ومن قدرة فائقة على الإقناع من جهة ثانية.

ثانياً: الخروج على الأصول الصرفية:

من خلال دراستنا لهذه المجموعة من الأمثال العربية، وقفنا على بعض الأمثال التي شذت عن الأصول القواعدية الصرفية، فأفردناها تحت هذا العنوان، أمّا علّة شيوع هذه الأمثال بهذه الصيغة الشاذة فنجد له تفسيراً عند أحد الباحثين حيث يقول: "الأمثال كالشعر، يتحملان الضرورات، ويُتسامحُ فيهما مالا يُتسامح في غيرهما من أنواع الكلام"⁽¹⁰⁶⁾.

ونحن من جهة أخرى نرى أن هذه الروايات التي ظهر فيها خروج على الأصول الصرفية يمكننا تفسيرها بأنّ قائل المثل لم يكن فصيحاً في معظم الأحيان، فقد يكون المثل قد دخل تحت لهجة من اللهجات العربية القديمة وبخاصة قليلة الانتشار منها وهذا ما أدّى إلى شيوعه بهذه الصيغة يقول في ذلك أحد الباحثين: "لكل لهجة خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية التي تخالف خصائص الأخرى وإن كانت جميع هذه الخصائص تقع ضمن الإطار العام لخصائص العربية الفصحى"⁽¹⁰⁷⁾.

وفيما يلي عرض لأبرز الأمثال التي تجلّت فيها مظاهر الخروج على الأصول الصرفية:

- 1- ملاحظة بعض الجموع الشاذة في لغة الأمثال المدروسة من ذلك قولهم:
— "أجناؤها أبناؤها"⁽¹⁰⁸⁾.

ينقل الميداني عن أبي عبيد قوله: الأجناء هم الجناة، والأبناء البناة، والواحد بانٍ وجانٍ، ويضيف: هذا جمع عزيز في الكلام أن يجمع فاعل على أفعال، ويعلّق آخر فيقول: "أجناؤها أبناؤها" فيه شذوذ وخروج عن قياس اللغة من حيث إنّ أجناء جمع جانٍ وأبناء جمع بانٍ كما يدل عليه أصل المثل، وصيغة فاعل قياسها ألاّ تجمع على أفعال"⁽¹⁰⁹⁾، ومما سبق نرى الشذوذ في مجيء فاعل على وزن أفعال جمعاً، وقد يكون التماثل الموسيقي هو الذي دفعهم إلى هذا الخروج، ومن جهة أخرى يمكننا تفسير هذا الشذوذ كما ذكرنا آنفاً باختلاف اللهجات العربية القديمة يقول أحد الباحثين: "أهل

(106) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، عبد المجيد قطامش، ص208.

(107) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، سلسلة دراسات، 1978م، ص49.

(108) مجمع الأمثال، الميداني 231/1، وفسره بقوله: معنى المثل أنّ الذين جنوا على هذه الدار بالهدم هم الذين عمروها بالبناء يضرب في سوء المشورة والرأي، وللرجل يعمل الشيء بغير روية ثم يحتاج إلى نقض ما عمل وإفساده.

(109) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، د. عبد المجيد قطامش، ص210.

الحجاز يجمعون كلمة أسير على أسرى⁽¹¹⁰⁾. ويقول آخر: "ذكر ابن سيدة أن أهل الحجاز يجمعون شائب وشيُوب على شَيْب، وأنهم يقولون دجاجة بيُوض ودجاج بيُض⁽¹¹¹⁾".

وكذلك قولهم: "إني لآتيه بالعشايا والغدايا"⁽¹¹²⁾ يقول أبو عكرمة: "جمعوا الغداة غدايا إتباعاً للفظ عشايا والغداة لا تجمع على الغدايا ولكنهم كسّروه على ذلك ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا"⁽¹¹³⁾. وقال آخر: "إنما جاءت الياء في غدايا لتناسب عشايا، والصّواب أن الذي فُعل للازدواج إنما هو جمع غداة على غدايا"⁽¹¹⁴⁾.

ومن جهة أخرى نجد من يُفسّر هذا الشذوذ تفسيراً صرفياً قواعدياً حيث يقول: "إن أصل عشايا عشاو بواو هي لامها، وتلك الواو بعد همزة منقلبة عن الياء الزائدة في عشية كما في صحيفة وصحائف ثم قلبوا الكسرة فتحة للتخفيف، كما فعلوا في صحارى وغازى إلا أنهم التزموا التخفيف في الجمع الذي أعلت لامه وقبلها همزة، لأنه أثقل، ثم انقلبت اللام ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، ثم أبدلت الهمزة تخفيفاً لاجتماع الأشباه، إذ الهمزة تشبه الألف وقد وقعت بين ألفين ثم لما جمعت غداة على فعائل للمناسبة وكان كل شيء جمع على فعائل ولامه همزة أو ياء أو واو لم تسلم في الواحد مستحقاً لأن تبدل همزته كخطايا ووصايا ومطايا كما فعلوا ذلك في غدايا"⁽¹¹⁵⁾. فهنا نرى أن قائل المثل وآخرين قد أجمعوا على أن الشذوذ هنا إنما جاء للازدواج مع الكلمة المزوجة وتحقيق التوافق والانسجام بينهما.

2- ورود بعض الأبنية الشاذة في بعض الأمثال من مثل قولهم:
- "سواء لواء"⁽¹¹⁶⁾.

يقول الميداني:

"سواء لواء وزنها فعّال وفعلهما استوى والتوى ومن الشذوذ بناء فعّال من غير الثلاثي: وهذا شاذ"⁽¹¹⁷⁾.

3- ملاحظة حذف بعض الحروف شذوذاً من بعض الكلمات لمراعاة الازدواج الموسيقي ومن ذلك قولهم:

(110) لهجة تميم، غالب المطلبي، ص 168.

(111) لغة قریش، مختار سيدي الغوث، ص 153.

(112) كتاب الأمثال، أبي عكرمة الضبي، ص 28.

(113) المصدر نفسه، ص 28.

(114) درة الغوّاص في أوهم أهل الخواص، أبو محمد القاسم بن علي الحريري، ص 80.

(115) المصدر نفسه، ص 80.

(116) مجمع الأمثال، الميداني 1/ 475، ذكر سابقاً.

(117) المصدر نفسه، 1/ 475.

- "صنعة من طب لمن حب" (118).

والأصل فيه لمن أحب ولكن حذفت الهمزة لمراعاة الازدواج مع الكلمة الثانية طبّ ويقول الميداني: "وهذا وإن صح شاذ نادر لأنه لا يجيء من باب فعل يفعل بكسر العين في المستقبل من المضاعف فعل يتعدى إلا أن يشركه يفعل بضم العين نحو نم يُنم ويَنمُ وشدّ الشيء يشدّه ويشدّه، وحبّه يحبّه جاءت وحدها شاذة لا يشركها يفعل بالضم" (119) ويمكننا من جهة أخرى ردّ هذا الشذوذ إلى اللهجات العربية القديمة واختلافها يقول أحد الباحثين: "جنحت تميم في طائفة من الأفعال إلى استعمال بناء (أفعل) وجنح غيرها من العرب إلى استعمال بناء (فعل)" (120). ويقول آخر: "أهل الحجاز يقولون بتّ ثلاثياً في أبتّ القضاء... فأهل الحجاز يخالفون تميماً في أمرين: يستعملون الفعل ثلاثياً، غير مهموز، وتهمز تميم وتجعله رباعياً" (121).

4- ملاحظة صياغة اسم التفضيل من اسم وحقّه أن يصاغ من الفعل من مثل قولهم:

- "أسمع من سمع" (122).

والسمع: "سبع مركّب لأنه ولد الذئب من الضبع وفي المثل أسمع من السمع الأزل وربما قالوا: "أسمع من سمع" (123) ويقول الميداني: والسمع كالحية لا يعرف الأسقام والعلل، وليس شيء من دون الحيوان عدوه كعدو السمع لأنه أسرع من الطير وهنا صيغ اسم التفضيل من اسم وهو قولهم سمع فخالفت بذلك قياس النحاة ويمكننا إدراج ذلك أيضاً تحت باب الاشتقاق من جوامد.

- "أتيس من تيس تويت" (124).

فهنا صيغ اسم التفضيل من اسم هو التيس "أي الذكر من المعز" (125).

- "أغرب من غراب" (126).

(118) مجمع الأمثال، الميداني، 551/1. فُسّر سابقاً.

(119) المصدر نفسه، 551/1.

(120) لهجة تميم، غالب المطلبي، ص 180.

(121) لغة قريش، مختار سيدي الغوث، ص 282.

(122) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 218/1، وفسّره بقوله: السمع مركّب لأنه ولد الذئب من الضبع و السمع كالحية لا يعرف الأسقام والعلل ولا يموت حتف أنفه بل يموت بعرض من الأعراض.

(123) لسان العرب، ابن منظور، مادة سمع، 167/8.

(124) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 97/1، وفسّره بقوله: هذا مثل حكاة محمد بن حبيب، وتويت قبيلة من قبائل قريش وهو تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى.

(125) لسان العرب، ابن منظور، 33/6 مادة تيس.

(126) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 321/1.

وهنا أيضاً صيغ اسم التفضيل من اسم هو الغراب "والغراب: هو الطائر الأسود والعرب تقول:
أبصر من غراب وأحذر من غراب وأزهي من غراب وأشد سواداً من غراب"⁽¹²⁷⁾.

5- ومن الشذوذ أيضاً تأنيث المذكر ومن ذلك قولهم:

— "حرّة تحت قرّة"⁽¹²⁸⁾.

الحرّة: العطش وهي مأخوذة من الحرارة، والقرّة: البرد ويقال كسر الحرّة لمكان القرّة، قالوا
وأشدّ العطش ما يكون في يوم بارد ويضرب لمن يضرر حقداً وغيظاً ويظهر مخالصته. فهنا نرى أن
القائل قد ألحق تاء التأنيث بكلمتي (حر، قر) وهما البرد والعطش فأنت ما حقه التنكير شذوذاً.

— "لقيته صحرة بحرة"⁽¹²⁹⁾.

أي خالياً ليس بيني وبينه حاجز، وهما اسمان جعلاً اسماً واحداً، وأصل صحرة: من الصحراء
وهو الفضاء وأصل بحرة من البحر وهو الشق الواسع ومنه سمي البحر لأنه شق من الأرض. فهنا
نرى أن القائل قد أنت ما حقه التنكير وهو قوله (بحرة) حيث ألحق علامة التأنيث وهي التاء بالبحر
وهو مذكر وذلك لتحقيق الازدواج مع الكلمة الأخرى، وإلى جانب الازدواج يمكننا تفسير هذا الشذوذ
باندراجة ضمن اللهجات العربية القديمة إذ: "إن الجنس المميز واحده بهاء التأنيث يذكر في لغة تميم
ويؤنث في لغة أهل الحجاز"⁽¹³⁰⁾. و"النثر في كلام القرشيين ظهور التأنيث فيه أحسن حالاً منه في
الشعر، من ذلك التمر نسب إليهم تأنيثه، والنحل نسب الأخفش تأنيثه إلى أهل الحجاز وقال إن غيرهم
يقول هو النحل، إلا أن غيره من اللغويين ذكر أنه مؤنث قولاً واحداً"⁽¹³¹⁾.

وكذلك قولهم: "خشّ ذؤالة بالحبالة"⁽¹³²⁾ هنا كذلك نلاحظ تأنيث كلمة (حبالة) وحققا التنكير،
والتأنيث هنا جاء لمزاوجة الكلمة الأخرى ذؤالة.

6- ومن الشذوذ أيضاً تذكر المؤنث ومن ذلك قولهم:

— "إذا جاء الحين غطى العين"⁽¹³³⁾.

(127) لسان العرب، ابن منظور، مادة غرب، 645/1.

(128) مجمع الأمثال، الميداني، 274/1، ذكر سابقاً.

(129) المصدر نفسه، 189/2.

(130) لهجة تميم، غالب المطلبي، ص 280.

(131) لغة قريش، مختار سيدي الغوث، ص 175.

(132) مجمع الأمثال، الميداني، ص 324 وفسره: الذؤالة: اسم للذئب اشتق من الذألان وهو مشي خفيف ويضرب لمن

لا يبالي تهذه، أي توعد غيري فأني أعرفك.

(133) كتاب الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، ص 326.

وقد فسرهُ أبو عبيد بقوله: وقد يروى نحو هذا اللفظ عن ابن عباس إذا جاء القدر غشي البصر.

وفي رواية أخرى جاء المثل:

— "إذا جاء الحين حار العين" (134).

والحين هنا هو الأجل، وحار تحير "ولم يقولوا هاهنا حارت العين لتقدم الفعل الفاعل ولأن الاسم المؤنث الذي لا علم فيه للتأنيث وليس تأنيثه حقيقةً ربّما ذكر مثل العين والأذن والسماء والأبد" (135).

فقد فسر لنا العسكري هذا الشذوذ، ويعكس تفسيره علاقة هذه الظاهرة باللهجات العربية القديمة والاختلاف فيما بينها. فهنا نرى أنّ القائل — في روايتين مختلفتين — قد ذكر ما حقه التأنيث وهو العين. وفي ذلك يقول أحدهم: "السماء مؤنث في لغة أهل الحجاز وواحدة سماوة ويذكر عند التميميين وأهل نجد" (136)، ومما يؤكد لنا اندراج هذا الشذوذ تحت اللهجات العربية القديمة ورود الكلمة ذاتها (العين) مؤنثة في مثل آخر وهو قولهم:

— "هين لين وأودت العين" (137).

وقد قالت امرأة عندما دهنت طرف نسعتها واسودّت وعندما سألتها النساء عن الدهن قالت المثل.

"وتختلف اللغات في (زوج) فالحجازيون يسوّون فيها بين المذكر والمؤنث، فلا يضيفون إليها تاءً، ويفصل التميميون بين المذكر والمؤنث بالتاء والفصل هو الأكثر" (138).

وبعد هذا العرض يمكننا استخلاص النتائج التالية:

1. إن مظاهر الخروج على الأصول الصرفية تعود في معظمها إلى مراعاة الازدواج مع الكلمة المزوجة، ومن جهة أخرى تعود إلى اختلاف اللهجات العربية القديمة، وتحمل الأمثال للضرورات، فهي كالشعر.

2. أبرز مظاهر الخروج على الأصول الصرفية انحصرت في بعض الجموع الشاذة وخروج اسم التفضيل عن قاعدته في صياغته من الاسم شذوذاً، وحذف بعض الحروف لمراعاة الازدواج، وتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، والشذوذ في البناء.

(134) جمهرة الأمثال، العسكري، 106/1.

(135) المصدر نفسه، 106/1.

(136) لهجة تميم، غالب المطلبي، ص 279.

(137) كتاب الأمثال، المفضل الضبي، ص 172.

(138) لغة قريش، مختار سيدي الغوث، ص 185.

ثالثاً: تعدد الروايات في الأمثال:

من خلال دراستنا لهذه المجموعة من الأمثال العربية، لاحظنا تعرض بعض الأمثال لضروب من التغيير، نجم عنه أن روي المثل بروايات متعددة، ولا عجب في ذلك، فالأمثال من أكثر أنواع الكلام تداولاً بين الناس واستخداماً، ولقد اتخذ هذا التغيير صوراً شتى منها ما أصاب بنية الكلمة وصيغتها، ومنها استبدال كلمة بأخرى، ومنها التقديم والتأخير و الذكر والحذف في ألفاظ المثل. وقد تعددت الآراء والمواقف بين اللغويين في تفسير أسباب هذه الظاهرة، فقد أرجعها أحدهم "إلى أمية العرب، وكثرة التداول، واختلاف اللهجات والرواية بالمعنى، والتقارب في مخارج بعض الحروف، والاختلاف في أصل المثل والتصحيح والتحريف"⁽¹³⁹⁾. في حين أرجعها آخر إلى "تشابه صور بعض الحروف العربية، وإهمال النقط في بداية الأمر ثم كثرته، ووجود الحركات، واختلاف الخط بين مشرقي ومغربي، والنسخ أو الوراقين، والقياس الخاطئ، وكذلك اتفق مع سابقه في كثرة اللهجات والتقارب في مخارج بعض الحروف"⁽¹⁴⁰⁾.

بينما أرجعها آخر إلى الضغوط الاجتماعية حيث يقول: "وفي كل الأحوال، يخضع الحفظ الشفاهي حرفياً كان أو غير حرفي للتغير نتيجة للضغوط الاجتماعية المباشرة"⁽¹⁴¹⁾.

أما نحن فنرى أن تعدد الروايات في الأمثال لا يخرج عن أحد الأسباب التالية:

كثرة التداول، الاختلاف في نص المثل، الرواية بالمعنى، اختلاف اللهجات، التقارب في مخارج بعض الحروف أو السماع الخاطئ، المجالس والمحاورات.

1. كثرة التداول: هناك أمثال عثرنا عليها ضمن مجموعة الأمثال المدروسة، وقد جاءت بثلاث روايات مختلفة بين مصدرين أو ثلاثة، ومن ذلك قولهم:
— "أنت مرّة عيش ومرّة جيش"⁽¹⁴²⁾.

أما الرواية الثانية فقولهم: — "مرّة عيش ومرّة جيش"⁽¹⁴³⁾.

(139) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، عبد المجيد قطامش، ص 217.

(140) قضية التصحيح في التراث العربي، دراسة بعض جهود العلماء العرب في صيانة العربية، د. سمير كجّو، دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1989م، ص45-60.

(141) الشفاهية والكتابية، والترج أونج، ص 157.

(142) مجمع الأمثال، الميداني، 64/1. وفسره بقوله: أي أنت ذو عيش، ومرّة دوجيش، قيل: إن أصله أن يكون الرجل مرة في عيش رخي ومرة في شدة.

(143) جمهرة الأمثال، العسكري، 217/2. يقول: أحياناً شدة، وأحياناً رخاء.

فهنا جاء المثل بروائيتين مختلفتين الأولى بضمير المخاطب (أنت) أي المثل موجه إلى مخاطب ومرة جاء مجرداً من الضمير، وهنا نرى أنّ الثنائية في الرواية الثانية قد تركت أثراً أكبر من الرواية الأولى، فهي تتدرج من جهة ضمن الاقتصاد اللغوي باعتبار المثل موجهاً إلى مخاطب فلا داعي لذكر الضمير الدال على ذلك، ومن جهة أخرى كان لها دور في تحقيق التوافق الموسيقي والانسجام والإيقاع أكثر من الرواية الأولى وهذا ما كان له أبلغ الأثر في حفظ المثل كما أسلفنا سابقاً.

وكذلك قولهم: — "جاء بأمّ الربيق على أريق" (144).

والرواية الثانية قولهم: — "جاء الربيق على أريق" (145).

وهنا كذلك نلاحظ الاختلاف بين روايتين لمثل واحد، جاءت الأولى بورود لفظة (أم) بينما جاءت الثانية مجردة منها، والذي جعلنا ندرج هذا المثل ضمن هذا السبب، وهو كثرة التداول، إشارة القائل إلى أم الربيق وتفسيره لمعناها في كلمات المثل وإغفاله لذكرها في أصل المثل، وهذا ما يمكن إرجاعه أيضاً إلى الاقتصاد في المجهود الذهني لعلم المخاطب به.

وكذلك قولهم:

— "ما يعرف من يهره ممّن يبرّه" (146).

— "ما يعرف هراً من برّ" (147).

وهنا نلاحظ أيضاً مجيء المثل بروائيتين مختلفتين لمعنى واحد، حيث وردت الأولى بصيغة فعلية (يهره، يبرّه) بينما جاءت الثانية بصيغة اسمية (هراً، برّ) وهذا ما يمكن إدراجه أيضاً ضمن الاقتصاد في الجهد فالصيغة الاسمية تألفت من مقاطع أقل من الصيغة الفعلية، ومن جهة أخرى جاءت الصيغة الثانية محققةً الازدواج والتوافق أكثر من الصيغة الأولى، نظراً للاختصار في عدد الكلمات والحروف.

وكذلك قولهم: — "اسع بجدك لا بكذك" (148).

والرواية الثانية قولهم: — "جدك لا كذك" (149).

(144) مجمع الأمثال، الميداني، 233/1. ذكر سابقاً.

(145) جمهرة الأمثال، العسكري، 47/1. وفسره بقوله: قيل هو من قول رجل رأى الغول على جمل أورك. وأمّ الربيق: الداهية.

(146) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 136/3. وقال: يهره: يكرهه، يضرب في استجهال الرجل ونفي العلم عنه.

(147) من نثر الدر، الآبي، 109/4. لم يذكر حول معناه شيء.

(148) المستقصى، الزمخشري، 168/1. وقال: يضرب في فوز المجدود بمساعيه دون غيره.

(149) مجمع الأمثال، الميداني، 237/1. وقال: وكذلك يروى بالرفع على معنى جدك يغني عنك لا كذك. ويروى الفتح أي ابغ جدك لا كذك.

وهنا نرى الاختلاف في المثل بين الروائتين جاءت الأولى بصيغة الأمر والثانية بصيغة التوكيد، ولكن قائل المثل أشار في الصيغة الثانية إلى أن معنى المثل ابغ جدك لا كدك، وهو ما تحمله الرواية الأولى للمثل من معنى، فهنا يمكننا تصنيف ذلك أيضاً ضمن الاقتصاد اللغوي فالقائل في الرواية الثانية قد حذف فعل الأمر لعلم المخاطب به، ابتغاء الاقتصاد في المجهود العضلي، والدليل على ذلك نص القائل في الرواية الثانية أن المثل يمكن أن يروى بالفتح.

وكذلك قولهم: — "الهيبة من الخيبة" (150).

وقولهم: — "قرنت الهيبة بالخيبة" (151).

ونرى هنا أيضاً أن المثل قد جاء بروائتين مختلفتين حملت الأولى صيغة تقريرية اسمية والثانية حملت صيغة فعلية وهذا ما يمكن إدراجه أيضاً ضمن الاقتصاد في المقاطع.

ومن ذلك قولهم: "هو بين حاذق وقاذف" (152).

وكذلك قولهم: — "الناس بين خاذف وقاذف" (153).

وكذلك قولهم: — "بقينا بين كل حاذف وقاذف" (154).

وهنا نلاحظ الاختلاف بين ثلاث روايات لمثل واحد، فقد جاءت الروائتان الأولى والثانية متفقتين في الصيغة الاسمية، بينما جاءت الصيغة الثالثة فعلية بصيغة المتكلم، وهذا ما يؤكد اختلاف المثل في روايته بكثرة التداول، فالمعنى واحد وأساليب التعبير مختلفة.

ومن الأمثال التي لاحظنا فيها اختلافاً بكثرة التداول قولهم:

— "أغنى عنه من الثقة عن الرقة" (155).

وأما الرواية الثانية فقولهم: — "أغنى عن الشيء من الثقة عن الرقة" (156).

(150) مجمع الأمثال، الميداني، 472/2. ويروى الهيبة خيبة يعني إذا هبت شيئاً رجعت منه بالخيبة.

(151) المستقصى، الزمخشري، 197/2.

(152) مجمع الأمثال، الميداني، 462/2. ذكر سابقاً.

(153) المجهول، ص 41. وفسره بقوله: أي خاذف بعضاً أو قاذف بصخرة. أي هم في شر ومكروه عظيم ويروى خاذف بالحاء (خاذف).

(154) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، 75/2. ذكر سابقاً.

(155) مجمع الأمثال، الميداني، 16/2. وفسره بقوله: الثقة: هي السبع الذي يسمى عناق الأرض، والرقة: التبن ويقال دقاق التبن. والأصل فيهما تفهة ورفهة. وجمعها تقات ورفات. ويقال في مثل آخر استغنت الثقة عن الرقة وذلك أن الثقة سبع بقات الرقة وإنما يغتذي باللحم فهو يستغني عن التبن.

(156) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 321/1. وفسره بقوله: الثقة: السبع الذي يسمى عناق الأرض، والرقة: التبن.

وأما الرواية الثالثة فقولهم: — "أغنى عن ذا التفة عن الرفة"⁽¹⁵⁷⁾.

فهنا نلاحظ تعدد الروايات في هذا المثل أيضاً لتصل إلى أربع روايات بعد إشارة الميداني إلى مجيئه برواية: استغنت التفة عن الرفة، وهذا ما يؤكد تعدد هذه الروايات لكثرة تداولها على الألسنة فالمعنى واحد والتعبير مختلف، واختلاف التعبير هنا يعود في الغالب إلى سعي القائل وراء السهولة واليسر في النطق والاقتصاد قدر الممكن من المجهود في إيصال المعنى.

ومن الأمثال أيضاً قولهم:

— "أنا تنق وصاحبي منق، فكيف نتفق"⁽¹⁵⁸⁾.

وكذلك قولهم: — "أنت تنق وأنا منق فمتى نتفق"⁽¹⁵⁹⁾.

وأما الرواية الثالثة فقولهم: — "أنا تنق وأنت منق فكيف نتفق"⁽¹⁶⁰⁾.

وهنا نلاحظ كذلك تعدد الروايات في مثل واحد لتصل إلى ثلاثة، وقد تنوعت بين استفهامية واسمية. وقد اتفقت الروايات الثلاث في المعنى.

وهذا يمكن تصنيفه تحت كثرة التداول والاتجاه إلى التيسير والسهولة والاقتصاد في اللفظ والمقطع فالفرق واضح بين قولنا (أنا منق، وصاحبي منق) من حيث المعنى والمبنى والمقاطع.

2. الاختلاف في نص المثل:

ومن ذلك قولهم:

— "السراح من النجاح"⁽¹⁶¹⁾.

(157) المجهول، ص 35. التفة: دويبة تأكل اللحم، والرفة: النبن.

(158) جمهرة الأمثال، العسكري، 96/1. وفسره بقوله: التثق: السريع إلى الشر، والتثق: السريع البكاء، ويضرب مثلاً لسوء الموافقة في الأخلاق. وقالوا التثق: الممتلئ غضباً، يقال أتأقت الإناء إذا ملأته، والمثق: القليل الاحتمال، الجزوع من أدنى مكروه.

(159) مجمع الأمثال، الميداني، 64/1. وذكر الميداني: قال أبو عبيد: التثق: السريع إلى الشر، والمثق: السريع إلى البكاء يضرب للمختلفين أخلاقاً.

(160) زهر الأكم، اليوسي، 85/1. وفسره بقوله: التثق: الممتلئ غضباً وأصله في الإناء. يقال: تنق الإناء يتأق إذا امتلأ وأتأفته أنا ملأته. ويقال التثق: السريع إلى الشر، ويقال هو الحديد والمثق: الباكي يأخذه شبه الفواق عند البكاء والنشيج. يضرب للمتخالفين خلقاً.

(161) مجمع الأمثال، الميداني، 463/1. يضرب لمن لا يريد قضاء الحاجة، أي ينبغي أن تؤسسه منها إذا لما تقض حاجته.

— "الشراح من النجاح" (162).

فهنا نلاحظ إشارة العسكري في الرواية الثانية إلى الرواية الأولى، والروايتان مختلفتان في المعنى وهذا ما جعلنا ندرجها تحت الاختلاف في نص المثل.

ومن ذلك قولهم أيضاً:

— "البلايا على الحوايا" (163).

— "المنايا على البلايا" (164).

— "المنايا على الحوايا" (165).

— "المنايا على السوايا" (166).

وهنا نلاحظ مجيء المثل بأربع روايات مختلفة في المعنى وهذا ما جعلنا ندرجها تحت الاختلاف في نص المثل أو روايته.

ومن ذلك قولهم: — "من حَفْنَا أَوْ رَفْنَا فليقتصد" (167).

أما الرواية الأخرى فقولهم: — "من حَفْنَا أَوْ رَفْنَا فليترك" (168).

(162) جمهرة الأمثال، العسكري، 463/1. وفسره بقوله: أي أعطني أو اشرح لي وجه اليأس فأنصرف، ويروي السراح وهو أن يسرحه ولا يحبسه.

(163) مجمع الأمثال، الميداني، 148/1. ذكر سابقاً. وهنا نذكر به: الحوية والسوية كساء يحشى بالثمام ونحوه ويدار حول سنام البعير.

(164) جمهرة الأمثال، العسكري، 219/2. وقال: مثل للقوم الرديئة حالهم الشديدة شوكتهم، والبلية: الناقة يغطي وجهها وتشد على قبر صاحبها إذا مات. لا تسق ولا تعلق حتى تموت، وكانوا يقولون إذا فعلوا ذلك يركبها صاحبها في عرضة القيامة.

(165) المصدر نفسه، 219/2. وقال: مثل للقوم هلاكهم وأصله أن قوماً قتلوا وحملوا على الحوايا وهي مراكب النساء واحدها حوية.

(166) مجمع الأمثال، الميداني، 336/2. قال الميداني: يقال إن المثل لعبيد بن الأبرص قاله حين استنشده النعمان بن المنذر يوم بؤسه. قال أبو عبيد: يقال إن الحوايا واحدها حوية، وأحسب أن أصلها قوم قتلوا فحملوا على الحوايا فصارت مثلاً. يضرب عند الشدائد والمخاوف.

(167) المصدر نفسه، 344/2. يجوز أن يكون حَفْنَا من حَفَّت المرأة وجهها إذا أزلت ما عليه من الشعر تزييناً وتحسيناً. ورَفْنَا: من رف الغزال ثمر الآراك أي تناوله يريد من تناولنا بالإطراء أوزاننا به فليقتصد.

(168) مجمع الأمثال، الميداني، 344/2. وهذا قول امرأة زعموا أن قوماً كانوا يعطفون عليها ويتنفعونها، فانتبهت يوماً إلى نعمة قد عصب بصعرورة، والصعرورة: صمغة دقيقة ملتوية طويلة. فألقت عليها ثوبها وغطت بها رأسها، ثم انطلقت إلى أولئك القوم فقالت من كان يحفنا أويرفنا فليترك لأنها زعمت أنها استغنت بالنعامة. ثم رجعت فوجدت النعمة قد أساغت الصعرورة وذهبت بالثوب. يضرب لمن يبطره الشيء اليسير ويثق بغير الثقة.

وأما الرواية الثالثة فقولهم: — "من كان محاسينا أو مواسينا فليتفر" (169).

فهنا نلاحظ اختلاف المعنى بين هذه الروايات وهذا ما جعلنا ندرجها تحت الاختلاف في نص أو رواية المثل.

ومن ذلك قولهم:

— "إذا جاء الحين حار العين" (170).

— "إذا جاء الحين غطى العين" (171).

— "إذا نزل الحين نزل بين الأذن والعين" (172).

وهنا نرى مجيء المثل بثلاث روايات مختلفة في المعنى، وهذا ما جعلنا ندرجه كذلك تحت الاختلاف في رواية المثل.

3. الرواية بالمعنى: ومن ذلك قولهم:

— "صغراها مرّاه" (173).

— "صغراهنّ مراهنّ" (174).

— "صغراهنّ شراهنّ" (175).

فهنا نرى الاختلاف بين ثلاث روايات لمثل واحد، والملاحظ ميل القائل إلى إبدال الكلمة بكلمة أخرى على نفس الوزن والإيقاع، وتحمل المعنى ذاته في هذه المجموعة، فقد أشارت الرواية الثانية إلى أن معنى مرّاهنّ أدهاهنّ وجاءت الرواية الثالثة لتؤكد هذا المعنى بقوله شراهنّ، فالقائل كان يسعى إلى المحافظة على الوزن والموسيقا، وإلى مراعاة المعنى إلى جانب المبنى.

(169) مجمع الأمثال، الميداني، 360/2. وقال الميداني: بضرب في موضع من كان يحفنا أو يرفنا فليترك وقوله فليتفر من الوفّر.

(170) جمهرة الأمثال، العسكري، 106/1. وفسّره بقوله: الحين: الأجل ويقال: حار وتحير.

(171) الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلّام، ص 326. وقال: قد يروى نحو هذا اللفظ عن ابن عباس وهو قوله: إذا جاء القدر غشي البصر.

(172) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 77/3. لم يذكر حول معناه شيء.

(173) أمثال العرب، المفضل الضبيّ، ص 168.

(174) المصدر نفسه، ص 168. زعموا أن امرأة، كانت بغياً تؤاجر نفسها، وكان لها بنات فخافت أن يأخذن مأخذها، فكانت إذا غدت في شأنها قالت: احفظن أنفسكن وإياكن أن يقربكن أحد. فقالت إحداهن: تنهانا أمنا عن الغي وتغدو فيه. فذهبت مثلاً. فقالت الأم: صغراهنّ مراهنّ. أي أنكرهنّ وأدهاهنّ.

(175) مجمع الأمثال، الميداني، 553/1. ذكر سابقاً.

ومن ذلك قولهم: — "عاشرينا وأخبرينا"⁽¹⁷⁶⁾.

وأما الرواية الثانية فقولهم: — "جاورينا وأخبرينا"⁽¹⁷⁷⁾.

وهنا أيضاً نرى الاختلاف بين روايتين من حيث الشكل واتفاقهما من حيث المضمون والمعنى. فقد حملت الرواية الثانية (جاورينا) معنى الرواية الأولى (عاشرينا). والإبدال جاء هنا مناسباً للوزن والموسيقا، فالقائل كان يقصد ذلك فقد أبدل كلمة بأخرى مع محافظته على الإيقاع والموسيقا، ومحافظته على المعنى.

ومن ذلك قولهم:

— "ألصق الحسّ بالإس"⁽¹⁷⁸⁾.

— "ألق الحسّ بالإس"⁽¹⁷⁹⁾.

هنا نرى كذلك الاختلاف بين روايتين من حيث الكلمات، واتفاقهما من حيث المعنى فقد أبدل القائل كلمة بكلمة مع محافظته على الوزن ذاته فألصق على وزن ألق ونرى كذلك الاتفاق في الحروف للمحافظة على الوزن والإيقاع، لأن ألصق تحمل معنى ألق.

وكذلك قولهم:

— "جنني به من حسك وبسك"⁽¹⁸⁰⁾.

— "أيت به من حسك وبسك"⁽¹⁸¹⁾.

فهنا نلاحظ كذلك مجيء المثل بروايتين مختلفتين ومتفقتين معنىً، فالرواية الأولى تحمل معنى الرواية الثانية بدليل إشارة قائل المثل إلى ذلك في تفسيره، وكذلك صرح قائل الرواية الثانية بأنه يتكلم

(176) المستقصى، الزمخشري، 156/2. وفسره بقوله: كان رجلان يتعشقا امرأة، وأحدهما جميل والآخر دميم، فكان

الجميل يقول: عاشرينا وانظري إلينا، ويقول الدميم: عاشرينا وأخبرينا.

(177) مجمع الأمثال، الميداني، 224/1. وفسره: كان رجلان يعشقان امرأة، وكان أحدهما جميلاً وسيماً، وكان الآخر

دميماً تقتحمه العين، فكان الجميل يقول: عاشرينا وانظري إلينا، وكان الدميم يقول جاورينا وأخبرينا فكانت تدني الجميل.

(178) جمهرة الأمثال، العسكري، 131/1. ذكر سابقاً.

(179) مجمع الأمثال، الميداني، 203/2. ذكر سابقاً.

(180) المصدر نفسه، 236/1. وقال أيضاً: ويروى من عسك وبسك أي ائت به على كل حال من حيث شئت. وقيل

الحسّ: من الإحساس، والبس: التفريق. يقال بسست المال في البلاد أي فرقته والمعنى من حيث تدركه بحاستك

أي من حيث تبصره، وبسك: أي من حيث تركه برفقك، من أبس بالناقاة إذا رفق بها عند الحلب أو من حيث انبست

أي تفرقت. يضرب في استفراغ الوسع في الطلب حتى يعذر.

(181) الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، 232.

به العوام من الناس وهذا يجعلنا نجزم باندراج هذا المثل تحت الرواية بالمعنى، فكلمة العوام أي الطبقة غير المتقفة، فهنا أبدل القائل كلمة بكلمة مع محافظته على المعنى.

وكذلك قولهم:

— "ثاب حابلهم على نابلهم" (182).

— "ثار حابلهم على نابلهم" (183).

كذلك نلاحظ هنا مجيء المثل بروايتين مختلفتين لفظاً ومتفقتين معنىً، فالرواية الثانية تحمل معنى الرواية الأولى بدليل إشارة القائل إلى ذلك في تفسير للمثل، فالقائل هنا أبدل كلمة بكلمة لها نفس الوزن والإيقاع لتحقيق الانسجام الصوتي مع محافظته على المعنى فثاب تحمل معنى ثار.

4. اختلاف اللهجات بين القبائل العربية:

يقول ابن جني: "كلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لهجات لجماعات، اجتمعت لإنسان واحد" (184). وذكر ابن جني أمثلة لكلمات مختلفة البنية مثل: الذرح والدرج والذريح والذراح والذرح والذرنوح (185).

ومن الأمثال التي جاء فيها اختلاف في اللهجات قولهم:

— "عين عرفت فذرفت" (186).

— "عين عرفت فذارفت" (187).

— "بعد الهييط والمييط" (188).

— بعد الهياط والمياط" (189).

وهنا نرى كذلك مجيء المثل بروايتين تمثل كل رواية لهجة قبيلة من القبائل. فالملاحظ أن بعض القبائل تؤثر المد، والأخرى تتجنبه.

(182) المجهول، ص 52. وفسره: الحابل: ذو الحبال، والنبل: ذو النبل أي اجتمعوا على إنقاذ الشر.

(183) مجمع الأمثال، الميداني، 211/1. وفسره بقوله: الحابل: صاحب الحبال، والنابل: صاحب النبل، أي اختلط أمرهم ويروى ثاب أي أوقد الشر إيقاداً. يضرب في فساد ذات البين وتأريث الشر في القوم.

(184) الخصائص، ابن جني، 374/1.

(185) المصدر نفسه، 373/1.

(186) مجمع الأمثال، الميداني، 627/1. وقال: يضرب لمن رأى الأمر فعرف حقيقته.

(187) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 77/3. ذكر المعنى نفسه.

(188) مجمع الأمثال، الميداني، 140/1.

(189) المصدر نفسه، 140/1. وقال: الهياط: الصباح، والمياط: الدفع. أي شدة وأذى.

ومن ذلك قولهم:

— "لا دريت ولا انتليت" (190).

— "لا دريت ولا تليت" (191).

— "لا دريت ولا أليت" (192).

فهنا نلاحظ مجيء المثل بثلاث روايات مختلفة اللهجات إحداها تؤثر الهمز، والأخرى تسهله، والثالثة تؤثر الهمز مع التشديد، يقول أحد الباحثين: "التميميون يقولون جبرئيل وميكائيل وأهل الحجاز يقولون جبريل وميكايل" (193).

وكذلك قولهم:

— "رهبوت خير من رحموت" (194).

— "رهبوتي خير من رحموتي" (195).

وهنا نلاحظ أيضاً مجيء المثل بروائيتين، تمثل كل رواية لهجة من اللهجات العربية.

وكذلك من اللهجات قولهم:

— "لا يعرف الحي من اللي" (196).

— "ما يعرف الحومن اللو" (197).

هنا نلاحظ مجيء المثل بروائيتين، تمثل كل رواية لهجة قبيلة من القبائل العربية.

(190) الوسيط في الأمثال، الواحدي، ص 186. وفسره بقوله: معناه لم تعلم ولم تقصر في الطلب لأن انتليت من ألوت إذا قصرت كما قالوا: لا آله نصحاء، وقال الأصمعي: انتليت افتعلت من ألوت الشيء إذا استطعته. يقول لا دريت ولا استطعت أن تدري.

(191) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، 131. وذكر أنه: ويقال أيضاً انتليت أي استطعت ويقال: ما يألوه أي يطيقه.

(192) الإتياع، أبو الطيب اللغوي، 10. ذكر أنه: ولا يقال انتليت والانتلاء: التقصير كأن المعنى ولا قصرت في التفهم إلا أنه لا يقال مفرداً بمعنى الدعاء على الإنسان.

(193) لهجة تميم، غالب المطلبي، ص 160.

(194) المجهول، ص 65. وفسره: أي الرهب منك خير من الرحمة لك.

(195) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لأبي عبيد البكري، حققه: د. إحسان عباس، د. عبد المجيد عابدين، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، (د.ط) 1971م، ص 56. وقال: أي ترهب خير من أن تحب وترحم.

(196) جمهرة الأمثال، العسكري، 320/2. ذكر سابقاً.

(197) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 136/3. لم يذكر حول معناه شيء.

5. التقارب في مخارج بعض الحروف: ومن ذلك قولهم:

— "لا آتيك سجييس عجيس" (198).

— "لا آتيك سجييس غبييس" (199).

فهنا نلاحظ مجيء المثل بروايتين مختلفتين تحملان معنىً واحداً مع اختلاف بين كلمتين هما (عجيس، غبييس) وكذلك قولهم:

— "ماله عافطة ولا نافطة" (200).

— "توينا في درّ غافطة وناطقة" (201).

وهنا كذلك نلاحظ مجيء المثل بروايتين مختلفتين تحملان معنىً واحداً مع اختلاف بين كلمتين هما (عافطة، غافطة). والذي أدى إلى هذا الاختلاف هو التقارب في مخرج الحروف فالعين والغين حلقيتان: تشتركان في المخرج وهو الحلق فكان ذلك سبباً في قلبهما وتبادلهما المخرج دون تغيير في المعنى "وأما العين فمخرجها وسط الحلق وأما الغين فمخرجها من أدنى الحلق" (202). وكذلك نلاحظ الاختلاف بين حرفي الباء والجيم في كلمتي (عجيس، غبييس)، ويمكننا تفسيره بتقارب مخارج الحرفين أيضاً، الباء شفوية مخرجها "مما بين الشفتين معاً" (203)، وأما الجيم فشجرية "مخرجها من شجر الفم، أي مفتحة، من وسط اللسان، وما يحاذيه من الحنك الأعلى" (204)، وهذا التقارب بينهما أدى إلى هذا الاختلاف وكذلك يمكننا إرجاع هذا الاختلاف إلى السماع الخاطيء.

وكذلك قولهم:

— "إن لم يكن وفاق ففراق" (205).

(198) مجمع الأمثال، الميداني، 232/2. وإنما سمّي عجيساً لأنه يتعجس أي يبطئ فلا يذهب أبداً، يقال: سجليسس عجيس مصغراً وسجيس الأوجس ومعنى كله الدهر.

(199) فصل المقال، أبو عبيد البكري، 510. وقال: هو من قولهم: عجس تعجيساً إذا أبطأ الدهر، أي لا آتيك طول الدهر وأما غبييس فإنما يأتي من قولهم: غبا غبييس يقال: غبس الليل وأغبس إذا أظلم فكأنه قال ما أظلم الليل.

(200) مجمع الأمثال، الميداني، 290/2. وفسّره: العافطة: النعجة، والنافطة: العنز وقال بعضهم العافطة الأمة والنافطة: الشاة.

(201) الوسيط، الواحدي، 90 وفسّره أي أقمنا درّ ضائنة وماعزة، فالغافطة: الضائنة، والنافطة: الماعزة أراد أقمنا عنده نشرب لبن الضأن والمعز. يضرب لمن كان في حال حسنة مع تلونها.

(202) المدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدور، ص 120.

(203) المرجع نفسه، ص 120.

(204) المرجع نفسه، ص 120.

(205) مجمع الأمثال، الميداني، 70/1. ذكر سابقاً.

— "لم يكن وماق ففراق" (206).

فهنا نلاحظ مجيء المثل بروايتين مختلفتين تحملان معنىً واحداً مع اختلاف بين كلمتين هما (وماق، وفاق) والذي أدى إلى هذا الاختلاف في الروايتين هو تقارب مخرج حرفي الفاء والميم، فهما شفويتان "أما الفاء فمخرجها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، وأما الميم فمخرجها بانطباق الشفتين" (207). يقول أحدهم: "ومرد الإبدال في كثير من هذه الكلمات إلى تطوّر يصيب بعض حروف الكلمة، فيحلّ حرف محل حرف آخر يقاربه في المخرج، وهذا التقارب يُيسره بعض الحروف المجاورة للحرف المُبدل، إذ يؤثر صوت الحرف القوي في صوت الضعيف فيعين على قلبه إلى صوت جديد يناسبه" (208).

6. المجالس والمحاورات:

لقد كان المثل يشكّل تحدياً للمستمعين كي يقابلوه بمثل أفضل للمقام أو يناقضه في المعنى، وهذا من أسباب تعدّد الروايات في الأمثال، فقد انصبّ اهتمام الناطقين بالمثل على تحقيق المجانسة الصوتية والازدواج بين كلمات المثل دون الاهتمام بالمفردة نفسها وهذا ما دعا إلى استبدالها بأخرى على وزنها ورويها كما رأينا في حديثنا عن الرواية بالمعنى، وقد تكون المفردة من محض الخيال. ولاسيما أنّ كثيراً من الكلمات المزوجة جاءت للزينة اللفظية ولم يكن لها معنى، يقول أحد الباحثين: "القدماء من العرب جعلوا الجهل بالأمثال وعدم إتقانها نقصاً وعباً من يوجد فيه لا يستحقّ الانتساب إلى الأدب والأدباء" (209).

ويقول آخر: "الأمثال والألغاز لا تستخدم لتخزين المعرفة فقط بل لجذب الآخرين إلى معركة لفظية أو ذهنية، إذ يمثل نطق المثل أو اللغز تحدياً للمستمعين كي يقابلوه بمثل أفضل للمقام أو يناقضه في المعنى" (210).

وبعد عرضنا هذا نحاول الآن تبين أثر تعدد الروايات في المعنى العام للمثل، فقد لاحظنا فيما سبق بعض الأسباب التي فسّرنا بها تعدّد الروايات في الأمثال، فقد لاحظنا في بعض الأسباب السابقة محافظة المثل على معناه رغم التعدّد أو الإبدال في بعض حروفه، ومن ذلك ما جاء تحت الرواية بالمعنى، واختلاف اللهجات، والتقارب في مخارج بعض الحروف، وإذا ما حاولنا الوقوف عند هذه الظاهرة لاحظنا انعكاساتها الإيجابية تتجلى في كلمات المثل من خلال التوسع في اللغة وزيادة

(206) المستقصى، الزمخشري، 375/1. ذكر سابقاً.

(207) المدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدور، ص 121.

(208) لغة قریش، مختار سيدي الغوث، ص 143.

(209) الأمثال العربية، مصطفى أبو العلا، نقلاً عن جمهرة الأمثال للعسكري، ص 72.

(210) الشفاهية والكتابية، والترج أونج، ص 157.

المرادفات التي تؤدي إلى زيادة الثروة اللغوية ويمكننا ملاحظة أثر ذلك من خلال الأمثال العديدة ومن ذلك قولهم:

- "ألصق الحسّ بالإسّ" (جمهرة الأمثال، العسكري 131/1).
- "ألحق الحسّ بالإسّ" (مجمع الأمثال، الميداني، 203/2).
- "بعد الهيّط والمييط" (المصدر نفسه، 140/1).
- "بعد الهياط والمياط" (مجمع الأمثال، الميداني، 140/1).
- "رهبوت خير من رحموت" (المجهول، 65).
- "رهبوتي خير من رحموتي" (فصل المقال، أبو عبيد البكري، 56).
- "عاشرينا وأخبرينا" (المستقصى، الزمخشري، 56/2).
- "جاورينا وأخبرينا" (مجمع الأمثال، الميداني، 224/1).
- "صغراها مرّاهّا" (المجهول، 69).
- "صغراهنّ شراهنّ" (مجمع الأمثال، الميداني، 553/1).
- "صغراهنّ مراهنّ" (أمثال العرب، المفضل الضبي، 168).
- "لا آتيك سجيّس عجيّس" (مجمع الأمثال، الميداني، 232/2).
- "لا آتيك سجيّس غبيّس" (فصل المقال، أبو عبيد البكري، 510).
- "لا دريت ولا انتليت" (الوسيط في الأمثال، الواحدي، 186).
- "لا دريت ولا تليت" (الإتباع والمزاوجة، ابن فارس، 131).
- "لا دريت ولا ألّيت" (الإتباع، أبو الطيب اللغوي، 10).

وفي ذلك يقول ابن جني فيما أسماه باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني: "ومنها التقديم والتأخير في تقليب الأصول نحو (ك ل م) (ك م ل) و (م ك ل) ونحو ذلك. وهذا كلّه والحروف واحدة غير متجاورة، لكن من وراء هذا ضرب غيره، هو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني وهذا باب واسع من ذلك قوله تعالى: "ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً"⁽²¹¹⁾ أي تزعجهم وتقلقهم فهذا في معنى تهزّهم هزّاً والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين"⁽²¹²⁾.

وما قاله ابن جني نراه ينسحب على معظم الأمثال التي سقناها آنفاً تحت تعدّد الروايات في الأمثال، فالتزواج الموسيقي هو الذي دفع قائل المثل إلى إعادة المثل ونطقه بأكثر من رواية، فبعض الأمثال تقارب فيها اللفظان لتقارب المعنيين، وهذا التقارب في المعاني تناقلته الألسن بألفاظ متعدّدة،

(211) سورة مريم — الآية 83.

(212) الخصائص ابن جني، 146/2.

وهذا ما سبب تعدد الروايات للمثل الواحد فقولهم مثلاً: ألصق الحسّ بالإسّ، ألحق الحسّ بالإسّ، هو نتيجة لهذا التقارب في اللفظين لتقارب المعنيين.

وبعد هذا العرض نستخلص النتائج التالية:

1. انحصرت أسباب تعدد الروايات في الأمثال ما بين كثرة التداول، الاختلاف في رواية المثل، الرواية المعنى، اختلاف اللهجات، التقارب في مخارج بعض الحروف، المجالس والمحاورات.
2. الأمثال التي جاءت ضمن كثرة التداول تتدرج الروايات المتعددة فيها تحت الاقتصاد اللغوي، وتحقيق الازدواج والمجانسة الصوتية بين كلمات المثل.
3. الأمثال التي جاءت ضمن الرواية بالمعنى تتدرج الروايات المتعددة فيها تحت سعي القائل إلى المحافظة على الوزن والروي ومراعاة المعنى إلى جانب المبنى.
4. انصباب اهتمام الناطقين بالمثل على تحقيق المجانسة الصوتية والازدواج بين كلمات المثل هو الذي دعا إلى استبدالها بأخرى على وزنها ورويها.
5. كان لتعدد الروايات في الأمثال دور في زيادة المرادفات التي تؤدي إلى زيادة الثروة اللغوية العربية.
6. تقارب اللفظين في بعض الأمثال كان نتيجة لتقارب المعنيين وهو ما سبب تعددًا في روايات بعض الأمثال.

رابعاً: الإبدال:

"وهو أن يحل حرف مكان آخر سواء كان حرف علّة أو غيره"⁽²¹³⁾.

ومن خلال دراستنا لعينة الأمثال المختارة يمكننا الوقوف على الأمثال التالية التي وقع الإبدال فيها ومن ذلك قولهم:

— "تركتم في حيص بيص"⁽²¹⁴⁾.

يقول الميداني: "حيص من بنات الياث وبيص من بنات الواو فأبدلت الواو ياءً ليزدوجا"⁽²¹⁵⁾.

وكلام الميداني يؤكد وقوع الإبدال في كلمة بيص فالأصل فيها بوص: وهو الفوت. فأبدلت الواو ياءً لتحقيق الازدواج والمجانسة الصوتية مع الكلمة الأخرى (الحيص).

— "جاء بأَمّ الربيق على أريق"⁽²¹⁶⁾.

يقول الميداني: "أريق أصله وريق بالواو تصغير أ ورق مرخماً"⁽²¹⁷⁾.

ورواية صاحب المثل تؤكد لنا أيضاً وقوع الإبدال في قوله أريق فالأصل وريق بالواو تصغير أ ورق مرخماً فأبدلت الواو همزة.

— "مليح بليح"⁽²¹⁸⁾.

والرواية الأخرى قولهم: — "مليح قزيح"⁽²¹⁹⁾.

فهنا نلاحظ الاختلاف بين روايتين وقد وقع فيهما إبدال بين كلمتي (بليح قزيح) والذي يجعلنا نطمئن إلى هذا الإبدال إشارة قائل المثل في الرواية الثانية يراد بذلك (المبالغة في المعنى) وكأنّ الإبدال هنا إنّما جاء للمبالغة في المعنى، فقد أبدلت الباء قافاً واللام زايّاً دون اختلاف في بقية الحروف. وقد يكون هذا الإبدال سببه كثرة تداول المثل على الألسنة وتناقله بين العوام.

(213) التطبيق الصرفي، د. عبدة الراجحي، دار النهضة العربية (د.ط)، 1984م، ص 177.

(214) مجمع الأمثال، الميداني، 175/1. ذكر سابقاً.

(215) المصدر نفسه، 175.

(216) المصدر نفسه، 233/1. ذكر سابقاً.

(217) المصدر نفسه، 233/1.

(218) كتاب الأمثال، السدوسي، ص 76. لم يذكر حول معناه شيء.

(219) كتاب الأمثال، أبو عكرمة الضبي، 101. وقال: يراد بذلك المبالغة في المعنى. فكأنه قال: هو في جودته وإحكامه بمنزلة الصنيع من الطبخ الذي قد ملح وقزح، والقزح: التابل وهو الابرار. ومليح فعيل من الملح.

— "لقيته أول صوتك بوك" (220).

يقول الميداني: "صوك من بنات الياء وبوك من بنات الواو فأبدلت الواو ياءً ليزدوجا" (221).

فهنا نرى أن القائل أشار صراحةً إلى الإبدال في كلمة صوك فالأصل فيها (صيك) فأبدلت الواو ياءً لتحقيق الازدواج والمجانسة الصوتية مع الكلمة الأخرى (بوك).

وإذا ما حاولنا هنا الوقوف على الدلالة النفسية للإبدال في الأمثال الآتية الذكر نرى أنها قد حافظت على دلالتها النفسية قبل الإبدال و بعده، فالإبدال جاء في الغالب في حروف تحمل نفس الصفات، وجميع الأمثال التي وقع فيها الإبدال إنما كان الإبدال فيها لتحقيق الانسجام الصوتي والازدواج بين كلمتي الإبتاع والمزاوجة، فقد رأينا الإبدال يتكرر بكثرة بين حرفي الواو والياء وهما "حرفان جوفيان أو هوائيان" (222) ويشتركان في صفات الجهر والرخاوة والاستفال (223).

أما الإبدال بين الحروف فقد حمل أيضاً دلالة نفسية فالواو تحمل معنى الفعالية والانفعال المؤثر في الظواهر، كما أن صوت الواو الحاصل من تدافع الهواء في الفم يوحى بالبعد إلى الأمام (224).

وإذا تأملنا في أمثلة الإبدال السابقة، ولاسيما التي أبدلت الياء فيها واواً نرى هذه المعاني تتجلى بوضوح فالمثل يقال في مقام إقامة البرهان والحجة، ولا بدّ مع ذلك من الانفعال والحدة وجاءت الواو بدلاً من الياء هنا لتناسب هذا المعنى وتدعمه، وأما الأمثلة التي أبدلت الواو فيها ياءً فهي لا تقل أهمية في الدلالة النفسية عن الواو، فالياء توحى بصور بصرية تبدو وكأنها تصعد من حفرة بشيء من المشقة، وإذا تحرك ما قبلها أعطتنا صورة الحفرة العميقة والوادي السحيق لتشفّ الياء في هذه الحالة عما في صميم الإنسان أو الأشياء من الخصائص المتأصلة فيها (225).

وهنا نرى أن الأمثال التي أبدلت الواو فيها ياءً (226) قد تناسب فيها هذا الإبدال مع مقام المثل، فالقائل كما أسلفنا يستشهد في معرض الدفاع وإقامة الحجة، وهذه الياء كأنها أخرجت ما في قلب القائل من المشاعر والأفكار وكأنه يوجه ضربةً إلى خصمه.

(220) مجمع الأمثال، الميداني، 209/2. ذكر سابقاً.

(221) المصدر نفسه، 209/2.

(222) المدخل إلى فقه اللغة العربية، أحمد محمد قدور، ص 119.

(223) الجهر انحباس جري النفس عند النطق بالحرف ثم هزّه للوترين الصوتيين عند اندفاعه. (المرجع نفسه، 122) الرخاوة: جريان الصوت مع الحرف لتمام ضعفه لعدم الاعتماد على مخرجه. (المرجع نفسه، 122).

الاستفال: انحطاط اللسان عند خروج الحرف من الحنك إلى قاع الفم. (المرجع نفسه، 122).

(224) خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، 1998م، ص 96.

(225) المرجع نفسه، ص 98. بتصرف.

(226) لمزيد من التوضيح ينظر: الحرف العربي والشخصية العربية، حسن عباس، ص 132 — 134.

وهنا نذكر بأهم النتائج المستخلصة:

1. معظم الأمثال التي وقع الإبدال فيها، كان الدافع إليه تحقيق الازدواج والمجانسة الصوتية في المثل مع الكلمة الأخرى.
2. الكلمات التي وقع الإبدال بين حروفها حافظت على دلالتها النفسية قبل الإبدال وبعده، فالحروف التي أبدلت بأخرى حملت نفس الخصائص الصوتية والصفات للحروف المبدل منها.

خامساً: التسهيل:

والمقصود بالتسهيل هنا تسهيل الهمزة وتخفيفها في النطق، حيث لوحظ شيوع التسهيل في فئة من الأمثال المدروسة، وفي ذلك يقول أحدهم: "اعلم أنّ الهمزة لما كانت أدخل الحروف في الحلق ولها نبرة كريمة تجري مجرى التهوّع ثقلت بذلك على لسان المتلفّظ بها، فخفّفها قوم وهم أكثر أهل الحجاز ولاسيما قريش" (227).

ويقول باحث آخر: "أهل الحجاز وقريش يقولون: إسأل يسأل سل بغير همز وبه قرأ نافع وابن عامر، وبه أيضاً نزل قوله تعالى "سل بني إسرائيل" (228) وبعض بني تميم يقول: سأل يسأل اسأل وبعضهم يقول في الأمر اسل بالألف وطرح الهمز" (229). ويقول آخر: "ولصعوبة الهمزة مالت بعض اللهجات العربية القديمة إلى تسهيلها، وكانت لغة قريش أشهرها تسهلاً" (230).

ومن الأمثال التي لوحظ تسهيل الهمز فيها قولهم:

— "ذياب في ثياب" (231).

هنا نلاحظ التسهيل واضحاً في المثل فالأصل في ذياب ذئاب بالهمز، إلّا أن القائل تخلّص من الهمز تسهلاً للتخفيف، وقد تكون لهجة قبيلة من القبائل العربية القديمة كما أشرنا سابقاً.

— "هو يشوب ويروب" (232).

هنا نلاحظ كذلك برواية صاحب المثل تسهيل الهمزة واواً للتخفيف في يروب. فالأصل فيها همزة (يرؤب) كما أشار قائل المثل.

— "إنّه لرابط الجاش على الأغباش" (233).

هنا نلاحظ كذلك تسهيل الهمزة ألفاً للتخفيف فالأصل في الجاش الجأش بالهمز، ولكنّ القائل تخلّص من الهمز، وقد تكون لهجة من اللهجات كما أشرنا.

(227) شرح شافية ابن الحاجب، للشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي، 13/3 .

(228) سورة البقرة، الآية 211.

(229) لهجة تميم، غالب المطلبي، ص 160.

(230) لغة قريش، مختار سيدي الغوث، ص 56.

(231) زهر الأكم، اليوسي، 7/3. ذكر سابقاً.

(232) مجمع الأمثال، الميداني، 472/2. فُسّر سابقاً.

(233) المصدر نفسه، 73/1. ذكر سابقاً.

ولعل النتيجة الأهم التي خلصنا إليها بعد عرضنا هذا ملاحظة وقوع التسهيل بالهمز في معظم الأمثال بسبب اختلاف اللهجات بين القبائل العربية، وإيثار بعضها التخفيف، بينما فضلت الأخرى تحقيق الهمز.

الفصل الرابع

الدراسة النحويّة وتتضمن:

- 1 – أسلوب التوكيد.
- 2 – أسلوب الحذف.
- 3 – أسلوب النفي.
- 4 – أسلوب الشرط.

أولاً: أسلوب التوكيد:

أسلوب التوكيد من الأساليب التي شاع استخدامها في الأمثال العربية المدروسة، وللتوكيد أدوات وأغراضه المتعددة، فهناك التوكيد بالقسم، والتوكيد بالقصر، والتوكيد بالتقديم، وهناك أدوات كثيرة مفرقة مبثوثة هنا وهناك في أبواب النحو، تؤكد بها الجملة الاسمية وتؤكد بها الجملة الفعلية. "قالتوكيد لفظاً يراد به تمكين المعنى في النفس، أو إزالة الشك عند الحديث، أو المُحدث عنه، فالذي يراد به تمكين المعنى في النفس، التأكيد اللفظي، ويكون في المفرد والجملة... والذي يراد به إزالة الشك عند المُحدث عنه، التأكيد بالألفاظ التي ييؤّب لها في النحو"⁽¹⁾.

أما المحدثون فقد تحدّثوا أيضاً عن جدوى التوكيد والغرض منه قال أحدهم: "أما التوكيد فيؤتى به لمجرد التقرير، وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع، وللتقرير مع دفع توهم خلاف الظاهر، وللتقرير مع دفع توهم عدم الشمول، ولإرادة انتقاش معناه في ذهن السامع"⁽²⁾ "والقصد من هذا الأسلوب الحمل على ما لم يثبت في ذهن المخاطب ليصير ثابتاً"⁽³⁾. وهنا نلاحظ أنّ المحدثين قد أشاروا بشكل صريح إلى الغرض الحقيقي الذي يقوم عليه التوكيد وهو التقرير مع دفع التوهم، وإزالة الشك في ذهن السامع، وإثبات المعنى وانتقائه في ذهن المخاطب وهو ما أشار إليه الأقدمون. وللتوكيد في العربية صورٌ تعبيرية مختلفة، بالأداة حيناً، وبغيرها أحياناً أخرى، وفيما يلي عرضٌ لبعض هذه الصور كما تجلّت في الأمثال المدروسة:

1 – التوكيد بالأداة:

وفي العربية أدوات يختص بعضها بالاسم، وبعضها بالفعل، وبعضها يتصل بالأسماء والأفعال:

أ – ما يختص من الأدوات بالأسماء:

1 – إنّ: وهي من أدوات التوكيد المستخدمة في الاسم وهي "موصلة للقسم لأنك لا تقول والله زيد منطلق، فإن أدخلت إنّ اتصلت بالقسم فقلت: والله إنّ زيدا منطلق، وإذا خففت فهي كذلك، إلا أنّ

(1) المُقرَّب، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تحقيق: أحمد عبد الستار الجوارى، عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، ط1، 1971، 234/1.

(2) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، السید أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، د. ط و د. ت، ص129

(3) أساليب التوكيد في القرآن الكريم، عبد الرحمن المطردي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1986/ص14.

لام التوكيد تلزمها عوضاً لما ذهب منها فتقول: **إِنَّ زَيْدًا لِقَائِمْ**، ولا بدّ من اللام إذا خفّت كأنهم جعلوها عوضاً ولئلا تلتبس بالنفي⁽⁴⁾.

فمن الأمثال التي جاءت فيها **إِنَّ** مفردة دون مؤكد آخر قولهم:

— **"إِنَّ أَمَامِي مَا لَا أَسَامِي"**⁽⁵⁾

— **"إِنَّ أَلْبَهَا لَهَا"**⁽⁶⁾

— **"إِنَّ الضَّلَالِ ابْنَ الْأَلَالِ فَأَقْصِر"**⁽⁷⁾

— **"إِنَّ النِّسَاءَ لَحَمٌّ عَلَى وَضْعٍ"**⁽⁸⁾

"واللام تدخل على خبر **إِنَّ** خاصة مؤكدة له ولا تدخل في خبر أخواتها، وإذا دخلت لم تغير الكلام عما كان عليه، تقول **إِنَّ زَيْدًا لِقَائِمْ**، و**إِنَّ زَيْدًا لَفَيْكَ** راغب، و**إِنَّ عَمْرًا لَطَعَامُكَ** آكل، ولكنه لا بدّ من أن يكون خبر **إِنَّ** بعد اللام، لأنّه كان موضعها أن تقع موقع **إِنَّ** لأنها للتأكيد ووصلة للقسم مثل **إِنَّ** فلما أزالتهما **إِنَّ** عن موضعها وهو المبتدأ أدخلت على الخبر فما كان بعدها فهي داخلة عليه، فإن قدمت الخبر لم يجز أن تدخل اللام فيما بعده لا يصلح أن تقول: **إِنَّ زَيْدًا لَفَيْكَ** راغب"⁽⁹⁾.

و"يرى النحاة أنّ اللام الداخلة على خبر **إِنَّ** المشدّدة تكون أصلاً لتوكيد المبتدأ، ولكنّ المؤكدين (**إِنَّ** واللام) لا يتواليان ولا بدّ من وجود فاصل بينهما، لذا تنتقل اللام من المبتدأ إلى الخبر وتسمى اللام المرحّلة والذي نراه أنّ هذه اللام هي لام توكيد تؤكّد المبنى الصرفي الذي تلتصق به"⁽¹⁰⁾. وهذا يدلّ على أن اللام تدخل على المتأخر من اسم أو خبر **إِنَّ**.

(4) الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السّراج النحوي البغدادي، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1985، 229/1.

(5) مجمع الأمثال، الميداني، 104/1، ذكر سابقاً.

(6) جمهرة الأمثال، العسكري، 142/1، ذكر سابقاً.

(7) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، ص 118. و قال: يضرب لمن ركب رأسه في الباطل.

(8) مجمع الأمثال، الميداني، 29/1، ذكر سابقاً.

(9) الأصول في النحو، ابن السراج، 231/1.

(10) في التحليل اللغوي، منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام، د. خليل أحمد عميرة، تقديم: الأستاذ الدكتور سلمان حسن العاني، مكتبة المنار، ط1، 1987 م، ص 228.

وقد جاءت بعض الأمثال مؤكدةً بأداتي توكيد هما **إِنَّ** المشددة واللام التي تُسمى (المزحلقة) أو التأكيد^(*) و ذلك في قولهم:

— "إنَّه لخراج ولاج"⁽¹¹⁾

— "إنَّه لرابط الجاش على الأغباش"⁽¹²⁾

— "إنَّ بني فلانٍ من بني فلانٍ لفي كوفان"⁽¹³⁾

— "إنَّه لقبضة رُفْضة"⁽¹⁴⁾

— "إنَّه لفي حورٍ وفي بورٍ"⁽¹⁵⁾

— "إنَّه لطبورٍ فيورٍ"⁽¹⁶⁾

— "إنَّك لتحسب عليَّ الأرض حيصاً بيصاً"⁽¹⁷⁾

— "إنِّي لآتية بالعشايا والغدايا"⁽¹⁸⁾

ومن الأدوات التي تختص بالأسماء:

لكن: لقد اختلف النحاة في أصل لكنَّ المشددة، فجمهورهم على أنها مكونة من **إِنَّ** دخلت عليها اللام والكاف فصارت حرفاً واحداً يفيد الاستدراك ولسنا هنا بصدد البحث في أصلها. ولكننا نرى أنها تفيد التوكيد "ولكنَّ المثقلة في جميع الكلام بمنزلة **إِنَّ**"⁽¹⁹⁾.

(*) يقول محقق كتاب أوضح المسالك: "ولا بُدَّ هنا من كلمة على هذه اللام التي تُسمى لام الابتداء ولام التأكيد واللام المزحلقة، وأول شيء نقوله هو أنها من الألفاظ التي لها صدارة الكلام، فحقها أن تدخل على أول الكلام، وحقها أيضاً أن تدخل على **إِنَّ**، لكن لما كانت اللام للتأكيد، وإنَّ للتأكيد، كرهوا الجمع بين حرفين بمعنى واحدة، فأخروا اللام إلى الخبر". أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل، ط1، 1989، 279/2.

(11) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 94/3، يضرب في الرجل المجرب.

(12) مجمع الأمثال، الميداني، 73/1 ذكر سابقاً.

(13) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، ص90. فسرّه: كوفانٍ بالثقل وهو الأمر الشديد المكروه.

(14) مجمع الأمثال، الميداني، 102/1، وقال يضرب للذي يتمسك بالشئ ثم لا يلبث أن يدعه.

(15) المصدر نفسه، 97/1، ذكر سابقاً.

(16) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، ص84، ذكر سابقاً.

(17) مجمع الأمثال، الميداني، 72/1، وفسرّه: حبص بيص أي ضيقة.

(18) كتاب الأمثال، أبي عكرمة الضبي، ص28، ذكر سابقاً.

(19) الكتاب، سيبويه، 145/2.

"ولكنّ الثقيلة التي تعمل عمل إنّ يستدرك بها بعد النفي وبعد الإيجاب، يعني إذا كان بعدها جملة تامة كالذي قبلها نحو قولك ما جاءني زيدٌ، لكن عمراً قد جاء، وتكلم عمر ولكن بكرة لم يتكلم"⁽²⁰⁾.

وقد جاءت بعد النفي وأفادت معنى الإثبات والتوكيد في نحو قولهم:

— "ما حجّ ولكنه دج"⁽²¹⁾

وجاءت مجردة من النفي في قولهم:

— "ريحٌ ولكنه مليح"⁽²²⁾

فهنا نلاحظ مجيء الاسم في الغالبية العظمى وقد تأكّد بأكثر من أداة وهذا يتساق مع المثل الذي يقال في موضع إقامة الحجّة والإثبات، فكأنّ القائل أراد حشد كل المؤكّدات الممكنة ليثبت المعنى في ذهن السامع، وليظهر بمظهر المنتصر والمتمكن من رأيه.

ب — ما يختص من الأدوات بالأفعال:

1 — نون التوكيد الثقيلة: "ويؤكّد بها الأمر مطلقاً، ولا يؤكّد بها الماضي مطلقاً، أما المضارع فله حالات إحداها: أن يكون توكيده بها واجباً وذلك إذا كان مثبتاً، مستقبلاً، جواباً لقسم، غير مفصول من لامه بفصل، ولا يجوز توكيده بها إن كان منفيّاً أو كان مفصولاً من اللام والثانية: أن يكون قريباً من الواجب وذلك إذا كان شرطاً لا المؤكدة بما"⁽²³⁾. و"نون التوكيد الثقيلة تلحق بالفعل غير الماضي إذا كان واجباً للتأكيد فيبنى معها وهي تجيء على ضربين: فموضع لا بد منها فيه، وموضع يصلح أن تخلو منه، فأما الموضع الذي تخلو منه، فإذا كانت مع القسم وذلك قولك: والله لأفعلن... وأما الموضع الذي تقع فيه النون وتخلو منه، فالأمر والنهي وما جرت مجراهما من الأفعال غير الواجبة وذلك قولك: أفعلنّ ذاك، ولا تفعلنّ، وهل تقولنّ، أو تقولنّ لأنّ معنى الاستفهام معنى أخبرني وكذلك جميع حروف الاستفهام"⁽²⁴⁾.

ونون التوكيد تدفع الشك وتمنع تسربه إلى ذهن السامع حين يتردد في تصديق الكلام، وعندما لا يحسن المتكلم التقدير إذ كان عليه أن يعمل على دفع الشك ويمنع تسربه إلى ذهن السامع. ونون التوكيد تزيد معنى الجملة قوة، وتكسبه تأكيداً، وقد تفيد النون الدلالة على الإحاطة والشمول إذا كان الكلام لغير الواحد.⁽²⁵⁾

(20) الأصول في النحو، ابن السراج، 244/1.

(21) مجمع الأمثال، الميداني 311/2، ذكر سابقاً.

(22) المصدر نفسه، 445/1، ذكر سابقاً.

(23) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، 21/4.

(24) الأصول في النحو، ابن السراج، 200/2.

(25) النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط3،

1968، ص 161 بتصرف.

وقد جاءت نون التوكيد الثقيلة مجردة من اللام مؤكدة للفعل المضارع توكيداً جائزاً في نحو قولهم:

— "لا تكذبن ولا تشبهن"⁽²⁶⁾.

— "شاورهنّ وخالفوهن"⁽²⁷⁾.

وهنا جاء الأمر مؤكّداً بنون التوكيد الثقيلة كذلك.

وجاء الفعل المضارع مؤكّداً بنون التوكيد الثقيلة تأكيداً واجباً في قولهم:

— "لألحقن حواقنك بذواقنك"⁽²⁸⁾.

ويقول سيبويه: "اعلم أنّ كل شيء دخلته الخفيفة فقد تدخله الثقيلة، كما أنّ كل شيء تدخله الثقيلة تدخله الخفيفة، وزعم الخليل أنهما توكيد كما التي تكون فضلاً، فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكدة، وإذا جئت بالثقيلة أنت أشدّ توكيداً"⁽²⁹⁾.

وهنا نلاحظ شيوع نون التوكيد الثقيلة دون الخفيفة في الأمثال وذلك لما يتطلبه المقام من التشديد في التأكيد، فالنون المشدّدة أشدّ توكيداً من الخفيفة، ومجيء نون التوكيد الثقيلة هو بمنزلة القسم على صحة الكلام وصدقه، أو بمنزلة تكراره وإعادته بقصد تأكيد مضمونه، وصحة ما حواه، فلا يكون هناك مجال للشك والتردد عند من هو مستعد للاقتناع وهو ما يتطلبه مقام الأمثال، ومن ناحية أخرى فإنّ نون التوكيد الثقيلة تُخلص الفعل المضارع للزمن المستقبل وتقوي الاستقبال في الأمر⁽³⁰⁾.

2 — ومن الأدوات التي تختص بالأفعال كذلك "قد" وهي "جوابٌ لقوله: لمّا يفعل وزعم الخليل أنّ هذا لقوم ينتظرون الخبر، وقد تكون قد بمنزلة ربّما"⁽³¹⁾. ويقول آخر: "قد فيها ثلاثة معانٍ: التحقيق، والتوقيع، والتقريب، وقد يكون مع التحقق التقريب فقط، ويجوز أن تقول قد ركب زيد لمن لم يكن يتوقع ركوبه، ولا تدخل على الماضي غير المتصرف كنعم وبئس وعسى وليس؛ لأنها ليست بمعنى الماضي حتى تقرب معناها من المحال وتدخل أيضاً على المضارع.....فينضاف إلى التحقيق في

(26) مجمع الأمثال، الميداني، 245/2، ذكر سابقاً.

(27) زهر الأكم، اليوسي، 240/3، ذكر سابقاً.

(28) مجمع الأمثال، الميداني، 165/2. قال أبو عبيد: أما الحاقنة اختلفوا فيها فقال أبو عمر و هي النقرة التي بيت الترقوتو حبل العنق وهما الحاقنتان، والذاقنة: طرف الحلقوم.

(29) الكتاب، سيبويه، 509/3.

(30) النحو الوافي، عباس حسن، ص162 بتصرف.

(31) الأصول في النحو، ابن السراج، 209/2.

الأغلب التقليل نحو إن الكذوب قد يصدق، أي بالحقيقة يصور منه الصدق وإن كان قليلاً، وقد تستعمل للتحقيق مجرداً عن معنى التقليل، وتستعمل أيضاً للتكثير في موضع التمدح⁽³²⁾.

وذلك في قولهم:

— "إذا احتاج الزرق إلى الفلك فقد هلك⁽³³⁾"

— "إذا وقى الرجل شرّ لقلقه وقبّقه وذذبّه فقد وقى الشرّ كلّ⁽³⁴⁾"

— "من لا حاك فقد عاداك⁽³⁵⁾"

— "من بدا فقد جفا⁽³⁶⁾"

وهنا نلاحظ مجيء قد في جواب الشرط بشكل ملحوظ وقد اقترنت بالفاء في حين جاءت قد في ابتداء الجملة في نحو قولهم:

— "قد أحزم لو أعزم⁽³⁷⁾"

— "قد يبلغ الخضم بالقضم⁽³⁸⁾"

— "قد أنصف القارة من رامها وردّ أولها على آخرها⁽³⁹⁾"

— "قد قضيت كلّ حاجة وداجة⁽⁴⁰⁾"

ج — الأدوات التي تتصل بالأسماء والأفعال:

1 — أداتا القصر (إنّما) — (وإلاّ) مع النفي.

(32) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 388/2.

(33) مجمع الأمثال، الميداني، 121/1، وفسره: الفلك: جمع فلكة فحركت للازدواج. يضرب للكبير يحتاج إلى الصغير.

(34) المستقصى، الزمخشري، 129/1، وقال: أي شرّ لسانه وبطنه وفرجه.

(35) جمهرة الأمثال، العسكري، 188/2، وفسره بقوله: الملاحاة الملاومة وأصله من قولهم: لحوت العود إذا قشّرتة، وألحى الرجل وألام إذا أتى مايلاص عليه ويُلحى من أجله.

(36) المستقصى، الزمخشري، 354/2، ذكر سابقاً.

(37) مجمع الأمثال، الميداني، 64/2، ذكر سابقاً.

(38) المصدر نفسه، 56/2، ذكر سابقاً.

(39) المجهول، ص 81، ذكر سابقاً.

(40) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري 227/2، قال أبو بكر: في الداجة قولان: أحدهما ما لا يذكر احتقاراً له أي قد قضيت الحوائج التي لها موقع من قلبي. وقضيت ما لا يذكر احتقاراً له. ويقال الداجة: معناها كمعنى الحاجة فنسقت عليها لخلافها لفظها.

القصر هو "تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوصة"⁽⁴¹⁾.

أ — القصر بإنما: يقول أحد النحويين: "تتصل ما الزائدة بإنّ وأخواتها إلّا عسى ولا فتكفها عن العمل، وتُهيئها للدخول على الجمل، نحو "قل إنّما يُوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد"⁽⁴²⁾. إلّا ليت فتبقى على اختصاصها ويجوز إعمالها وإهمالها"⁽⁴³⁾.

و"تدخل ما زائدة على إنّ على ضربين: فمرة تكون ملغاة دخولها كخروجها، لا تغيّر إعراباً، تقول: إنّما زيداً منطلق، وتدخل على إنّ كافة للعمل فتبنى معها بناء فيبطل شبهها بالفعل، فتقول إنّما زيدٌ منطلق، فإنّما ها هنا بمنزلة فعل ملغى مثل أشهد لزيد خير منك"⁽⁴⁴⁾.

و"قال الخليل: إنّما لا تعمل فيما بعدها، كما أنّ أرى إذا كانت لغواً لم تعمل فجعلوا هذا نظيرها من الفعل كما كان نظير إنّ من الفعل ما يعمل"⁽⁴⁵⁾.

"ويرى النحاة أنّ أصل هذه الأداة إنّ بكسر الهمزة وفتحها، زيدت عليها (ما) فكفتها عن العمل، لذا فهي تسمى كافة ومكفوفة، وتدخل على الجملة الفعلية كما تدخل على الاسمية، وهي في كلتا الحالتين تفيد معنى التوكيد بدرجة أقوى من التوكيد بإنّ وحدها، وغالباً ما تكون في سياق فيه إنكار وجدد يحتاج إلى درجة عالية من توكيد الخبر"⁽⁴⁶⁾.

وهذا يقود إلى القول: ما الزائدة تتصل بإنّ وأخواتها فتكفها عن العمل إلّا ليت فتبقى معها على اختصاصها ويجوز إعمالها وإهمالها، وهي تفيد معنى التوكيد بدرجة أقوى من التوكيد بإنّ وأخواتها وحدها.

وقد جاءت إنّما وأفادت معنى التوكيد في نحو قولهم:

— "إنّما خدش الخدوش أنوش"⁽⁴⁷⁾

— "إنّما هو الفجر أو البجر"⁽⁴⁸⁾

(41) البلاغة من منابعها، علم المعاني، د.محمد هيثم غرّة، دار البشائر، ط1، 1999، ص125.

(42) سورة الأنبياء، الآية 108.

(43) أوضح المسالك، ابن هشام، 280/2.

(44) الأصول في النحو، ابن السراج، 232/1.

(45) الكتاب، سيبويه، 138/2.

(46) في التحليل اللغوي، د. خليل أحمد عمارة، ص 232.

(47) مجمع الأمثال، الميداني 28/1، وفسره: الخدش: الأثر، وأنوش هو ابن شيت بن آدم صلى الله عليه وسلم أي أنه أول من كتب وأثر في الخط المكتوب، يضرب فيما قدم عهده.

(48) المصدر نفسه، 94/1. ذكر سابقاً وهنا نذكر به: أي إن انتظرت حتى يضيئ لك الفجر الطريق أبصرت قدرك، وإذا خبطت الظلماء وركبت العشواء هجمابك على المكروه. يضرب في الحوادث التي لا امتناع فيها.

يقول أحد البلاغيين نقلاً عن السكاكي: "ويُذكر لذلك وجّة لطيف يسند إلى عليّ بن عيسى الرّبيعيّ، وهو أنه لما كانت كلمة (إنّ) لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها ما المؤكدة — لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو — ناسب أن يُضمّن معنى القصر؛ لأنّ القصر ليس إلّا تأكيداً على تأكيد. ⁽⁴⁹⁾ ويقول في موضع آخر: "والدليل على أن (إنّما) تفيد القصر كونها متضمنة معنى ما وإلّا" ⁽⁵⁰⁾.

ب — القصر بإلّا مع النفي: وجاءت إلّا مع النفي في قولهم:

— "ما ألقاه إلّا الفينة بعد الفينة" ⁽⁵¹⁾

— "ما هو إلّا غرقٌ أو شرقٌ" ⁽⁵²⁾

— "أليّة في بريّة ما هي إلّا لبليّة" ⁽⁵³⁾

— "لا ينبت البقلة إلّا الحقلة" ⁽⁵⁴⁾

فهنا نلاحظ مجيء القصر بإلّا وقد سبقت بأداتي نفي هما (ما — لا). "وشرط قصر الموصوف على الصفة إفراداً عدم تنافي الصفتين، حتى تكون المنفية في قولنا ما زيد إلّا شاعرٌ كونه كاتباً أو منجماً، أو نحو ذلك، لا كونه مُفحماً لا يقول الشعر؛ ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما وشرط قصره قلباً تحقق تنافيهما، حتى تكون المنفية في قولنا ما زيد إلّا قائمٌ، كونه قاعداً أو جالساً، أو نحو ذلك لا كونه أسوداً، أو أبيضاً ليكون إثباتها مشعراً بانقفاء غيرها" ⁽⁵⁵⁾.

و"القصر لا يعدو أن يكون تأكيداً للكلام ومبالغة في توضيح الأحكام وتثبيتها في الأذهان، غير أن التأكيد مع إنّما توكيد الإثبات، ومع النفي وإلّا تأكيد النفي" ⁽⁵⁶⁾.

فالقصر هنا جاء بطريقة النفي والاستثناء بنوعيه قصر الصفة على الموصوف وقصر الموصوف على الصفة.

(49) الإيضاح في علوم البلاغة، للإمام الخطيب القزويني، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، (د.ط.) 1989 م، 217/1.

(50) المصدر نفسه، 216/1.

(51) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، 594 وفسره: أي إلّا المرّة بعد المرّة يقال في باب اللقاء في قربه وإبطائه.

(52) مجمع الأمثال، الميداني 393/2، ذكر سابقاً.

(53) المصدر نفسه، 122/1.

(54) المصدر نفسه، 233/2، ذكر سابقاً.

(55) الإيضاح، القزويني، 214/1.

(56) من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1972، ص 190.

2 – القصر بالعطف: وقد تجلّى ذلك في قولهم:

— "ليس الشحم باللحم ولكن من قواصيه"⁽⁵⁷⁾. ولكن هنا تفيد الاستدراك وقد جاء بعدها المقصور عليه حيث قصرت الشحم على قواصي اللحم.

3 – وهناك ضربٌ من القصر يتجلّى في تقديم ما حقّه التأخير:

وستحدث هنا عن تقديم (الباء) وقيل فائدة الحرف الزائد في كلام العرب إما معنوية وإما لفظية، فالمعنوية تأكيد المعنى كما تقدّم في من الاستغرافية والباء في خبر ما وليس فإن قيل فيجب أن لا يكون زائدة إذا أفادت فائدة معنوية، قيل إنما سميت زائدة لأنه لا يتغير بها أصل المعنى بل لا يزيد بسببها إلى تأكيد المعنى الثابت وتقويته، فكأنها لم تقد شيئاً لما لم تغاير فائدتها العارضة الفائدة الحاصلة قبلها... وأما الفائدة اللفظية فهي تزيين اللفظ وكونه بزيادتها أفصح أو كون الكلمة والكلام بسببها مهياً لاستقامة وزن الشعر أو لحسن السمع أو غير ذلك من الفوائد اللفظية"⁽⁵⁸⁾.

و"أجمع النحاة وأهل اللغة على أن النفي مع الباء في خبر ليس أو خبر ما أكد منه بدونها ومع هذا فقد عدوا هذه الباء زائدة"⁽⁵⁹⁾.

وذلك في مثل قولهم في الباء:

— "ما أنت بخية ولا سبية"⁽⁶⁰⁾.

هنا جاءت الباء زائدة في خبر ما العاملة عمل ليس وأفادت معنى التوكيد لمجيئها بعد النفي

— "لست بخلاّ بنجاة"⁽⁶¹⁾

— "ليست بريشاء ولا عمشاء"⁽⁶²⁾

— "ليس الشحم باللحم ولكن من قواصيه"⁽⁶³⁾.

فهنا نرى مجيء الباء زائدة في خبر ليس وقد أفادت هذه الباء معنى التوكيد لمجيئها بعد النفي.

(57) المستقصى، الزمخشري 304/2 ، وفسره: أي من جوانبه ، يضرب للمتشابهين وليس بشيء واحد.

(58) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 384/2.

(59) من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ص 195.

(60) مجمع الأمثال، الميداني، 297/2، فسرّه: أي لا محسن ولا مسيء.

(61) المصدر نفسه، 175/2. وفسره: الخلاة والعشبة، النجاة: الأكمة في الأرض، أي ليست من لا يمتنع فيضام.

(62) المصدر نفسه، 187/2، وفسره بقوله: الريشاء: الطويلة هذب العين، والعمشاء: السيئة البصر، يضرب للشيء الوسط بين الجيد والردىء.

(63) المستقصى، الزمخشري 304/2، ذكر سابقاً.

2 – التوكيد بغير الأداة:

1 – التوكيد بالتقديم:

في ذلك يقول سيبويه: "كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بشأنه أَعْنَى، وإن كانا جميعاً يهْمَانِهِم ويعنيانهم" (64).

"فالتقديم في التركيب الجملي في اللغة العربية لا يكون إلاّ عندما يقصد المتكلم المدرك لأساليب هذه اللغة أن يؤكّد موضع الاهتمام والعناية، أو كما يقول سيبويه: والعرب إن أرادت العناية بشيء قدّمته. وللوصول إلى المعنى الذي يكمن في تقديم وحدة من وحدات المبنى، أو في تقديم ممثل صرفي إشارة إلى تقديم الباب النحوي في الذهن لغرض يكمن في الذهن ويقف هذا التقديم رمزاً له" (65).

وفي قوله تعالى: "والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً" (66) يعلو في بلاغته وقوة تخصيصه بالفعل على القول: جعل الله لكم من أنفسكم أزواجاً. فإذا كانت كلمة الله فاعلاً في القول والجملة فعلية فهي فاعل في الآية والجملة فعلية ولكن الفاعل مقدم لغرض التوكيد" (67).

والتوكيد بالتقديم إنما يقوم على أساس الخروج بجزء من الجملة عن مكانه المخصص له وتقديمه على الجزء الذي قبله (68) وقد ظهر ذلك في قولهم:

— "العاشية تهيج الآبية" (69)

فهنا نلاحظ تقديم الفاعل على الفعل وحقّه التأخير، وهنا تقدّم المقصور عليه.

— "عينٌ عرفت فذارت" (70)

هنا كذلك نلاحظ تقديم الفاعل على الفعل وحقّه التأخير، فهنا نلاحظ التركيز على الفاعل، ولذلك تقدّم، فهو محطّ الاهتمام عند السامع و من شأن تقديمه أن يجعل موقعه ثابتاً في نفس السامع.

— "المعزى تُبهي ولا تبني" (71)

(64) الكتاب، سيبويه، 34/1.

(65) في التحليل اللغوي، د. خليل أحمد عميرة، ص 212.

(66) سورة النحل، الآية (72).

(67) في التحليل اللغوي، د. خليل أحمد عميرة، ص 214.

(68) المرجع نفسه، ص 214 بتصرف.

(69) أمثال العرب، المفضل الضبيّ، ص 63، ذكر سابقاً.

(70) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 77/3.

(71) مجمع الأمثال، الميداني، 290/2، وفسره: الخرق، والإبناء: أن تجعله بانياً.

وهنا كذلك نلاحظ تقديم الفاعل على الفعل وحقه التأخير.

ولكن عندما أراد المتكلم لفت انتباه السامع إلى المراد من مثله وهي (المعزى) قدّم الفاعل وأخر الفعل لتأكيد المعنى في ذهنه وترسيخه.

2 – التوكيد بالتكرار:

وله في العربية طريقتان:

أولاهما: إعادة اللفظ الذي يراد تثبيته، أو دفع غفلة السامع عنه أو دفع الظن بأن السامع ظن به الغلط، ويتحقق ذلك بتكرار اللفظ نفسه. "فالتوكيد اللفظي هو اللفظ المكرر به ما قبله"⁽⁷²⁾. وقد ظهر ذلك في قولهم:

— "إحدى لياليك فهيسي هيسي"⁽⁷³⁾

ثانيهما: التوكيد بالتكرار لما كان قائماً على المعنى دون اللفظ. وفي ذلك يقول ابن الحاجب: "التأكيد اللفظي على ضربين لأنك إما أن تعيد لفظ الأول بعينه نحو جاءني زيد وجاءني جاءني زيد، أو تقويه بموازنه مع اتفاقهما في الحرف الأخير ويسمى إتباعاً، وهو على ثلاثة أضرب لأنه إما أن يكون للثاني معنى ظاهر نحو هنيئاً مريئاً وهو سرير، أو لا يكون له معنى أصلاً بل ضمّ إلى الأول لتزيين الكلام لفظاً وتقويته معنى وإن لم يكن له في حال الإفراد معنى نحو قولك حسن بسن فسن، أو يكون له معنى متكلف غير ظاهر نحو خبيث نبيث من نبثت الشر أي استخرجته..."⁽⁷⁴⁾. وتبدو فكرة الإتباع واضحة في قوله "وباب الإتباع بعضه مبني كحيص بيص كما يجيء في المركب ويجب أن يراعى تجانس اللفظين في باب الإتباع بما يمكن"⁽⁷⁵⁾. ونذكر من ذلك قولهم:

"إذا أخصب الزمان جاء الغاوي والهاوي"⁽⁷⁶⁾

فهنا حملت كلمة الهاوي وهي الكلمة المزوجة معنى تأكيدياً للكلمة الأولى الغاوي. وهي من النوع الأول الذي أشار إليه الرضي في كافيته.

— "أحمق باك تاك"⁽⁷⁷⁾

(72) أوضح المسالك، ابن هشام، 249/3.

(73) مجمع الأمثال، الميداني، 44/1، و فسره بقوله: قيل: الهيس: السير أي ضرب كان، يضرب للرجل يأتي الأمر، يحتاج فيه إلى الجد والاجتهاد.

(74) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 333/1

(75) المصدر نفسه، ص 333.

(76) مجمع الأمثال، الميداني، 92/1، وقال: الغاوي: الجراد، الهاوي: الذباب

(77) المستقصى، الزمخشري، 72/1. وهو المتساقط جمعاً.

فهنا حملت كلمة تاك معنىً تأكيدياً للكلمة المزوجة باك. وهي من النوع الثاني الذي أشار إليه الرضي في كافيته.

— "جاء سبغلاً وسبغلاً"⁽⁷⁸⁾، وهنا كذلك جاءت كلمة سبغلاً لتؤكد معنى الكلمة المزوجة سبغلاً. وهي من النوع الثاني الذي أشار إليه الرضي في كافيته.

— "ما يعرف ثطاته قطاته من لطاته."⁽⁷⁹⁾

هنا أيضاً جاءت الكلمة المزوجة (قطاته) لتؤكد معنى (ثطاته). وهي كذلك من النوع الثاني الذي أشار إليه الرضي.

— "جاء بالضح و الريح."⁽⁸⁰⁾

هنا كذلك نلاحظ مجيء كلمة الريح مؤكدة لكلمة الضيح، وقد حملت معنىً مختلفاً عنها، إلا أنها اتفقت معها في الحرف فالأخير، وهي من النوع الأول الذي أشار إليه الرضي في كافيته.

— "أعوذ بالله من السامة والهامة"⁽⁸¹⁾.

هنا كذلك جاءت كلمة الهامة وقد حملت معنىً تأكيدياً لكلمة السامة، وهي من النوع الأول الذي أشار إليه الرضي.

— "حيّاك الله و بيّاك"⁽⁸²⁾.

هنا كذلك نلاحظ مجيء كلمة بيّاك مؤكدة معنى كلمة حيّاك. وهي من النوع الثاني أيضاً.

— "ترك مايسوءه ينوءه"⁽⁸³⁾.

هنا كذلك جاءت كلمة ينوءه مؤكدة معنى كلمة يسوءه، وهي من النوع الثاني الذي أشار إليها الرضي في كافيته.

(78) المستقصى، الزمخشري، 44/2.

(79) المصدر نفسه، 337/2 وفسره أي من حمقه لا يعرف مؤخره من مقدمه يضرب للأحمق.

(80) الإتياع والمزوجة، ابن فارس، 59 وفسره: الضيح ضوء الشمس، و الريح معروفة، أي جاء بما طلعت عليه الشمس وما جرت عليه الريح.

(81) الأمثال، أبو عكرمة الضبي، 103، وفسره بقوله: الهامة: والواحدة من دواب الأرض، وهي دوابها المؤذية وهي فاعلة من هم بالأمر إذا أراده، وهو هام، والأنثى هامة.

(82) المصدر نفسه، 24، وفسره بقوله: في حيّاك مذهبان أحدهما ملكك والتحية الملك، ومنه التحيات لله أي الملك الله، والآخر حيّاك فعلك من الحياة أي أبقاك، وكان الأصمعي يقول: بيّاك: اعتمدك وقيل بيّاك: قربك.

(83) مجمع الأمثال، الميداني، 191/1، وفسره: إذا ترك للورثة ماله.

— "حين تقلين تدرين" (84).

هنا كذلك نرى مجيء كلمة تدرين مؤكدة للكلمة المزوجة لها مع اختلافهما في المعنى وهو من النوع الثاني أيضاً.

— "ربّ حثيثٍ مكيثٍ" (85).

هنا كذلك نرى مجيء كلمة تدرين مؤكدة للكلمة المزوجة حثيثٍ، وهي من النوع الثالث الذي أشار إليه الرضي.

الأمثال من هذا الضرب كثيرة، ونكتفي هنا بهذه الأمثال، لنعود إلى هذا الضرب بشيء من التوسع في حديثنا عن الدلالة.

3 — المصدر الذي حذف عامله:

و"كل مصدر قام مقام الفعل ففيه ضمير فاعل وذلك إذا قلت سقياً لزيد، وإنما تريد سقى الله زيداً، ولو قلت سقياً الله زيداً كان جيداً، لأنك قد جئت بما يقوم مقام الفعل، ولو قلت: أكلاً زيد الخبز وأنت تأمره كان جائزاً... وقال الأخفش من رد عليك ضرباً زيد عمراً إذا كنت تأمره أدخلت عليه سقياً له فقلت له: ألسنت، إنما تريد سقى الله زيداً فإنه قائل: نعم فتقول فكما جاز سقياً له حين أقمت السقي مقام سقاه فكذلك تقيم الضرب مقام ليضرب وتقول: ضرب زيد ضرباً وقتل عمر قتلاً فتعدى الفعل الذي بنى للمفعول إلى المصدر، كما تعدى الفعل الذي بني للفاعل لا فرق بينهما في ذلك" (86)

وقد جاء ذلك في قولهم:

— "سقياً ورعياً" (87).

— "رعماً دغماً شنغماً" (88).

— "اللهم سمعاً لا بلغاً" (89).

(84) مجمع الأمثال، الميداني، 285/1، وتفسيره: أن رجلاً دخل إلى امرأة وتمتع بها وأعطاهما أجرتها وسرق مقلّي لها، فلما أراد الانصراف قالت له: قد غبنتك لأنني كنت إلى ذلك أحوج منك وأخذت دراهمك، فقال لها: حين تقلين تدرين. يضرب للمغبون يظن أنه الغابن غيره.

(85) المصدر نفسه، 421/1 يقال مكث فهو ماكث ومكيث.

(86) الأصول في النحو، ابن السراج، 166/1.

(87) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، ص 585، يضرب في باب الدعاء للإنسان، ذكر سابقاً.

(88) المصدر نفسه، ص 577. وهذا كله تأكيد للرغم.

(89) المستقصى، الزمخشري، 342/1، ذكر سابقاً.

— "هنيئاً مرئياً غير داءٍ مخامرٍ"⁽⁹⁰⁾.

— "اللهمَّ جدّاً لا كذاً"⁽⁹¹⁾.

— "بؤساً له وتوساً له وجوساً له"⁽⁹²⁾.

فهنا نلاحظ مجيء الأمثال السابقة بصيغة المصدر الذي حذف عامله لعلم المخاطب به.

وبعد هذا العرض نخلص إلى النتائج الآتية:

- 1 — كان التأكيد في الجملة الاسمية أكثر من التأكيد في الفعلية، والجملة الاسمية تحمل معنى الإثبات، وتأكيداتها بإحدى أدوات التوكيد، زادها تأكيداً على تأكيدٍ، وهو ما يناسب المثل الذي يقال في مقام إقامة الحجة على السامع، والبرهنة على تجارب الحياة.
- 2 — تأكيد الجملة الاسمية في الأمثال العربية المتتالية لم يرد إلا بـ إنَّ المشددة ولكن، وغابت معظم أساليب التوكيد الأخرى.
- 3 — الغرض من التوكيد هو التقرير مع دفع الشك من ذهن السامع، وترسيخ المعنى ونقشه في ذهنه، وهذا يتفق مع الغاية من المثل إذ يؤتى به (بضرب) لتأكيد فكرة معينة.
- 4 — جاء توكيد الفعل بنون التوكيد الثقيلة أكثر من الخفيفة وذلك لما يتطلبه المقام من التشديد في التأكيد، فالنون إذا شددت أصبحت أشدّ توكيداً.
- 5 — جاء توكيد الجملة الاسمية في الغالب بأداتي توكيدهما إنَّ المشددة، ولام التأكيد (اللام المرحقة)^(*) التي تدخل على الخبر، في الأكثرية العظمى من الأمثال، وهذا يدل على مبالغة السلف في التأكيد للمثل المنطوق؛ لأنَّ اللام تؤكد مضمون الجملة وتقوي معناها وتزيل الشك من ذهن السامع أكثر ممّا لو كانت إنَّ مجردة منها.

(90) مجمع الأمثال، الميداني 453/2، كان كثير في حلقة البصرة ينشد أشعاره فمرت به عزة مع زوجها فقال لها زوجها أعضيه فاستحييت من ذلك فقال لها لتعضيه أو لأضربنك فدننت من تلك الحلقة فأعضته وذلك أنها قالت: كذا وكذا بغم الشاعر فعرّفها كثير.

(91) المستقصى، الزمخشري، 341/1.

(92) مجمع الأمثال، الميداني، 146/1، البؤس: الشدة، التوس: إتباع له، والجوس: الجوع أي ألزمه الله هذه الأشياء. (*) وتدخل لام الابتداء بعد إنَّ المكسورة على أربعة أشياء: أحدها الخبر وذلك بثلاثة شروط: كونه مؤخراً، ومثبتاً، وغير ماضٍ، والثاني: معمول الخبر وذلك بثلاثة شروط أيضاً: تقدمه على الخبر، وكونه غير حال، وكون الخبر صالحاً للام، والثالث: الاسم بشرط واحد هو أن يتأخر عن الخبر، والرابع: الفصل، وذلك بلا شرط. ينظر: أوضح المسالك ابن هشام، 277/2.

ثانياً: أسلوب الحذف:

أسلوب الحذف من الأساليب التي شاع استخدامها في الأمثال العربية المدروسة، والحذف جعله ابن جني تحت عنوان: "باب في شجاعة العربية" حيث قال: "اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف"⁽⁹³⁾، وقد عرّفه إمام البلاغة فأبدع في بيان أسراره حيث قال: "هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبّن"⁽⁹⁴⁾ ويقول أحد الباحثين: "ومن طرائق الاقتصاد في الكلام أسلوب الحذف كله ومنه حذف المفعول به إذا فهم من السياق"⁽⁹⁵⁾. "والأساس العام لمفهوم الحذف ينطلق من الحاجة الفنية للمعبر في استخدام هذا النسق من الأداء، بحيث يكون العدول عنه إفساداً له"⁽⁹⁶⁾ و"أسلوب الحذف يُكسب الذهن تنظيماً واقتداراً على استيعاب البنية العميقة للكلام، وما يرتبط بها من تذوق المعاني وتوجيهها في الطريق السوي المستقيم توجيهاً دقيقاً"⁽⁹⁷⁾.

وللحذف أغراضه ومعانيه الكثيرة من الناحية البلاغية وفيما يلي عرضٌ لبعض هذه الأغراض:

حذف المسند إليه يكثر في السياقات التالية:

الاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر إذا كان ما يحذف يمكن أن يدركه المتلقي ويفهمه، دون أن يذكر في اللفظ لدلالة قرينة الحال أو قرينة المقام أو اللوازم الفكرية المنطقية، ضيق المقام عن إطالة الكلام، تيسير الإنكار عند الحاجة تعجيل المسرة بالمسند، تكثير الفائدة بإيجاد عدة احتمالات للمعنى، يحذف للعلم به، وقد يحذف للجهل به أو للخوف منه أو عليه، ويحذف حين لا يحقق ذكره غرضاً معنياً في الكلام.

(93) الخصائص، ابن جني، 2/360.

(94) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د. ط. ود. ت، ص 146.

(95) في جمالية الكلمة، دراسة جمالية بلاغية نقدية، د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د. ط، دمشق 2002م، ص 107.

(96) البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، ط 1، 1994، ص 313.

(97) أسلوب الحذف في اللغة العربية من الوجهة النحوية والبلاغية، أيمن الشوّاء، إشراف د. منى إلياس، أطروحة دكتوراه، جامعة دمشق، 2000 م، ص 4.

أما حذف المسند فيأتي في سياقات أهمها: الاحتراز عن العبث⁽⁹⁸⁾ ومن دواعي الحذف وأغراضه تخيل العدل إلى أقوى الدليلين من العقل أو اللفظ، واختبار تنبّه المتلقي أو مقدار تنبّهه، ورعاية السجع أو القافية والتعميم مع الاختصار في اللفظ، والتشويق بالإبهام⁽⁹⁹⁾.

ولعل الغرض الأهم الذي يخرج الحذف إليه هو ما أشرنا إليه سابقاً من الاقتصاد في الكلام ولاسيما في مقام الأمثال وللحذف فوائد عديدة نوجزها فيما يلي:

التفخيم والإعظام: لما فيه من الإبهام لذهاب الذهن في كل مذهب، فيرجع قاصراً عن إدراكه فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس مكانه، ومنها زيادة لذة: بسبب استنباط الذهن للمعنى، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشدّ وأحسن، ومنها زيادة الأجر: بسبب الاجتهاد في ذلك، طلب الإيجاز والاختصار، التشجيع على الكلام، موقعه في النفس في موقعه على الذكر، ومنها، الإطلاع على مزايا اللهجات العربية وتوجيه المظاهر الصوتية لها⁽¹⁰⁰⁾.

وأما شروط الحذف فقد تحدّدت بالقانون التالي: "تُضمر بعدما أضمرت فيه العرب من الحروف والمواضع، وتُظهر ما أظهرُوا، وتُجري هذه الأشياء التي هي على ما يستخفون بمنزلة ما يحذفون من الكلام، ومما هو في الكلام على ما أجروا، فليس كل حرفٍ يحذف منه شيء ويثبت فيه"⁽¹⁰¹⁾

و"الأدلة الواضحة قد دلت على أن العرب مع حكمتهم لا يتكلمون بما لا يفيد، وأن الكلام الذي ما وضع في الأصل إلا لفائدة قليلة في وجوب الفائدة الكثيرة، فربما ظهرت هذه الفائدة لكل متدبّر وربما خفيت"⁽¹⁰²⁾. وفيما يلي عرضٌ لمظاهر الحذف التي تجلّت في الأمثال المدروسة:

حذف المرفوعات:

أولاً: الحذف في الاسم: 1 – حذف المبتدأ:

ويتضمن: حذف المبتدأ بعد ما لخبر صفة له في المعنى: وقد جاء في قولهم:

— "كسير وعوير وكل غير خير"⁽¹⁰³⁾

(98) البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، ص 324 بتصرف.

(99) أسلوب الحذف في اللغة العربية من الوجهة النحوية والبلاغية، أيمن الشوّاء، ص 5 بتصرف.

(100) المرجع نفسه، ص 4 بتصرف.

(101) الكتاب، سيبويه، 266/1.

(102) أسلوب الحذف في اللغة العربية، أيمن الشوّاء، ص 10.

(103) مجمع الأمثال، الميداني، 122/2. أول من قال ذلك أمانة بنت نشبة بن مرة كان تزوّجها رجل من غطفان أعور يقال له خلف بن رواحة، فمكثت عنده زماناً حتى ولدت له خمسة ثم نشرت عليه ولم تصبر معه فطلقها ثم إن أباه وأخاه خرجا في سفرٍ لهما فلقيهما رجل من بني سليم يقال له: حارثة بن مرة فخطب أمانة وأحسن العطية فزواجهما منه، وكان أعرج مكسور الفخذ، فلما دخلت عليه رأته محطوم الفخذ فقالت المثل. يضرب في الشيء يكره ويذم من وجهين، لا خير فيه البتّة.

أي زوجاي كُسير و عوير

— "مليحٌ قزِيحٌ" (104).

أي فلانٌ مليحٌ قزِيحٌ

— "مليحٌ بليحٌ" (105)

أي فلانٌ مليحٌ بليحٌ

— "غلٌ قملٌ" (106)

هنا أيضاً حذف المبتدأ والتقدير هو غلٌ قملٌ.

— "أصوصٌ عليها صوصٌ" (107)

أي هي أصوصٌ عليها صوصٌ

— "شقيٌّ لقيٌّ" (108)

— أي هو شقيٌّ لقيٌّ.

— "تهويدٌ على ريودٌ" (109)

أي هو تهويدٌ على ريودٍ

— "ذيابٌ في ثيابٍ" (110)

أي هم ذيابٌ

— "سواءٌ لواءٌ" (111).

(104) الأمثال، أبي عكرمة الضبي، ص 101.

(105) الأمثال، السدوسي، ص 76.

(106) مجمع الأمثال، الميداني، 12/2، ذكر سابقاً.

(107) المصدر نفسه 35/1، وفسره بقوله: الأصوص الناقاة الحائل السمينة، والصوص: اللثيم. يضرب للأصل الكريم

يظهر منه فرع لثيم ويستوي في الصوص الواحد والجمع.

(108) الأمثال، أبو عكرمة الضبي، ص 101 أي هو شقيٌّ لقيٌّ.

(109) المصدر نفسه، 200/1، التهويد: السكون والنوم، والريود: جمع ريد وهو الحرف الناتئ من الجبل يضرب لمن

شرع في أمرٍ وخيم العاقبة.

(110) زهر الأكم، اليوسي، 7/3.

(111) مجمع الأمثال، الميداني، 475/1، ذكر سابقاً.

- أي هُنَّ يستوين ويلتوين
 — "الهيذان والريذان" (112)
 أي هو الهيذان والريذان
 — "أبردُ من عبقرٍ وحبقرٍ" (113)
 أي هو أبردُ من..
 — "أتيس من تيروس تويت" (114)
 أي هو أتيسُ
 — "أُتلفُ من سلف" (115)
 أي هو أُتلفُ
 — "أُثبت في الدار من الجدار" (116).
 أي هو أُثبتُ.
 — "أحسنُ من بيضه في روضة" (117)
 أي هو أحسنُ
 — "أخبُ من ضبُ" (118)
 أي هو أخبُ
 — "أسمعُ من سمع" (119).

(112) مجمع الأمثال، الميداني، 475/2، وفسره بقوله: يقال للجبان هيدان من هيدته وهدته إذا زجرته فكأن الجبان زجر عن حضور الحرب والريذان من ريد الجبل وهو الحرف الناتئ منه. يضرب للمقبل والمدبر والشجاع والجبان.

(113) جمهرة الأمثال، العسكري، 210/1، وفسره بقوله: قيل هما البرد وقيل إنما هو عبّ — قرّ والعبّ: البرد — والقرّ: البرد.

(114) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 97/1.

(115) المصدر نفسه، 97/1.

(116) المستقصى، الزمخشري، 40/1.

(117) التحفة الأدبية في الأمثال العربية، قصير، ص 180.

(118) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 192/1. وفسره: أي أغشُ في ذي عداوة لأنهم يعنون بذلك خدع الضبّ في حجره.

(119) المصدر نفسه، 218/1.

- أي هو أسمعُ
- "أضيعُ من طاووس في ناووس" (120)
- أي هو أضيعُ
- "أغربُ من غراب" (121)
- أي هو أغربُ
- "أغرُ من الدُّباء في الماء" (122)
- أي هو أغرُ
- "أمضى من السيل تحت الليل" (123)
- أي هو أمضى.
- "أمضى من ترحة بعد فرحة" (124)
- أي هو أمضى
- "أهونُ من صوفة في بوهة" (125)
- أي هو أهونُ
- "أهونُ من ذنب الحمار على البيطار" (126)
- أي هو أهونُ
- "أهون من تنبة على لبنة" (127)
- أي هو أهونُ.

(120) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 277/1.

(121) المصدر نفسه، 321/1.

(122) مجمع الأمثال، الميداني، 17/2. وفسره بقوله: والدُّباء: القرع ويقال في المثل أيضاً لا يغرتك الدباء وإن كان في الماء. قيل إن أعرابياً تناول قرعاً مطبوخاً وكان حاراً فأحرق فمه فقال لا يغرتك الدباء وإن كان نشؤه في الماء. يضرب للرجل الساكن ظاهراً الكثير الغائلة باطناً.

(123) جمهرة الأمثال، العسكري، 185/2.

(124) المصدر نفسه، 185/2 لم يذكر حول معناه شيء وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة ترح 43/2. الترح: نقيض الفرح وترحه الأمر: أحزنه.

(125) المصدر نفسه، 290/2 البوهة: ما طيرته الريح من دقيق التراب، والبوهة أيضاً: الرجل الذي لا خير فيه.

(126) المستقصى، الزمخشري، 275/1 لم يذكر حول معناه شيء وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة بطر 69/4 البطرُ: الشق وبه سمي البيطار بيطاراً: والبيطار: معالج الدواب.

(127) مجمع الأمثال، الميداني، 483/2 أي هو أهونُ.

— "أوسعُ من هند مند" (128)

أي هو أوسعُ

1 — حذف المبتدأ للاكتفاء بقرنية الحال: وذلك في قولهم:

— "هينٌ لينٌ وأودت العين" (129).

المثل كلام دغة المحمّقة (130). حين حسدها صواحبهـا على أنساع (*) كنّ لها جدد جعلت تتطّ إذا ركبت بعيرها فقلن لها: ويحك يا دغة إنّ أنساعك تتطّ، وإذا سمع أطيطها الرجال قالوا: هذا ضراط دغة لو أنك دهنتها فهو ألين لها وأبقى فيذهب عنك هذا الذي تخافين قالت فإنني فاعله، فلمّا نزلت حملت النساء إليها السمن في الأقداح فلمّا صار السمن بيدها أخذت نسعاً من أنساعها فقطرت على بعض نواحيه السمن فاسودّ ولان فعند ذلك قالت دغة: هينٌ ولينٌ وأودت العين (131). تقول ذهب حسنه وحمـرته ونبت العين عنه.

فالقائلة هنا استغنت بدلالة الحال فحذفت المسند إليه حذفاً جائزاً منه تناسب حال نسعها الأولى التي تبدّلت، أي نسعي هينٌ. (132)

— حذف المبتدأ لدلالة وصفه عليه: من مثل قولهم:

— "لكل ساقطةٍ لاقطةٌ" (133)

أي لكل كلمةٍ ساقطةٍ أدنٌ لاقطة.

— حذف المبتدأ في جواب الشرط:

ومن ذلك قولهم:

(128) التحفة الأبية في الأمثال العربية، قصير، ص 178 نهر بسجستان قيل إنه ينصب إليه ألف نهر وينشق منه ألف

نهر ولا تظهر فيه زيادة ولا نقصان.

(129) الأمثال، المفضل الضبي، ص 172.

(130) هي دغة بنت معنـج كانت امرأة من جرهم فتزوّجها رجل منهم قبل أن تبلغ المحيض، فحملت ولم تشعر بالحمل لحداثة سنـها، فأخذها الطلق وأهلها سائرون، فنزلت منزلاً فانطلقت تبرز، فولدت وهي تبرز، فصاح الصبي، فرجعت إلى أمها فقالت: يا أمـاه هل يفتح الجعر فاه قالت: نعم ويدعو أباه فذهب مثلاً ففـيل أحـمق من دغة، المصدر نفسه، ص 171.

(*) الأنساع: الحبال.

(131) الأمثال، المفضل الضبي، ص 172.

(132) الأمثال العربية القديمة، محمّد جمال صقر، ص 65.

(133) مجمع الأمثال، الميداني، 185/2 فُسّر سابقاً.

— "من لا يهلك فلا يهلك" (134)

أي فهو لا يهلك.

— "إذا أردت المحاجزة فقبل المناجزة" (135)

أي فالمحاجزة قبل المناجزة

— "إن لم يكن وفاق ففراق" (136)

أي إن لم يكن حب في قرب فالوجه المفارقة.

— "من يجع يشجع ومن يسغب يشغب" (137).

والتقدير فهو يشجع وكذلك فهو يشغب.

— حذف المبتدأ في صلة (من):

— "صنعة من طب لمن حب" (138) أي لمن هو حب

— "ما يعرف من يهره ممّن يبرّه" (139)

أي من هو يهره ممّن هو يبرّه.

— "لا يسرك من يغرك" (140)

والتقدير من هو يغرك.

(134) جمهرة الأمثال، العسكري، 434/1 لم يذكر حول معناه شيء.

(135) المصدر نفسه، 77/1. وفسره: يضرب في تخيل الفرار ممّن لا طاقة لك به، والمجاجة من قولهم: حجت بين الشبيئين والمناجزة: سرعة القتال.

(136) مجمع الأمثال، الميداني، 70/1.

(137) المصدر نفسه، 371/2.

(138) المصدر نفسه، 551/1.

(139) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 136/3.

(140) تمثال الأمثال، العبدري، 541/2 وفسره: قاله يزيد بن عبد المدان لابن جفنة وصفة ذلك أن يزيد هذا قدم على ابن جفنة ومعه عمرو بن معدي كرب ومكشوح المرادي زواراً فلقوا عنده وجوه قيس وملاعب الأسنة عامر بن مالك فسأله ابن جفنة عن أشياء ثم أقبل على القيسيين فسألهم عن النعمان بن المنذر فعابوه وصغروه، فنظر ابن جفنة إلى يزيد بن عبد المدان فقال له ما تقول أنت يا ابن عبد المدان فقال له يزيد: يا خير الفتيان ليس صغيراً من منع منك العراق وشركك في الشام وقيل له أبيت اللعن وقيل لك: يا خير الفتيان وألفى أباه ملكاً وألفيت أباك ملكاً فلا يسرك من يغرك.

— حذف المبتدأ بعد لكن الاستدراكية وذلك في قولهم:

— "ليس الشحم باللحم ولكن من قواصيه" (141)

كأنه قال لكن هو من قواصيه.

— حذف المبتدأ بعد أو العاطفة: وذلك في قولهم:

— "إنما هو الفجر أو البحر" (142)

أي أو هو البحر

2 — حذف الخبر:

— حذف خبر ربّ وذلك في قولهم:

— "ربّ حثيثٍ مكثٍ" (143)

جاء الاسم بعد ربّ مرفوع محلاً على أنه مبتدأ وخبره محذوف وجوباً.

3 — حذف الفاعل:

يأتي حذف الفاعل لأغراضٍ لفظية وأخرى معنوية، أمّا اللفظية فهي الإيجاز، وإصلاح السجع، وتصحيح النظم، وأمّا المعنوية فهي العلم به، جهله، إبهامه، تحقيره، كراهة سماعه، الخوف منه، نسيانه (144).

ومن ذلك حذف الفاعل في باب النائب عن الفاعل في مثل قولهم:

— "فُتِحَ صدرك بعلم عُجرك وبجرك" (145)

والتقدير فتح فلان صدره.

— "كما تدين تدان" (146).

جاء نائب الفاعل ضميراً مستتراً وجوباً تقديره أنت.

(141) المستقصى، الزمخشري، 304/2.

(142) مجمع الأمثال، الميداني، 94/1.

(143) المصدر نفسه، 421/1.

(144) أسلوب الحذف في اللغة العربية، أيمن الشوّّا، ص 124 بتصرف.

(145) من نثر الدرّ، الآبي، 94/4 وفسره: العجزة: نفخة في الظهر، ويقال هي العروق المتعقدة في الجسد، والبحر العروق المتعقدة في البطن، والمراد أخبرته بكل شيء ولم أستر عنه شيئاً.

(146) مجمع الأمثال، الميداني، 132/2.

— "إذا وُقِيَ الرجلُ سرّاً لقلقه وبقبفه وذذببه فقد وُقِيَ الشرّ كله" (147).

والتقدير وقى الله الرجل.

وكذلك حُذِفَ الفاعل ولم يجر له ذكر في قولهم:

— "من قَلَّ ذَلَّ ومن أَمَرَ قَلَّ" (148)

والتقدير من قلَّ أنصاره غلب ومن كثر أقرباؤه قلَّ أعداؤه.

— استتار الفاعل:

قد يضمّر الفاعل في نفس المتكلم فلا يذكره للعلم به، ومعنى استتاره أنّ المتكلم يمكن أن يضمّر الفاعل ويقدره المعرب فيها، لأنها تدل عليها دلالة طبيعية، ولا يعني ذلك أنّ الفاعل يستتر فيها استتاراً مادياً" (149).

— "أقصرَ لما أبصر" (150)

الفاعل هنا ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "ألصقَ الحسَّ بالإس" (151)

الفاعل هنا ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "ألحقَ الحسَّ بالإس" (152)

الفاعل هنا ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "جاءَ بالصقّر والبقر" (153)

الفاعل هنا ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "جاءَ بالطمّ والرّم" (154)

(147) المستقصى، الزمخشري، 129/1 وفسره: أي شر لسانه وبطنه وفرجه.

(148) مجمع الأمثال، الميداني، 345/2.

(149) أسلوب الحذف في اللغة العربية، أيمن الشوّاء، ص 125.

(150) جمهرة الأمثال، العسكري، 161/1 فسر سابقاً.

(151) المصدر نفسه، 131/1.

(152) مجمع الأمثال، الميداني، 203/2.

(153) زهر الأكم، اليوسي، 65.

(154) مجمع الأمثال، الميداني، 223/1.

الفاعل هنا ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "جاءَ يضربُ أُصدريه وأُزدرية" (155)

الفاعل هنا ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "لا تَهْرِفْ بما لا تعرف" (156)

الفاعل هنا ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

— "دَرَبِ البَهِمَ بالرَّم" (157)

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

— "رَضِيَ من الوفاء بالِّفَاء" (158)

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "شَمَرٌ وَاَنْتَرَرُ والبسْ جلد النمر" (159)

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

— "جاءَ بأَمِّ الربيق على أريق" (160)

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "اسعَ بجدِّك لا بكدِّك" (161)

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

— "لا يُمَيِّزُ بين التين والسَّرَقين" (162)

(155) الوسيط، الواحدي، 95.

(156) مجمع الأمثال، الميداني، 220/2 وفسره: الهرف: الإطباب في المدح، يضرب لمن يتعدى مدح الشيء قبل تمام معرفته.

(157) المصدر نفسه، 374/1 وفسره: أي عودها الرعي تدرب به، يضرب في تأديب الرجل ولده.

(158) المصدر نفسه، 423/1 وفسره: الوفاء: التوفية يقال: وفيتَه حقَه توفية ووفاءً، والِّفاء: الشيء الحقيق. يضرب لمن رضي بالتافه الذي لا قدر له دون التام الوافر.

(159) المصدر نفسه، 506/1.

(160) المصدر نفسه، 233/1.

(161) المستقصى، الزمخشري، 168/1.

(162) مجمع الأمثال، الميداني، 275/2.

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "إِنْ لَمْ تَغْلِبْ فَاخْلُبْ" (163)

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

— "ادْفَعْ الشَّرَّ بَعُودٍ أَوْ عُمُودٍ" (164)

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

— "أَفْرَطَ فَأَسْقَطَ" (165)

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "لَا يَعْرِفُ مُحْسَاهُ مِنْ مَفْسَاهُ" (166)

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "جَاءَ بِالضَّيْحِ وَالرَّيْحِ" (167)

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "لَمْ يَفُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ" (168)

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "مَا تُحَسِّنُ تَعْجُوهَ وَلَا تَتَجَوَّهَ" (169)

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

— "قَدَّمَ فَمَا جَاءَ بِهِلَّةً وَلَا بِلَّةً" (170)

(163) مجمع الأمثال، الميداني، 48/1.

(164) المستقصى، الزمخشري، 117/1. وفسره: أي إذا أتاكَ السائل فلا تردّه إلّا بعتية كثيرة أو قليلة لتقطع بها لسانه عن ذلك.

(165) جمهرة الأمثال، العسكري، 24/1.

(166) مجمع الأمثال، الميداني، 275/2.

(167) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، 59.

(168) مجمع الأمثال، الميداني، 270/2.

(169) المصدر نفسه، 318/2 وفسره: أي تسقيه اللبن، وتتجوه من النجو يقال للدواء إذا أمشى الإنسان قد أنجاه، يضرب للمرأة الحمقاء.

(170) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، 23. وفسره: هلة: أي فرج، وبلة: أي بأدنى بللٍ من الخير.

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "لا يَعْرِفُ الْحَيَّ مِنَ اللَّيِّ" (171)

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "أَلْقَى عَلَيْهِ أَجْرَامَهُ وَأَجْرَانَهُ" (172)

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "مَا يَعْرِفُ مِنْ يَهْرَةٍ مِمَّنْ يَبْرَةٍ" (173)

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "مَا يَعْرِفُ الْحَوَّ مِنَ اللَّوِّ" (174)

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "مَا يَعْرِفُ الْحَيَّ مِنَ اللَّيِّ" (175)

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "مَا حَجَّ وَلَكِنَّهُ دَجَّ" (176)

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ السَّامَةِ وَالْهَامَةِ" (177)

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره أنا.

— "عِنْدَ التَّصْرِيحِ تُرِيحُ" (178)

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

— "جَاءَ بِالْهَيْءِ وَالْجِيءِ" (179)

(171) جمهرة الأمثال، العسكري، 320/2.

(172) من نثر الدر، الآبي، 94/4. وفسره: أي هواه، الجرم: الجسد، والجرن: النفس.

(173) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 136/3.

(174) مجمع الأمثال، الميداني، 313/2.

(175) المصدر نفسه، 313/2.

(176) المصدر نفسه، 311/2.

(177) الأمثال، أبو عكرمة الضبي، 103.

(178) مجمع الأمثال، الميداني، 657/1.

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "جاءَ بالشَّقرِ والبقرِ وبيّناتٍ غيرِ"⁽¹⁸⁰⁾

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "ذهبَ في الأخيبِ الأذهبِ"⁽¹⁸¹⁾

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "شَرِبَ فما نَقَعَ ولا بَضَعَ"⁽¹⁸²⁾

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "يَحْفُ لَهُ وَيَرِفُ"⁽¹⁸³⁾

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "لَجَّ فَحَجَّ"⁽¹⁸⁴⁾

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "تَرَكَ ما يَسُوءُهُ وَيَنُوءُهُ"⁽¹⁸⁵⁾

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

— "جاءَ بعدَ الهَيْطِ والمَيْطِ"⁽¹⁸⁶⁾

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

(179) مجمع الأمثال، الميداني، 238/1.

(180) المصدر نفسه، 242/1.

(181) المصدر نفسه، 387/1 وفسره: وذهب في الخيبة الخيباء إذا طلب ما لا يجدي ولا يجد عليه طلبه شيئاً، بل يرجع بالخيبة.

(182) المصدر نفسه، 518/1.

(183) جمهرة الأمثال، العسكري، 332/2. وفسره بقوله: يقال إذا كان لا يدري من هو ولا يعرف أبوه، وهو يضرب لمن يظهر ويثب على الناس من غير أن يكون له قديم.

(184) مجمع الأمثال، الميداني، 191/2.

(185) المصدر نفسه، 191/1. ذكر سابقاً وهنا نذكر به: إذا ترك للورثة ماله، قيل كان المحبوبي ذا يسار فلما حضرته الوفاة أراد أن يوصي فقيل له: ما نكتب؟ فقال اكتبوا ترك فلان يعني نفسه ما يسوءه وينوءه مالا يأكله ورثته ويبقي عليه وزره.

(186) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، 94. وفسره: الميط: الأمر الشديد.

— "حافظُ على الصديق ولو في الحريق" (187)

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

— "اطلبُ ذاك وخلاكِ ذم" (188)

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

— "رماه بسكاته وصماته" (189)

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره هو.

— "كما تدينُ تدانُ" (190)

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

— "يضربُ الماشَ بالدرماش" (191)

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ففي جميع الأمثال السابقة جاء الفاعل مقدراً تقديرًا ذهنيًا من قبل المجرب ومضمراً في نفس المتكلم للعلم به.

حذف المنصوبات:

1 — حذف المفعولين معاً في باب الأفعال الناسخة وذلك في قولهم:

"لا دريت ولا انئليت" (192)

فقد حذف مفعولي دريت.

2 — حذف المصدر:

— حذف المصدر وقيام الكاف أو كما مقامه:

وذلك في قولهم: "كما تدينُ تدانُ" (193)

(187) مجمع الأمثال، الميداني، 283/1.

(188) المستقصى، الزمخشري، 224/1.

(189) جمهرة الأمثال، العسكري، 404/1.

(190) مجمع الأمثال، الميداني، 132/2.

(191) المصدر نفسه، 512/2.

(192) الوسيط، الواحدي، 186.

(193) المصدر نفسه، 132/2.

فالكَاف هنا في كما في محل نصب نائب مفعول مطلق، أي تَدان ديناً مثل دينك.

— حذف المصدر وقيام صفته مقامه:

وذلك في قولهم: — "ما ذقت عضاضاً ولا مضاضاً ولا قضاضاً ولا لماظاً"⁽¹⁹⁴⁾

والتقدير ما طعمت طعاماً يعضّ أو يمضغ أو يقضم، أو يتلمظ به.

حذف الإضافة:

1 — حذف المضاف:

— "أوسع من هند مند"⁽¹⁹⁵⁾

والتقدير أوسع من نهر هند مند.

ثانياً: الحذف في الفعل:

1 — حذف الفعل مع إضمار الفاعل وقد جاء ذلك في قولهم:

— "مولاك وإن عناك"⁽¹⁹⁶⁾

فهنا حذف الفعل مع تقدير الفاعل بدليل رواية قائل المثل في التفسير، والتقدير، احفظ وارع مولاك.

— "جذّك لا كدّك"⁽¹⁹⁷⁾

هنا أيضاً حذف الفعل مع تقدير الفاعل والتقدير ابغ جذّك لا كدّك.

— "صنعة من طبّ لمن حبّ"⁽¹⁹⁸⁾

وهنا كذلك حذف الفعل والتقدير اصنع هذا الأمر لي صنعة من طبّ لمن حبّ.

— "الرفيق قبل الطّريق"⁽¹⁹⁹⁾

(194) الأمثال، أبي عبيد القاسم بن سلام، 390 وفسّره: يعني ما يعضّ أو يمضغ أو يقضم أو يتلمظ به.

(195) التحفة الأدبية في الأمثال العربية، قصير، 178 وفسّره: نهر بسجستان قيل إنه ينصبّ إليه ألف نهر وينشق منه ألف نهر ولا تظهر فيه زيادة ولا نقصان.

(196) مجمع الأمثال، الميداني، 350/2 وفسّره: أي هو وإن جهل عليك فأنت أحق من تحمل عنه، أي استبق أرحامك، ومولاك في موضع النص على تقدير احفظ أو ارع مولاك.

(197) المصدر نفسه، 237/1 فُسّر سابقاً.

(198) المصدر نفسه، 551/1 فُسّر سابقاً.

(199) المصدر نفسه، 423/1 فُسّر سابقاً.

والتقدير حصل الرفيق أولاً وأخبره، فربما لم يكن موافقاً ثم يكون السفر.

2 — حذف كان مع اسمها أو خبرها في قولهم:

— "إلا خطيئة فلا أليّة"⁽²⁰⁰⁾

فهنا حذفت كان مع اسمها على رواية النصب ويكون تقدير الكلام إن لا أكن عنده حظية فلا أكون أليّة، وحذفت كان مع خبرها على رواية الرفع ويكون تقدير الكلام إن لا تكن له في الناس حظية فإنني غير أليّة.

ويقول في ذلك أحدهم: "إن لا خطيئة فلا أليّة أي إن لا تكن له في الناس حظية فإنني غير أليّة، كأنها قالت في المعنى، إن كنت ممن لا يحظى عنده فإنني غير أليّة، ولو عنت بالحظية نفسها لم يكن إلا نصباً إذا جعلت الحظية على التفسير الأول"⁽²⁰¹⁾

3 — حذف الفعل لدلالة أدوات المعاني عليه:

— حذف الفعل الذي تتعلّق به ربّ:

يقول أحدهم: "واعلم أنّه لا بُدّ للنكرة التي تعمل فيها ربّ من صنعة إما اسم وإما فعل لا يجوز أن تقول: ربّ رجل وتسكت حتى تقول: ربّ رجل صالح أو تقول: رجل يفهم ذلك"⁽²⁰²⁾ وقد جاء ذلك في قولهم: "ربّ حثيث مكثيث"⁽²⁰³⁾

— "ربّ دميم غير دميم"⁽²⁰⁴⁾

— "ربّ عطب تحت طلب"⁽²⁰⁵⁾

— حذف كان بعد لو الشرطيّة: وذلك في قولهم:

— "حافظ على الصديق ولو في الحريق"⁽²⁰⁶⁾.

والتقدير ولو كان في الحريق

(200) مجمع الأمثال، الميداني، 29/1.

(201) الكتاب، سيبويه، 261/1.

(202) الأصول، ابن السراج، 418/1.

(203) مجمع الأمثال، الميداني، 421/1.

(204) خاص الخاص، الثعالبي، 49.

(205) مجمع الأمثال، الميداني، 447/1.

(206) المصدر نفسه، 283/1.

4 - حذف الجملة:

— حذف جملة القسم والجواب لأفعلن:

يقول أحدهم: "وسألته أي الخليل عن قوله لتفعلن إذا جاءت مبتدأة ليس قبلها ما يحلف به فقال إنما جاءت على نية اليمين وإن لم يتكلم بالمحلف به"⁽²⁰⁷⁾.

وقد جاء ذلك في قولهم: "لألحقن حوافك بذواقك"⁽²⁰⁸⁾ فهنا حذفت جملة القسم لدلالة اللام عليها والفعل المستقبل المؤكد بالنون.

وبعد هذا العرض يمكننا استنباط النتائج الآتية:

1 — حذف الاسم في الأمثال العربية كان شائعاً في المسند إليه أكثر من المسند، وهذا ما يمكن تفسيره بكثرة التداول من جهة، وحث السامع على إعمال ذاكرته لمعرفة الفاعل أو تذكر قصته من جهة أخرى، ويمكن تفسير ذلك أيضاً بحرص العرب على عدم التشهير بالآخرين ولا سيما أن معظم الأمثال قيلت في مواقف ساخرة، ومنها ما قيل في الصفات والأخلاق لشخصيات معروفة بين العرب. يقول أحد الباحثين: "حذف المسند على وروده في كلام العرب وفي أي الذكر الحكيم، فهو أقل بكثير من حذف المسند إليه فضلاً عن أن حذف المسند إليه أقل خطراً في وظيفة الجملة فبالمسند تتم الفائدة غالباً ولا سيما في الجملة الاسمية"⁽²⁰⁹⁾ وهذا القول يؤكد النتيجة التي قلناها آنفاً.

2 — حذف المسند (الفعل) في الأمثال العربية المدروسة جاء للإيجاز والاختصار وتحقيق الاقتصاد في الكلام وهنا نذكر بقول أحد الباحثين: "فالإيجاز بالحذف عجيب الأمر شبيه بالسحر وذلك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة"⁽²¹⁰⁾.

3 — لوحظ شيوع أسلوب الحذف في الأمثال المدروسة في الاسم بالدرجة الأولى يليه الفعل، والأسماء كما هو معلوم تدل على الثبات والديمومة وهو ما كان له أبلغ الأثر في ثبات الأمثال في الأذهان وديمومتها حتى يومنا هذا.

(207) الكتاب، سيبويه، 106/1.

(208) مجمع الأمثال، الميداني، 165/2.

(209) في جمالية الكلمة، د. حسين جمعة، ص 97.

(210) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 146.

ثالثاً: أسلوب النفي:

أسلوب النفي من الأساليب التي شاع استخدامها في الأمثال المدروسة وسنحاول تسليط الضوء على هذا الأسلوب من خلال الأمثال المدروسة. يقول أحدهم: "الفتح الذي يشبه النصب هو ما جاء مطرداً من الأسماء النكرات المفردة ولا تخصّ اسماً بعينه من النكرات إذا نفيتها (بلا) وذلك قولك: لا رجل في الدار ولا جارية فأَي اسم نكرة ولي (لا) وكان جواباً لمن قال: هل من غلام فهو مفتوح، فإن دخلت (لا) على ما عمل بعضه في بعض من معرفة أو نكرة لم تعمل هي شيئاً إنما تفتح الاسم الذي يليها إذا كانت قد نفت ما لم يوجبه موجب. فأما إذا دخلت على كلام قد أوجبه موجب فإنها لا تعمل شيئاً وإنما خولف بها إذا كانت تنفي ما لم يوجب، وكل منفي فإنما ينفي بعد أن كان موجباً"⁽²¹¹⁾.

و"النفي بابٌّ من أبواب المعنى يهدف به المتكلم إخراج الحكم في تركيب لغوي مثبت إلى ضده، وتحويل معنى ذهني فيه الإيجاب والقبول إلى حكم يخالفه إلى نقيضه، وذلك بصيغة تحتوي على عنصر يفيد ذلك، أو بصرف ذهن السامع إلى ذلك الحكم عن طريق غير مباشرة من المقابلة أو ذكر الضد، أو بتعبير يسود في مجتمع ما فيفتن بضد الإيجاب والإثبات"⁽²¹²⁾.

وللنفي أدوات في العربية ندرجها فيما يلي:

1 - لا: وهي أدلّ الأدوات على النفي لأنها الأصل في النفي مع (ما) ولا أشمل نفيّاً من (ما) فهي تنفي ما بعدها أحياناً نفيّاً شاملاً مستغرقاً و(لا) لها مواضع في الكلام مختلفة فتقع على الأسماء في نحو قولك: ضربت زيدا لا عمراً، وتقع على الأفعال في القسم وغيره، تقول لا يخرج زيد وأنت مخبر، وتكون للنهي في نحو قولك: لا ينطلق عبد الله، وتجزم بها الفعل فيكون بجزاء قولك في الأمر: ليخرج عبد الله، وقد تكون من النفي في موضع آخر وهو نفي، قولك: إيتِ وعمراً، فإذا أردت نفي هذا قلت. لا تأتِ زيدا وعمراً، لم يكن هذا نفيه على الحقيقة لأنه إن أتى أحدهما لم يعصه لأنه نهاه عنهما جميعاً، فإن أراد أن تمتنع منهما معاً فنفي ذلك قولك: لا تأتِ زيدا ولا عمراً⁽²¹³⁾.

ولا "لا تعمل إلا في النكرات بشرط أن يكون الخبر مؤخراً منفيّاً نحو قولك: لا رجل أفضل منك، فإن كان موجباً أو مقدماً لم تعمل، نحو قولك: لا أفضل منك رجل ولا امرأة، وسبب ذلك أنها

(211) الأصول في النحو، ابن السراج، 379/1

(212) في التحليل اللغوي، د. خليل أحمد عمارة، ص 154.

(213) الأصول في النحو، ابن السراج، 401/1.

إنما تعمل إذا كانت خاصة بالاسم ولا تكون خاصة حتى تكون للنفي العام فتكون في جواب السؤال العام نحو قولك: هل من رجلٍ قائم، فيلزم دخولها من أجل ذلك على الاسم النكرة⁽²¹⁴⁾

ويقول أحدهم: "اعلم أن لا لنفي الحكم عن مفرد بعد إيجابه لمتبوع، فلا يجيء إلا بعد خبر موجب أو أمر ولا يجيء بعد الاستفهام والتمني والعرض والتحضيض ونحو ذلك، ولا بعد النهي تقول: ضربت زيداً لا عمراً وأضرب زيداً لا عمراً"⁽²¹⁵⁾. يقول أحد الباحثين: "وأما النفي في الجملة الاسمية فالملاحظ أنه من دلالة التركيب كله لا من دلالة ألفاظ النفي وحدها، وتفسير ذلك أن استعمال (لا) مثلاً يرتبط بصفتين شكليتين في الاسم التالي لها لا يحدثان مع سواها. وهما كون الاسم نكرة ولزومه الفتحة دون تنوين، ولما كانت هاتان الصفتان لا توجدان في حالة أخرى غير حالة النفي بـ (لا) أمكننا القول أن النفي هنا لا يتميز باستعمال لا وحدها بل بوجود صفات شكلية في بقية أجزاء التركيب كذلك"⁽²¹⁶⁾

وقد جاءت (لا) في الأمثال المدروسة عاملة في الأسماء والأفعال أما عملها في الاسم فقد جاء في قولهم:

— "لا أصل له ولا فصل"⁽²¹⁷⁾

فهنا نرى أن لا قد أفادت النفي وقد تحققت فيها شروط ذلك.

— "المنية ولا الدنية"⁽²¹⁸⁾

هنا كذلك نلاحظ أن (لا) أفادت النفي من خلال تسلط النسبة على المسند والمسند إليه. فالمسند هنا محذوف وهو الفعل فضل والمسند إليه هو الدنية.

— "لا حم ولا رم أن أفعل كذا"⁽²¹⁹⁾

هنا أيضاً نرى أن النفي قد تحقق من تسلط النسبة على المسند والمسند إليه.

— "لا عباب ولا أبواب"⁽²²⁰⁾

(214) المُقَرَّب، ابن عصفور، 104/1

(215) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 378/2

(216) اللغة والتطور، د. عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، د. ط، 1969 ص 126

(217) مجمع الأمثال، الميداني، 250/2.

(218) المصدر نفسه، 336/2، وفسره بقوله: أي فضل المنية على العار، ويجوز الرفع أي المنية أحب إلي ولا الدنية أي وليست الدنية مما أحب وأختار.

(219) المصدر نفسه، 245/2، أي لا بُدَّ من ذلك.

هنا كذلك أفادت لا النفي وقد شاركتها الصفات الشكلية السابقة والنفي الذي أفادته (لا) جاء من تسلط النسبة على المسند والمسند إليه وهذا ما يندرج على جميع الأمثال التالية.

— "لا في العير ولا في النفير"⁽²²¹⁾

— "لا خلّة مع عيلة"⁽²²²⁾

— "لا جنّ بالبغضاء والنظر الشزر"⁽²²³⁾

فهنا نلاحظ كذلك مجيء (لا) وقد أفادت معنى النفي بمشاركة خصائص شكلية إضافية هي مجيء اسمها نكرة ولزومها الفتحة، وهما خاصتان انفردت بهما لا عن غيرها من أدوات النفي.

وكذلك جاءت لا عاملة في الأفعال وفي ذلك يقول أحدهم: "ومن الملاحظ أنّ النفي في الجملة الفعلية ليس من دلالة التركيب بل من دلالة الألفاظ المستخدمة في النفي مثل ما، لم، لن، لا، لمّا، فلا توجد في حالات نفي الفعل علامة شكلية ترتبط بدلالة النفي وجوداً وعدماً وتختصّ بالنفي دون سواء من الدلالات الأخرى"⁽²²⁴⁾

وهذا ما يمكننا ملاحظته في الأمثال التالية:

— "لا أفعل ذلك ما اختلف الملوان والأجذان والفتيان والعصران والجديدان"⁽²²⁵⁾

— "لا حاء ولا ساء"⁽²²⁶⁾

— "لا دريت ولا انتليت"⁽²²⁷⁾

— "لا يعرف القطاة من اللطاة"⁽²²⁸⁾

(220) مجمع الأمثال، الميداني، 253/2. وفسره: يقال عن الظباء إذا أصابت الماء لم تعب فيه، وإن لم تصبه لم تأبب له، أي لم تنهياً لطلبه.

(221) المصدر نفسه، 223/2، وفسره: ويضرب هذا للرجل يحطّ أمره ويصغر قدره. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا: العير: 621/4 كل ما اعتير عليه من الإبل والحمير والبغال، والنفير: 224/5 الجماعة من الناس.

(222) العقد الفريد ابن عبد ربه، 80/3، الخلّة: الصداقة، العيلة: الفقر.

(223) مجمع الأمثال، الميداني، 248/2، أي لا يخفي نظر المبغض، لا جنّ معناها: لا خفاء والبغضاء: البغض، والنظر الشزر: نظر الغضب بمؤخر العينين.

(224) اللغة والتطور، د. عبد الرحمن أيوب، ص 127.

(225) المجهول، ص 100، وقال: ومعنى جميعه: الليل والنهار.

(226) مجمع الأمثال، الميداني، 243/2، وفسره: أي لم يأمر ولم ينه، يضرب للرجل إذا بلغ النهاية في السن.

(227) الوسيط، الواحدي، 186.

(228) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، ص 129، وفسره: القطاة: موضع الردف، واللطاة: الجبهة، يضرب للأحمق.

- "لا يعرف محساه من مفساه" (229)
- "لا يعدم الخيار من استشار" (230)
- "لا يسرك من يغرك" (231)
- "لا يميز بين التين والسرقيين" (232)
- "لا ينبت البقلة إلاّ الحقلة" (233)
- "لا ينفع حذر من قدر" (234)
- "من كلا جنبك لا لبّيك" (235)
- "المعزى تبهي ولا تُبني" (236)
- "لا أفعل ذلك ما اختلف الجديان والملوان والفتيان" (237)
- "لا أفعله ما خالفت درّة جرّة" (238)
- "لا أفعل كذا ما اختلفت الدرّة والجرّة" (239)
- "لا آتيك سجيّس عُجيس" (240)
- "لا آتيك سجيّس غُبيس" (241)
- "لا آتيك السمر والقمر" (242)

-
- (229) مجمع الأمثال، الميداني، 275/2.
- (230) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 80/3.
- (231) تمثال الأمثال، العبدري، 541/2، وقال: قاله يزيد بن عبد المدان لابن جفنة في موقف عابه فيه وصغره.
- (232) مجمع الأمثال، الميداني، 275/2.
- (233) المصدر نفسه، 233/2.
- (234) المصدر نفسه، 244/2، ويروى لا ينفعل من رديء حذر.
- (235) المصدر نفسه، 332/2، ويروى جانبك وهما سواء يضرب للمخدول.
- (236) المصدر نفسه، 290/2 الإبهاء: الخرق والإبناء: أن تجعله بانياً، يضرب لمن يفسد ولا يصلح.
- (237) من نثر الدر، الآبي، 122/3، الملوان: الليل والنهار.
- (238) المجهول 100، لأنّ الدرّة تسفل إلى الصرع، والجرّة ترتفع إلى الفم ويروى ما خالفت أي اجتمعت.
- (239) مجمع الأمثال، الميداني، 237/2 وذلك أن الدرّة تسفل و الجرّة تعلو فهما مختلفان.
- (240) المصدر نفسه، 232/2.
- (241) الأمثال، أبو عبيد البكري، 510.

— "لا تتفع حيلة مع غيلة"⁽²⁴³⁾

— "من نطاته لا يعرف قطاته من لطاته"⁽²⁴⁴⁾

— "من لا يعلك فلا يهلك"⁽²⁴⁵⁾

فهنا نرى أنّ (لا) في جميع الأمثال السابقة الواردة بالصيغة الفعلية قد أفادت معنى النفي وحدها دون أن تشاركها خصائص شكلية في التركيب أو المثل بخلاف الجملة الاسمية.

2 — ما: "اعلم أنّ الأصل في (ما) أن لا تعمل كما في لغة بني تميم، إذ قياس العوامل أن تختص بالقبيل الذي يعمل فيه من الاسم أو الفعل لتكون متمكنة بثبوتها في مركزها و(ما) مشتركة بين الاسم والفعل، وأما الحجازيون فإنهم أعملوها مع عدم الاختصاص لقوة مشابهتها لليس؛ لأن معناهما سواء في الحقيقة، وذلك لأنّ معنى ليس في الأصل ما كان، ثم تجردت عن الدلالة على الزمان فبقي مفيداً نفي الكون ومعنى ما مجرد النفي، ومعلوم أن نفي الشيء بمعنى نفي كونه سواء من حيث الحقيقة، وعند النحاة أنّ ما وليس كلاهما لنفي الحال⁽²⁴⁶⁾. ويقول آخر: "واعلم أنّ (ما) لها شبهان عامّ وخاصّ، فالعام شبهها بالحروف التي لا تخص الاسم بالدخول عليه، إذ هي غير خاصة بالاسم، والخاص شبهها (ليس) في أنها للنفي، وأنها إن دخلت على المحتمل خلصته للحال، كما أن ليس كذلك، فبنو تميم راعوا الشبه العام فلم يعملوها. وأهل الحجاز ونجد راعوا الشبه الخاص فأعملوها عمل ليس، إلا أنهم لم يعملوها عملها إلاّ بشروط ثلاثة: أحدها: أن يكون الخبر غير موجب، والآخر أن لا يتقدم الخبر على اسمها وليس بظرف ولا مجرور، والثالث أن لا يفصل بينها وبين الاسم بأن الزائدة"⁽²⁴⁷⁾، ويقول آخر: "ومن الحروف (ما) وهي تكون نفيّ هو يفعل إذا كان في الحال وتكون كليس في لغة أهل الحجاز وتكون تأكيداً لغواً تغير الحرف عن عمله نحو: إنما وكأنما ولعلما جعلتهنّ بمنزلة حروف الابتداء"⁽²⁴⁸⁾، ويقول آخر: "(ما وليس) الحق أنهما مطلق النفي كما يجيء في الأمثال الناقصة، فلما كان قياس أعمالها ضعيفاً، انعزلت لأدنى عارض، فمن ذلك مجيء إن بعدها، وإنما عزلتها لأنها وإن

(242) مجمع الأمثال، الميداني، 231/2. وفسّره: السمر عندهم الظلمة والأصل في هذا أنهم كانوا يجتمعون فيسمرون في الظلمة ثم كثر الاستعمال حتى سموا الظلمة سمرأ.

(243) المستقصى، الزمخشري، 260/2، يضرب للصاحب الغاش الذي تأمنه وهو يغتالك.

(244) مجمع الأمثال، الميداني، 336/2، وفسّره: النطاة: الحمق، ويروى من رطاته وهي الحمق أيضاً، و القطاة: الردف، واللطاة: الجبهة.

(245) جمهرة الأمثال، العسكري، 434/1.

(246) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 267/1.

(247) المقرب، ابن عصفور، ج 1/ 102.

(248) الأصول في النحو، ابن السراج، 210/2.

كانت زائدة، لكنها تشابه إن النافية لفظاً فكأن ما النافية دخلت على نفي، والنفي إذا دخل على النفي أفاد الإيجاب، فصارت إن كـ إلا الناقصة لنفي مافي نحو ما زيد إلا منطلق⁽²⁴⁹⁾

وقد جاءت (ما) لنفي الاسم في مثل قولهم:

— "ما أنت بخيَّة ولا سبيَّة"⁽²⁵⁰⁾

— "ما به نبضٌ ولا حيضٌ"⁽²⁵¹⁾

— "ما دونه شقذٌ ولا نقذٌ"⁽²⁵²⁾

— "ما عليها خربصيصة ولا هلبسيصة"⁽²⁵³⁾

— "ما عنده شوبٌ ولا روبٌ"⁽²⁵⁴⁾

— "ما عنده حضضٌ ولا بضضٌ"⁽²⁵⁵⁾

— "ما عنده طائلٌ ولا نائلٌ"⁽²⁵⁶⁾

— "ما عنده خير ولا مير"⁽²⁵⁷⁾

فهنا نلاحظ استخدام ظرف المكان الذي يفيد "أنَّ الموصوف واقع بين شرين، وأراد أن ينفي عن الموصوف امتلاك كثيرٍ أو قليلٍ فاستخدام ظرف المكان الذي يفيد أنه ليس كثير ولا قليل عند هذا الموصوف"⁽²⁵⁸⁾.

— "ما في فيه حاكَّة ولا تاكَّة"⁽²⁵⁹⁾

— "ما له عافطة ولا نافطة"⁽²⁶⁰⁾

(249) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 267/1.

(250) مجمع الأمثال، الميداني، 297/2.

(251) التحفة الأدبية، قصير، ص 97.

(252) مجمع الأمثال، الميداني، 317/2.

(253) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، ص 490، وفسره: الخربصيصة: شيء من الحلي، والهلبسيصة كذلك. يقال في باب ما ينطق بجحدٍ.

(254) مجمع الأمثال، الميداني، 321/2.

(255) التحفة الأدبية، قصير، ص 181.

(256) مجمع الأمثال، الميداني، 312/2.

(257) المصدر نفسه، 312/2.

(258) الأمثال العربية القديمة، محمد جمال صقر، ص 100.

(259) من نثر الدر، الأبي 88/3، وفسره: أي ضرر ولا ناب من قولهم تكة تكة إذا قصه.

— "ماله هاربٌ ولا قاربٌ" (261)

— "ماله سُمٌ ولا حمٌ" (262)

— "ما له حانّةٌ ولا آنةٌ" (263)

— "ما له سببٌ ولا لبٌ" (264)

— "ما له قذعمةٌ ولا قرطعةٌ" (265)

— "ما له سعةٌ ولا معنةٌ" (266)

— "ما له ثاغيةٌ ولا راغيةٌ" (267)

— "ما له دقيقةٌ ولا جليلةٌ" (268)

— "ما له دارٌ ولا عقارٌ" (269)

— "ما له حابلٌ ولا نابِلٌ" (270)

— "ما له هابلٌ ولا آبلٌ" (271)

(260) مجمع الأمثال، الميداني، 290/2، العافطة: النعجة، والنافطة: العنز.

(261) المصدر نفسه، 291/2.

(262) المصدر نفسه، 292/2، وقال الميداني: بالضم ويفتحان أي ما له همّ غيرك، يقال: ما له سم ولا حم أي ليس أحد يرجوه وقيل هذا من قولهم: حممت حمك وسممت سمك أي قصدك والمعنى ما له قاصد يقصده أي لا خير فيه يقصد له.

(263) المصدر نفسه، 292/2، وقال: أي ناقة ولا شاة.

(264) المصدر نفسه، 292/2، وفسّره: السيد: الشعر، اللبد: الصوف.

(265) المصدر نفسه، 292/2، وفسّره: القذعمة والقرطعة والسعة والمعنة ما وجدنا أحداً يدري ما أصولها هذا ما قاله أبو عبيد القاسم بن سلام، وقيل: رجل قذعمل: أي هين خسيس والقذعمة: المرأة القصيرة الخسيسة، والقرطعة: مثله في المعنى.

(266) المصدر نفسه، 293/2، وفسّره: قيل السعنة: الودك وقيل السعنة الكثرة من الطعام وغيره والمعنة: القلة من الطعام وغيره. والمعنى الشيء اليسير.

(267) المصدر نفسه، 311/2، الثاغية: النعجة، والراغية: الناقة أي ما له شيء.

(268) المصدر نفسه، 311/2، وفسّره: الدقيقة: الشاة، الجليلة: الناقة.

(269) المصدر نفسه، 311/2، العقار: النخل ويقال هو متاع البيت.

(270) المصدر نفسه، 319/2، الحابل: السدي والنابل: اللحم أي ما له شيء.

(271) المصدر نفسه، 325/2، وفسّره: الهابل: المحتال والأبل: الحسن الرعية ويقال ذئب هبل أي محتال، واهتبيل الصائد أي اغتتم غفلة الصيد. يضرب لمن لا يكون له أحد مهتم بشأته.

- "ما له شَقْدٌ ولا نَقْدٌ" (272)
- "ما له أَلٌ وغلٌ" (273)
- "ما له زرعٌ ولا ضرعٌ" (274)
- "ما له حلوبةٌ ولا ركوبةٌ" (275)
- "ما له نسولةٌ ولا قتوبةٌ ولا جزورةٌ" (276)
- "ما له جولٌ ولا معقولٌ" (277)
- "ما له سارحةٌ ولا رائحةٌ" (278)
- "ما له هُبْعٌ ولا رُبْعٌ" (279)
- "ما له سترٌ ولا حجرٌ" (280)
- "ما له حسٌ ولا بسٌ" (281)
- "ما هو إلا غَرَقٌ أو شَرَقٌ" (282)
- "ما له عن ذلك الأمرُ حُمٌ ولا رمٌ" (283)
- "ما له حبضٌ ولا نبضٌ" (284)

-
- (272) المستقصى، الزمخشري 331/2، وقال: أي ما له أحد يشقذه أي يطرده ولا أحد ينقذه.
- (273) الأمثال، أبو عبيد البكري، ص 501، وفي لسان العرب مادة غل 24/11 غلٌ أي جنٌ وألٌ أي دفع.
- (274) متخير الألفاظ، ابن فارس 156، أي ما له شيء.
- (275) المصدر نفسه، 158.
- (276) مجمع الأمثال، الميداني، 286/2، وفسره: أي ما يتخذ للنسل، ولا ما يعمل عليه. ولا شاة يجز صوفها أي ما له شيء.
- (277) المصدر نفسه 321/2، وقال الميداني: الجول: عرض البئر من أسفله إلى أعلاه. والمعقول: العقل والمعنى ما له عزيمة قوية. كجول البئر الذي يؤمن انهياره بصلابته ولا عقل يمنعه ويكفه عما لا يليق بأمثاله.
- (278) المصدر نفسه 334/2، وقال: سرحت الماشية أرسلتها في المرعى فسرحت هي. والمعنى ما تسرح وتروح.
- (279) جمهرة الأمثال، العسكري، 214/2، وفسره: الرُبْع: ما ينتج من أولاد الناقة في زمن الربيع، والهبع: ما نتج في الصيف.
- (280) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، ص 489، وقال: الستر: الحياء، والحجر: العقل.
- (281) المصدر نفسه، ص 489، أي حركة.
- (282) مجمع الأمثال، الميداني، 323/2.
- (283) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، 122، وفسره: أي لا بُدَّ منه. و يقال حُمٌ محال ورمٌ إتياع.

— "ما ضفا ولا صفا عطأؤه" (285)

وبعد هذا العرض لمجيء (ما) النافية في الأمثال التي جاءت بصيغة الاسم نلاحظ ما أشرنا إليه سابقاً من إفادتها النفي من خلال العلاقة بين المسند والمسند إليه في الجملة.

والشيء الملحوظ هنا تكرار لا في النفي في جميع الأمثال السابقة وفي ذلك يقول أحدهم: "وربما كان من أوضح الفروق بين النفي اللغوي والنفي المنطقي، أن نفي النفي ينتج الإثبات ولا شيء غير الإثبات في ذهن المنطقي والرياضي، ولكنه من الناحية اللغوية ليس إلا تأكيداً للنفي، فقد يريد المتكلم أن ينفي جملة من الجمل أو معنى من المعاني، وقد تدفعه حالته النفسية أو ظروف الكلام إلى تأكيد هذا النفي، فيكرر أداة النفي مثلي وثلاث ورباع وقد انتظمت هذه الظاهرة معظم لغات العالم" (286).

ويقول آخر: "يبدو أن التقديم والتأخير في هذه النماذج لم يكن لتسويغ مجيء المبتدأ نكرة، فهذه النكرة واقعة في سياق نفي، فضلاً عن أنها معطوف عليها، وكلاهما مسوَّغ كافٍ كما ذكر السيوطي، فالتقديم جائز إذن، إن الذي وراء التقديم والتأخير في هذه الأمثال التعبيرية تحقيق غرض متعلق بالوصف الذي هو أساسها، إنها عبارة عن وصف فلان بانتفاء ملك أقل شيء عنه والسخر منه والتسميع به، وتقديم المسند شبه الجملة أفاد أنه إن لم يكن له شيء فلغيره أشياء وهذا أبلغ في السخر" (287).

أما اللام التي جاءت في الأمثال السابقة فقد تبين أن القائل يفتقر إلى هذا الحرف لينفي أنه يملك شيئاً، وبذلك أدت اللام معنى التملك (288).

وأما (ما) النافية الداخلة على الجملة الفعلية فقد جاءت لنفي الفعل في الأمثال التالية:

— "ما أحلى في هذا الأمر ولا أمر" (289)

— "ما أدري أغار أم مار" (290)

— "أتيت فلاناً فما أرغاني ولا أثغاني" (291)

— "ما اكتحلت غماضاً ولا حثائاً" (292)

(284) مجمع الأمثال، الميداني، 2/292.

(285) المصدر نفسه 2/316.

(286) من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ص 179.

(287) الأمثال العربية القديمة، محمد جمال صقر، ص 125.

(288) المرجع نفسه، ص 96 بتصرف.

(289) مجمع الأمثال، الميداني، 2/319، وفسره: أي لم يصنع شيئاً.

(290) المصدر نفسه، 2/324.

(291) الأمثال، أبي عكرمة الضبي، ص 27، و قال: أي لم يعطني إبلاً ولا غنماً.

- "ما تحسنُ تعجوه ولا تتجوه" (293)
- "ما تكلمت بكلمة منذ كذا وكذا حتى أخطمها وأزمها" (294)
- "قدم فما جاء بهلة ولا بلة" (295)
- "ما حويت ولا لويت" (296)
- "ما حجّ ولكنّه دجّ" (297)
- "ما ذقت عضاضاً ولا مضاضاً ولا قضاضاً ولا لماظاً" (298)
- "ما رزأته زبالاً ولا قبلاً" (299)
- "ما ظلمته نقيراً ولا فتيلاً" (300)
- "ما نقص عنده عبكة ولا لبكه" (301)
- "ما يعرف هراً من برّ" (302)
- "ما يعرف من يهرّه ممّن يبرّه" (303)
- "ما يعرف الحوّ من اللوّ" (304)

-
- (292) مجمع الأمثال، الميداني 314/2، وقال: أي ما ذقت نوماً.
- (293) المصدر نفسه، 318/2، وقال: أي تسقيه اللبن وتتجوه من النجوس. يقال للدواء إذا أمشى الإنسان قد أنجاه يضرب للمرأة الحمقاء.
- (294) الأمثال، أبي عبيد القاسم بن سلام، ص 390، وفسّره: وليس هناك خطام ولا زمام وإنما جعل هذا مثلاً لمنعة لسانه من بواذر الفلتات والخطأ.
- (295) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، ص 23، هلة: أي فرج، و بلة: أي بأدنى بلل من الخير.
- (296) المستقصى، الزمخشري، 321/2، وفسّره: من الحوية وهي كل شيء ضمته إليك وحويته. واللوية وهي كل شيء خبأته ولويته إلى نفسك كأنه قيل ما ضمت إليك شيئاً ولا ادخرت. يضرب لمن يطلب الباطل.
- (297) مجمع الأمثال، الميداني، 311/2.
- (298) الأمثال، أبي عبيد القاسم، ص 390، وفسّره: قال يعني ما يغصّ أو يمضغ أو يقضم أو يتلمظ به.
- (299) جمهرة الأمثال، العسكري، 231/2، وفسّره: والقبال: الشسع، والزبال: ما تحمله النملة بفيها، والرزء: النقصان.
- (300) مجمع الأمثال، الميداني، 308/2، وفسّره: النقيز: النقرة في ظهر النواة، والفتيل: ما يكون في شق النواة، أي ما ظلمته شيئاً.
- (301) المصدر نفسه، 310/2، وفسّره: العبكة: القطعة من الثريد ويقال العبكة: شيء قليل من السمن تبقى في النحي.
- (302) من نثر الدر، الآبي، 109/4.
- (303) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 136/3.
- (304) مجمع الأمثال، الميداني 313/2.

— "ما حواه ولا لواه" (305)

فهنا جاءت (ما) نافية في الجملة الفعلية، من خلال العلاقة بين المسند والمسند إليه وهذا ما يندرج على جميع الأمثال السابقة.

3 — ليس: "ليس لنفي مضمون الجملة وذكر الأندلسي... خبر ليس إن لم يقيد بزمان يحمل على الحال، كما يحمل الإيجاب عليه في نحو زيد قائم، وإذا قيد بزمان من الأزمنة فهو على ما قيد به، وحكم ما كحكم ليس في كونها عند الإطلاق لنفي الحال، وعند التقييد على ما قيد به" (306). و(ليس) كلمة دالة على الحال، وتنفي غيره بالقرنية، وهي فعل لا يتصرف، وزنه فعل بالكسر ثم التزم تخفيفه، ولم ندره فعل بالفتح لأنه لا يخفف، ولا فعل بالضم لأنه لم يوجد في يائي العين إلا في هيؤ، وسمع لُست بضم اللام، فيكون على هذه اللغة كهؤ وزعم ابن السراج أنه حرف بمنزلة ما، وتابعه الفارسي في الحليات وابن شقير وجماعة والصواب الأول بدليل لست ولستم وليسوا وليست ولسن" (307)

وبغض النظر عن كون (ليس) حرفاً أم فعلاً يمكننا ملاحظة نفيها في الأمثال التالية:

— "ليس الشحم باللحم ولكن من قواصيه" (308)

— "ليس في التصنع تمتع ولا مع التكلف تطرف" (309)

— "ليس كل أوانٍ أطلب وأشرب" (310)

— "ليس المتعلق كالمتأنق" (311)

— "ليس المشير كالخبير" (312)

— "ليست بريشاء ولا عمشاء" (313)

(305) المصدر نفسه، 323/2. وفسره: الحوية: كل شيء ضمته إليك، واللوية: كل شيء خبأته.

(306) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 296/2.

(307) مغني اللبيب عن كتاب الأعراب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة و مطبعة محمد علي صبيح (د.ط. ود.ت.)، ص1/293.

(308) المستقصى، الزمخشري، 304/2.

(309) مجمع الأمثال، الميداني، 270/2.

(310) جمهرة الأمثال، العسكري، 165/1. أي لست أجد كل أوانٍ حلوبة أحلبها وأشرب لبنها، فليس ينبغي أن أضيعها، يضرب للمنع.

(311) المستقصى، الزمخشري، 304/2. وفسره: أي ليس القانع بالعلقة وهي البلغة كالذي يتحيز الشيء ويتنوق به.

(312) مجمع الأمثال، الميداني، 270/2.

(313) مجمع الأمثال، الميداني، 187/2.

— "لست إلى تكذابك وتأتأمك شولان البروق" (314)

— "لست بخلافة بنجاة" (315)

فهنا نلاحظ مجيء (ليس) في جميع الأمثال السابقة وقد أفادت معنى النفي وهي مختصة بالأسماء كما رأينا ولا علاقة لها بالأفعال.

4 — لم: لم تدخل على الأفعال المضارعة، واللفظ لفظ المضارع والمعنى معنى الماضي، تقول: لم يقد زيدٌ أمس (316)

و"التقييد بالنفي يكون لسلب النسبة على وجه مخصوص مما تفيدته أحرف النفي السبعة وهي لا، وما، ولات، ولن، ولم، ولما (فلا) للنفي مطلقاً و(ما وإن، لات) وهي لنفي الحال إن دخلت على المضارع و(لن) لنفي الاستقبال و(لم ولما) لنفي الماضي إلا أنه بلما ينسحب إلى ما بعد زمن التكلم ويختص بالمتوقع" (317) وقد جاءت (لم) في الأمثال التالية وقد أفادت معنى النفي:

— "لم يكن وماق ففراق" (318)

— "لم يفت من لم يمت" (319)

— "لم تفاتي فهاتي" (320)

فهنا نرى مجيء (لم) نافية في الأمثال السابقة وقد دخلت على الفعل وهو بصيغة المضارع وأفادت نفيه في الماضي.

وبعد هذا العرض يمكننا ملاحظة النتائج التالية:

1 — أكثر أدوات النفي استخداماً في الجملة الاسمية هي الأداة ما في حين كانت الأداة لا أكثر الأدوات استخداماً في الجملة الفعلية وهذا ما يمكن تفسيره أيضاً ضمن نطاق الخفة والاقتصاد في الكلام لما تتمتع به ما ولا من مدٍ وخفة لا نراها في أية أداة أخرى.

(314) المستقصى، الزمخشري 2/281، وقال: هي الناقاة التي تشوك بذنبها وليست بلاقح والتأتأم بمعنى الكذب والإثم، يضرب في ذم الكلام الكثير وما فيه من الكذب والإثم الذي لا يكاد يخلو منه.

(315) مجمع الأمثال، الميداني، 2/175.

(316) الأصول في النحو، ابن السراج، ص 157.

(317) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، السيد أحمد الهاشمي، ص 137.

(318) المستقصى، الزمخشري، 1/375.

(319) مجمع الأمثال، الميداني، 2/270، هذا من كلام أكنم بن صيفي يقول: من مات فهو الفائت حقيقة.

(320) المصدر نفسه، 2/191. أي إن لم يفتك ما تطالبين فهاتي ما عندك، أي استقبلي الأمر فإنه لم يفتك.

2 — أكثر أدوات النفي استخداماً في الأمثال المدروسة كما (من حيث الكم) هي الأداة (ما) في حين احتلت الأداة (لا) المرتبة الثانية، وهذا ما يمكن تفسيره أيضاً بميل السلف إلى أداء المثل بأيسر الطرق والأساليب وأخفها على اللسان، وهو ما تمتع به أصوات الذلاقة والمد على حد سواء، فأصوات الذلاقة هي: اللام والنون إلى جانب الفاء والباء والميم، ففي صفة الذلاقة عموم لاشتغالها على الحروف الذلقية مخرجاً وصفة، وعلى بعض الحروف الشفوية صفة، وهي تتصف بالخفة والسهولة سواء أكانت خارجة من ذلق اللسان أم من ذلق الشفة⁽³²¹⁾.

(321) المدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدور، ص 123.

رابعاً: أسلوب الشرط:

أسلوب الشرط من الأساليب التي كثر استعمالها في الأمثال العربية المدروسة إلى جانب الأساليب السابقة، وسنحاول في هذه الدراسة التعرف على هذا الأسلوب، ومن خلال تجلياته في الأمثال المدروسة.

"لم يستخدم النحاة كلمة الشرط مصطلحاً نحوياً في بدايات البحث النحوي واستخدموا بدلاً منها مصطلح جزاء ومجازاة وجازوا وهو يعني إمّا الجزم وإمّا الربط والتعليق وإمّا السببية ولم يستخدم سيبويه كلمة الشرط في الكتاب قط"⁽³²²⁾. فقد أشار سيبويه إلى أنّ الجزاء يفيد تعلّق الجواب بالشرط تعلّقاً لا غنى عنه، فلا يتحقق الثاني إلاّ إذا تحقّق الأول قال: "إنّما انجزم جواب إن تأتني بأن تأتني لأنهم جعلوه معلقاً بالأول غير مستغنٍ عنه إذا أرادوا الجزاء، كما أنّ تأتني غير مستغنية عن آتاك"⁽³²³⁾.

ويقول في موضع آخر: "وسألت الخليل عن قوله جلّ وعزّ: "وإنّ تصبهم سيئة بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون"⁽³²⁴⁾ فقال: هذا كلامٌ معلقٌ بالكلام الأول كما كانت الفاء معلقةً بالكلام الأول"⁽³²⁵⁾.

وجعل سيبويه أساس الربط والتعليق بين فعل الشرط وجوابه سببيّ حيث قال: "الذي يأتيني فله درهمان، حيث جعل الثاني جواباً للأول، وجعل الأول به يجب له درهمان، فدخلت الفاء ها هنا... وإنما أدخل الفاء لتكون العطية مع وقوع الإتيان فإذا قال: له درهمان، فقد يكون أن لا يوجب له ذلك بالإتيان، فإذا أدخل الفاء فإنما يجعل الإتيان سبب ذلك"⁽³²⁶⁾.

في أسلوب الشرط: "لا بُدّ للشرط من جواب وإلاّ لم يتمّ الكلام، وهو نظير المبتدأ الذي لا بُدّ له من خبر، ألا ترى أنّك لو قلت "زيدٌ" لم يكن كلاماً، يقال فيه صدقٌ ولا كذبٌ، فإذا قلت: منطلقٌ تمّ الكلام، فلا بدّ لشرط الجزاء من جواب والجواب يكون على ضربين بالفعل، ويكون بالفاء"⁽³²⁷⁾، "كلمة الشرط ما يطلب جملتين، يلزم من وجود مضمون أو لاهما فرضاً حصول مضمون الثانية، فالمضمون الأول مفروض ملزوم، و الثاني لازمه، فهذا المفروض وجوده قد يكون في الماضي، فإن كان مع قطع المتكلم بعدمه فيه استعمل لازمه فيه، فالكلمة الموضوعية له (لو) وإن لم يكن مع قطع المتكلم بعدمه

(322) أسلوب الشرط بين النظرية والتطبيق، إبراهيم محسن، إشراف: مصطفى جطل رسالة ماجستير جامعة تشرين 1986 م، ص 2.

(323) الكتاب، سيبويه، 93/3.

(324) سورة الروم، الآية 36.

(325) الكتاب، سيبويه، 67/3.

(326) المصدر نفسه، 102/3.

(327) الأصول في النحو، ابن السراج 158/2.

فيه، استعمل فيه (إن) لا على أنها موضوعة له كما يجيء، فلهذا كان (لو) لانتقاء الأول لانتقاء الثاني كما يجيء في حروف الشرط؛ لأن مضمون جوابه المعدوم لازم لمضمون شرطه و بانتقاء اللازم ينتفي الملزوم⁽³²⁸⁾، "ينهض التركيب الشرطي على ثلاثة أركان: أداة الشرط وفعله وجوابه، ولا يمكن أن يكتمل هذا التركيب إلاً باكتمال هذه المحاور كلها فإن حذف واحد أو اثنان فبقريئة تدل عليهما، ويرتبط معنى الجواب بمعنى الفعل من خلال التلازم الذي فرضته بينهما أداة الشرط، يبقى تحقق الجواب مقيداً بتحقق الفعل الشرطي، أي العملية الإسنادية في الجواب مشروطة ومقيدة بتحقق العملية الإسنادية في الفعل الشرط"⁽³²⁹⁾

"التقييد بالشرط يكون للأغراض التي تؤديها معاني أدوات الشرط- كالزمان في (متى وأيان)، والمكان في (أين وأنى و حيثما)، والحال في (كيفما)، و استيفاء ذلك و تحقيق الفرق بين تلك الأدوات يُذكر في علم النحو"⁽³³⁰⁾

ولجملة الشرط نظام خاص، وذلك أن تنصّر أداة الشرط، وتليها عبارة الشرط أو فعل الشرط، ثم عبارة الجواب أو الجزاء، وقد يتغير هذا النظام بتقديم عبارة الجواب على أداة الشرط وفعله، وهو ما سنعرض له فيما سيقدم، وأسلوب الشرط له أدوات التي ينجزم بعدها فعل الشرط وجوابه أو لا ينجزمان، بمعنى أن هناك أدوات شرط جازمة، وأدوات شرط غير جازمة، وسنحاول فيما يلي استعراض هذه الأدوات في الأمثال المدروسة بنوعيتها الجازمة وغير الجازمة، أما أدوات الشرط الجازمة فهي:

1 - إن: وهي حرفٌ وزعم الخليل أن إن هي أم حروف الجزاء، لأن أدوات الشرط قد تنصرف إلى غير الشرط كالاستفهام والظرف والموصول.. ومنها ما يحتاج إلى (ما) حتى يصير شرطاً وهي لا تخرج عن الشرط⁽³³¹⁾.

و"الأصل عدم قطع المتكلم بوقوع الشرط في المستقبل مع (إن) ومن ثم كثر أن تستعمل إن في الأحوال التي يندر وقوعها ووجب أن يتلوها لفظ المضارع لاحتمال الشك في وقوعه"⁽³³²⁾

(328) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 108/2.

(329) الطاقات الجمالية للجملة الشرطية، لؤي علي خليل، ص 103، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، س 23، ع 276 نيسان 1994 م.

(330) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص 132.

(331) الكتاب، سيبويه، 63/3 بتصرف.

(332) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، السيد أحمد الهاشمي، ص 133.

"وَحَقَّ (إِنْ) فِي الْجَزَاءِ أَنْ يَلِيَهَا الْمُسْتَقْبَلُ مِنَ الْفِعْلِ، لِأَنَّكَ إِنَّمَا تَشْتَرِطُ فِيمَا يَأْتِي، أَنْ يَقَعَ شَيْءٌ لَوْ قَوَّعَ غَيْرُهُ، وَإِنْ وَلِيَهَا فِعْلٌ مَاضٍ أَحَالَتْ مَعْنَاهُ إِلَى الْإِسْتِقْبَالِ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: إِنْ قَمْتُ قَمْتُ، إِنَّمَا الْمَعْنَى: إِنْ تَقَمَّ أَقَمَّ (فَإِنْ) تَجْعَلَ الْمَاضِي مُسْتَقْبَلًا"⁽³³³⁾

وَقَدْ جَاءَتْ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةُ، وَأَفَادَتْ مَعْنَى الشَّرْطِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِمْ:

— "إِنْ رَمَتْ الْمَحَاجِرَةَ فَقَبِلَ الْمَنَاجِرَةَ"⁽³³⁴⁾

— "إِنْ لَمْ يَكُنْ وَفَاقَ فَفَرَّاقٌ"⁽³³⁵⁾

— "إِنْ لَمْ تَغْلِبْ فَاخْلُبْ"⁽³³⁶⁾

— "إِلَّا حَظِيَّةٌ فَلَا أَلِيَّةٌ"⁽³³⁷⁾

فَهُنَا نَلْحِظُ مَجِيءَ (إِنْ) وَقَدْ أَفَادَتْ مَعْنَى الشَّرْطِ وَدَخَلَتْ عَلَى الْمَاضِي وَالْمُضَارِعِ، وَدَخَلَهَا عَلَى الْمَاضِي جَعَلَهَا تَخْلُصُ مَعْنَاهُ لِلْمُسْتَقْبَلِ لِأَنَّ الشَّرْطَ يَكُونُ فِيمَا يَأْتِي.

وَهُنَا نَلْحِظُ اتِّفَاقَ عِبَارَتِي الشَّرْطِ وَالْجَوَابِ فِي الصِّيغَةِ فَجَاءَ فِعْلُ الشَّرْطِ وَجَوَابُهُ مَاضِيَيْنِ فَقَدْ ارْتَبَطَ الْجَوَابُ بِالْفِعْلِ مِنْ خِلَالِ التَّلَازُمِ الَّذِي أَوْجَدْتَهُ بَيْنَهُمَا أَدَاةَ الشَّرْطِ، وَتَحَقَّقَ الْجَوَابُ كَمَا رَأَيْنَا مَرَهُونَ بِتَحَقُّقِ الْفِعْلِ الشَّرْطِيِّ، وَبِدُونِ الْجَوَابِ هُنَا لَنْ يَتِمَّ الْكَلَامُ وَلَنْ يُفْهَمَ الْمَعْنَى.

2 — مَنْ: وَهُوَ اسْمُ شَرْطٍ لِلْعَاقِلِ وَيَكُونُ اسْمُ اسْتِفْهَامٍ وَاسْمُ مَوْصُولٍ لِلْعَاقِلِ⁽³³⁸⁾.

و"اعْلَمْ أَنَّ لِحَرْفِ الْجَزَاءِ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ، حَالٌ يَظْهَرُ فِيهَا، وَحَالٌ يَقَعُ مَوْقِعُهُ اسْمٌ يَقُومُ مَقَامَهُ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَظْهَرَ مَعَهُ، وَالثَّالِثُ أَنْ يَحْذَفَ مَعَ مَا عَمَلَ فِيهِ، وَيَكُونُ فِي الْكَلَامِ دَلِيلٌ عَلَيْهِ، فَأَمَّا الثَّانِي: فَأَنَّ يَقَعُ مَوْقِعَ حَرْفِ الْجَزَاءِ اسْمٌ، وَالْأَسْمَاءُ الَّتِي تَقَعُ مَوْقِعُهُ عَلَى حَزْبَيْنِ: اسْمٌ غَيْرُ ظَرْفٍ وَاسْمٌ ظَرْفٌ، فَالْأَسْمَاءُ الَّتِي هِيَ غَيْرُ الظَّرُوفِ مَنْ تَكْرُمُ أَكْرَمَ، وَكَانَ الْأَصْلُ: إِنْ تَكْرُمَ زَيْدًا وَ أَشْبَاهُ زَيْدٍ أَكْرَمَ، فَوَقَعَتْ (مَنْ) لَمَّا يَعْقَلُ، كَمَا وَقَعَتْ (مَنْ) فِي الْاسْتِفْهَامِ مَبْهَمَةً لَمَّا فِي ذَلِكَ الْحِكْمَةِ"⁽³³⁹⁾ وَكَذَلِكَ "أَجْمَعَ النِّحَاةَ عَلَى أَنَّ مِنْ اسْمِ شَرْطٍ مُتَضَمِّنٌ مَعْنَى إِنْ، وَعَمَلُهَا الْجَزْمُ كَسَائِرِ أَدَوَاتِ الشَّرْطِ، وَذَلِكَ لِتَضَمُّنِهَا مَعْنَى حَرْفِ الشَّرْطِ الْجَازِمِ إِنْ، فَتُسْتَدْعِي فَعْلَيْنِ بَعْدَهَا ثَانِيَهُمَا مَرَّتَبَ عَلَى الْأَوَّلِ وَمَتَوَقَّفَ عَلَيْهِ وَلَمَّا بَيْنَ

(333) الْأَصُولُ فِي النَحْوِ، ابْنُ السَّرَاجِ، ص 158/2.

(334) الْأَمْثَالُ، أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ 216، وَقَالَ: وَمِنْهَا قَوْلُهُمْ: التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّتَدُّمِ أَيَّ فَا نَجُ بِنَفْسِكَ قَبْلَ لِقَاءِ مَا لَا قَوَامَ لَكَ بِهِ.

(335) مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ، الْمِيدَانِي 70/1.

(336) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، 48/1.

(337) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، 29/1.

(338) الْكِتَابُ، سَبِيوِيَه، 56/3.

(339) الْأَصُولُ فِي النَحْوِ، ابْنُ السَّرَاجِ، 159/2.

هذين الفعلين من شدة ارتباط صيرتهما بمنزلة الفعل الواحد وجزمتهما، والصحيح الذي عليه جلّ النحويين أنّ من هي الجازمة لشرطها وجوابها⁽³⁴⁰⁾.

وقد جاءت (مَنْ) وقد أفادت معنى الشرط واستخدمت لما يعقل في مثل قولهم:

- "من أكثر أهجر"⁽³⁴¹⁾
- "من اشترى اشتوى"⁽³⁴²⁾
- "من احترف اعتلف"⁽³⁴³⁾
- "من جال نال"⁽³⁴⁴⁾
- "من جاع باع"⁽³⁴⁵⁾
- "من حفنا أورفنا فليقتصد"⁽³⁴⁶⁾
- "من حفنا أورفنا فليترك"⁽³⁴⁷⁾
- "من حبّ طبّ"⁽³⁴⁸⁾
- "من خان هان"⁽³⁴⁹⁾
- "من رفق رتق ومن خرق حرق"⁽³⁵⁰⁾
- "من سعى رعى"⁽³⁵¹⁾

(340) أسلوب الشرط بين النحويين والأصوليين، ناصر بن محمد بن ناصر كريري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سلسلة مشروع وزارة التعليم لنشر ألف رسالة علمية، (د.ط) 2004، ص 74.

(341) مجمع الأمثال، الميداني، 329/2، الهجر: الاسم من الإهجار وهو الإفحاش.

(342) المصدر نفسه، 343/2.

(343) المصدر نفسه، 371/2.

(344) المصدر نفسه، 371/2، وفي لسان العرب مادة جال 371/2، التجوال: التطواف، ونال 683/11: النوال: العطاء.

(345) من نثر الدر، الأبي، 63/3.

(346) المصدر نفسه، 344/2.

(347) المصدر نفسه، 344/2.

(348) المصدر نفسه، 335/2، وفسره: الطب: الحذق. أي من أحبّ فطن واحتال لمن يحبّ.

(349) المصدر نفسه، 67/3.

(350) مجمع الأمثال، الميداني، 373/2، وفي لسان العرب مادة رفق 118/10 الرفق: ضد العنف، ورتق 114/10 الرتق: ضد الفتق.

(351) المصدر نفسه، 371/2، وفي لسان العرب مادة سعا 385/14 السعي: الكسب، ورعا 325/14. الراعي يرعى الماشية أي يحفظها.

— "من عير عير" (352)

— "من عزّ بز" (353)

— "من غاب خاب" (354)

— "من غلب سلب" (355)

— "من قلّ ذلّ و من أمر فلّ" (356)

— "من قنع فنع ومن قنع شبع" (357)

— "من لا يهلك فلا يهلك" (358)

— "من لا حاك فقد عاداك" (359)

— "من كان محاسينا أو مواسينا فليتفر" (360)

— "من يجع يجشع ومن يسغب يشغب" (361)

— "من بدا فقد جفا" (362)

فهنا نلاحظ مجيء (من) وقد دلت على العاقلين وأفادت معنى الشرط، ونلاحظ كذلك ارتباط جملة الجواب بفعل الشرط من خلال التلازم الذي أوجدته بينهما من والشيء الملحوظ كذلك الإيجاز

(352) مجمع الأمثال، الميداني، 369/2 في لسان العرب مادة عير 625/4 تعابير القوم: عير بعضهم بعضاً، والمعايير: المعايب.

(353) المصدر نفسه، 341/2.

(354) المصدر نفسه، 376/2.

(355) المصدر نفسه، 371/2.

(356) المصدر نفسه، 345/2، أي من قل أنصاره غلب ومن كثر أقرباؤه قل أعداؤه.

(357) من نثر الدر، الآبي، 145/4، وفسّره: فنع أي استغنى. وفي لسان العرب مادة قنع 297/8 قنع بنفسه قنعاً وقناعةً: رضي.

(358) جمهرة الأمثال، العسكري، 434/1.

(359) المصدر نفسه، 188/2، وفسّره: الملاحة: الملاومة وأصله من قولهم: لحوت العود إذا قشّرتة.

(360) مجمع الأمثال، الميداني، 360/2.

(361) المصدر نفسه، 371/2 في لسان العرب مادة جشع 49/8 الجشع: الجزع لفراق الإلف. مادة سغب 468/1 رجل

ساغب لا غب: جوعان أو عطشان، مادة شغب 504/1 الشغب: تهيج الشرّ.

(362) المستقصى، الزمخشري، 354/2.

والاختصار في المثل وقصر عبارتي الشرط والجواب فهي لا تتعدّ الأداة والفعل والجواب وفي ذلك يقول أحدهم:

"من الجدير ذكره عن التركيب الشرطي أنه يُستخدم بكثرة في إطار الحكمة فمراد الحكمة أن تقدّم معنىً ثرياً في تركيب لغوي بسيط لتكون قريبة إلى الذهن سهلة الفهم"⁽³⁶³⁾، وهنا نرى أن المثل يقال في مقام يتطلّب تكثيف المعنى في تركيب لغوي بسيط ، ليكون قريباً من فهم السامع، وكذلك يحمل من الحكمة الشيء الكثير، فالأمثال في مجملها تتدرج تحت الحكمة والموعظة وهذا ما جعل القائل يوجز في المثل المركّب بصيغة الشرط. وفي ذلك يقول أحدهم: "إنّ طبيعة المثل الحكمي التي تهدف عن طريق كشف حقائق الأشياء إلى الوعظ والإرشاد كانت تميل إلى تقديم المعنى الحكمي في بناء محاييد عام يفرّغ من التوجيه المباشر إلى متلقٍ، وترى في هذا تأثيراً أعظم من تأثير الأمر والنهي المباشرين اللذين قلّ ورودهما"⁽³⁶⁴⁾

3 - حيثما: "الظروف التي يجازى بها: متى وأين وأنى، وأي حين، وحيثما، إنما، ولا يجازى بحيث وإذ حتى يُضم إليهما (ما) تصير مع كل واحد منهما بمنزلة حرف واحد فتقول إذا جازيت حيثما تذهب أذهب"⁽³⁶⁵⁾.

و"منع حيث أن يجازى بها أنك تقول: حيث تكون أكون، فتكون وصل لها، كأنك قلت: المكان الذي تكون فيه أكون ويبيّن هذا أنّها في الخبر بمنزلة إنّما وكأنّما وإذا يُبتدأ بعدها الأسماء، أنك تقول: حيث عبد الله قائمٌ زيدٌ، وأكون حيث زيدٌ قائمٌ، فحيث كهذه الحروف التي تُبتدأ بعدها الأسماء في الخبر ولا يكون هذا من حروف الجزاء. فإذا ضمنت إليها ما صارت بمنزلة إنّ وما أشبهها، ولم يجز فيها ما جاز فيها قبل أن تجيء بما، وصارت بمنزلة إمّا"⁽³⁶⁶⁾.

أي أنّ حيث لا تأتي للشرط، لأنها جعلت بمنزلة إنّما وكأنّما وإذا يُبتدأ بعدها الأسماء وإذا دخلت ما عليها صارت بمنزلة إنّ وصحّ فيها الجزاء. وقد جاءت في قولهم: "حيثما سقط لقط"⁽³⁶⁷⁾.

فهنا نلاحظ مجيء حيثما وقد أفادت معنى الشرط وفرضت التلازم بين فعل الشرط وجوابه، فتحقّق الجواب مرهون بتحقيق الفعل.

(363) الطاقات الجمالية للجملة الشرطية ، لؤي علي خليل ، الموقف الأدبي ص 114.

(364) الأمثال العربية القديمة، محمد جمال صقر، ص 96.

(365) الأصول في النحو، ابن السراج، 1/159.

(366) الكتاب، سيبويه، 3/58.

(367) مجمع الأمثال، الميداني، 1/320، يضرب للمحتال.

وبعد هذا العرض لأدوات الشرط الجازمة الشائعة في الأمثال نلاحظ مجيء الجواب في بعض الأمثال وقد اقترن بالفاء وفي بعضها الآخر جاء الجواب مجرداً من الفاء وفي ذلك يقول أحد الباحثين: "إذا لم يصلح جواب الشرط للجزم، وجب اقترانه بفاء تربط جملة بفعل الشرط وتكون الجملة بعدها في محل جزم جواباً للشرط، ومواضع الفاء معروفة مشهورة نظمها بعضهم بقوله: اسمية طلبية وبجامدٍ وبما ولن وقد وبالنتفيس" (368)

و"كل جواب يمتنع جعله شرطاً فإن الفاء تجب فيه، وذلك الجملة الاسمية، والطلبية، والتي فعلها جامد، أو مقرون بقد، أو تنفيس، أو لن، أو ما" (369)

أمّا الأمثال التي اقترن جواب الشرط فيها بالفاء فيمكن تفسيره على النحو الآتي، وقد رأينا الفاء الرابطة في جواب الشرط في قولهم: — "من لا يعلك فلا يهلك"، "من حَفْنَا أَوْ رَفْنَا فليقتصد"، "من حَفْنَا أَوْ رَفْنَا فليترك"، "من كان محاسينا أو مواسينا فليتفر"، يقول أحد الباحثين: "إنّ الجواب الذي لا يؤثر فيه حرف الشرط معنى الاستقبال المفروض له يربط بالفاء السببية لتدلّ على كونه جواباً، وذلك يكون في الفعل الطلبي، والجامد، والجملة الاسمية، وفي الفعل المنفي بلن أو ما أو إن، والمقرون بالسين أو سوف أو قد؛ وذلك أمّا في الفعل الطلبي والمنفي بلن والمقرون بالسين أو سوف فلأنه متعين للاستقبال فلا تؤثر فيه أداة الشرط استقبلاً آخر، وأمّا في الجامد، والجملة الاسمية، والفعل المنفي بما أو إن فلأنّ هذه المذكورات لا يمكن أن تسلط الأداة على لفظها فلا تؤثر في معناها، وذلك أمّا في الجامد والجملة الاسمية فظاهر، وأمّا في المنفي بما وإن فلأنّ الأولى لها صدر الكلام بالاتفاق، وكذلك الثانية في الصحيح فلا تتخطاهما الأداة إلى ما بعدهما، ولذلك يبقى الماضي بعدهما على مضيه والمضارع على تعينه للحال، وأمّا في الفعل المقترن بقد فلأنّها تجعل الماضي متحقق الماضي، فلا يمكن صرفه إلى الاستقبال، وتفيد التقليل في المضارع وهو من معاني الإنشاء فيشبه الأفعال الطلبية" (370).

و"إذا لم تصل أدوات الشرط بالجزم إلى الجواب لفظاً أو محلاً قامت الفاء بوظيفة الربط بين فعلي الشرط والجواب ومحلّه الجزم" (371) ولم يذكر سيبويه في الأمثلة التي أوردتها من ارتباط جملة جواب الشرط بالفاء سوى الجملة الاسمية قال: "أمّا الجواب بالفاء فقولك: إن تأنّتي فأنا صاحبك" (372).

"وإنما اختيرت الفاء دون غيرها لأنها تختصّ بمعنى لا يوجد في غيرها من حروف العطف، وهذا المعنى هو التعقيب والإتباع أي أنّ الثاني يقع بعد الأول من غير مهلة أو تراخٍ فناسب معناها

(368) مذكرات في قواعد اللغة العربية، سعيد الأفغاني، مطبعة جامعة دمشق، ط 3، 1960، ص 47.

(369) أوضح المسالك، ابن هشام، 113/4 - 114.

(370) محقق كتاب أوضح المسالك، ابن هشام، 117/3.

(371) أسلوب الشرط بين النظرية والتطبيق، إبراهيم محسن، ص 81.

(372) الكتاب، سيبويه، 63/3.

معنى الجزاء لأنه يقع بعد الشرط، ومرتّب عليه، وهذا المعنى لا يوجد إلّا في الفاء، ولا يجوز الربط بغيرها⁽³⁷³⁾. وفي ذلك يقول سيبويه: "ولو أدخلت الواو وثمّ في هذا الموضع تريد الجواب لم يجز"⁽³⁷⁴⁾ وأمّا الأمثال التي وقع الجواب فيها مجرداً من الفاء الرابطة كما في قولهم: "من يجع يشجع ومن يسغب يشغب" فيمكننا تفسيره كالآتي: لا يجوز أن تحذف الفاء الرابطة إلّا في الضرورة الشعرية نحو: إن تأتني أنا كريم فقال أي الخليل: "لا يكون هذا إلّا أن يضطر شاعر"⁽³⁷⁵⁾ والأمثال هنا كالشعر ولذلك جاز فيها ما جاز في الشعر من حذف للفاء الرابطة. يقول أحدهم: "الأمثال كالشعر، يتحملان الضرورات، ويتسامح فيهما ما لا يُتسامح في غيرهما من الكلام"⁽³⁷⁶⁾.

وأما أدوات الشرط غي الجازمة فقد تجلّت في الأمثال من خلال الأدوات التالية:

1 - إذا: وجاء في كتاب سيبويه: "وسألته عن إذا (أي الخليل) ما منعهم أن يجازوا بها؟ فقال: الفعل في إذا بمنزلة في إذ، إذا قلت: أتذكرُ إذ تقولُ، فإذا فيما تستقبل بمنزلة إذ فيما مضى، ويبيّن هذا أن إذا تجيء وقتاً معلوماً، ألا ترى أنك لو قلت: أتيتك إذا احمرّ البُسر كان حسناً، ولو قلت: أتيتك إن احمرّ البُسر، كان قبيحاً، فإن أبداً مبهمه، وكذلك حروف الجزاء، وإذا توصل بالفعل"⁽³⁷⁷⁾ ويقول آخر: هي للمستقبل، وفيها معنى الشرط، فلذلك اختير بعدها الفعل... والأصل في استعمال (إذا)، أن تكون لزمان من أزمنة المستقبل، مختص من بينها بوقوع حدث فيه، مقطوع بوقوعه في اعتقاد المتكلم⁽³⁷⁸⁾.
و"تستعمل (إذا) بحسب أصلها في كل ما يقطع المتكلم بوقوعه في المستقبل، ومن أجل هذا لا تستعمل (إذا) إلّا في الأحوال الكثيرة الوقوع، ويتلوها الماضي لدلالته على الوقوع قطعاً"⁽³⁷⁹⁾.

وقد جاءت إذا في قولهم:

— "إذا أردت المحاجزة فقبل المناجزة"⁽³⁸⁰⁾

— "إذا أخصب الزمان جاء الغاوي والهاوي"⁽³⁸¹⁾

(373) أسلوب الشرط بين النحويين والأصوليين، ناصر بن محمد بن ناصر كيري، ص 96.

(374) الكتاب، سيبويه، 63/3.

(375) المصدر نفسه، 64/3.

(376) الأمثال العربية، د. عبد المجيد قطامش، ص 208.

(377) الكتاب، سيبويه، 60/3.

(378) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 108/2.

(379) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص 133.

(380) جمهرة الأمثال، العسكري، 77/1، المحاجزة: من قولهم حزت بين الشئين، والمناجزة: سرعة القتال ويضرب

في تعجيل الفرار مما لا طاقة لك به.

(381) مجمع الأمثال، الميداني، 92/1.

— "إذا احتاجَّ الرِّقُّ إلى الفلك فقد هلك" (382)

— "إذا جاء الحين غطى العين" (383)

— "إذا جاء الحين حار العين" (384)

— "إذا طلع سهيلٌ على أثباجها فلا تسأل بلقاحها ونتاجها" (385)

— "إذا لم تغلب فاخلب" (386)

— "إذا لم تسمع فألمع" (387)

— "إذا نزل الحين نزل بين الأذن والعين" (388)

— "إذا وقى الرجل شرَّ لقلقه وقبقه وذنبه فقد وقى الشرَّ كلّهُ" (389)

فهنا نرى مجيء (إذا) وقد أفادت معنى الشرط وقد جاء بعدها الماضي في الغالبية العظمى من الأمثال لدلالته على الوقوع، فهي تستخدم في كل ما يقطع المتكلم بوقوعه في المستقبل.

2 — لو: وهي لما كان سيقع لوقوع غيره وكان بعض العرب يهمز فيقول لوء⁽³⁹⁰⁾ ولو المستعملة في نحو "لو جاعني لأكرمته" تفيد ثلاثة أمور: أحدهما: الشرطية، أي عقد المسببية والسببية بين الجملتين بعدها والثاني: تفيد الشرطية بالزمن الماضي، وبهذا الوجه وما يذكر بعده فارقت إن، فإن تلك لعقد السببية والمسببية في المستقبل، ولهذا قالوا: الشرط بأن سابق على الشرط بلو، وذلك لأن الزمن المستقبل سابق على الزمن الماضي. والثالث: الامتناع وقد اختلف النحاة في إفادتها له وكيفية إفادتها إياه. (391)

(382) مجمع الأمثال، الميداني، 121/1، الفلك: جمع فلكة. يضرب للكبير يحتاج إلى الصغير.

(383) الأمثال لأبي عبيد القاسم، 326.

(384) جمهرة الأمثال، العسكري، 106/1.

(385) الأمثال، السدوسي، 79، وقال: وذلك أشد ما يكون ارتفاعاً في السماء وثبج كل شيء ظهره.

(386) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 105/3، وفسره: إذا لم تغلب فاخذع ودار والطف، يضرب في مداراة الناس.

(387) مجمع الأمثال، الميداني، 107/1، أي إن عجزت عن الأسماء لم تعجز عن الإشارة.

(388) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 77/3.

(389) المستقصى، الزمخشري، 129/1.

(390) الكتاب، سيبويه، 262/3.

(391) مغني اللبيب، ابن هشام، ص 255، بتصرف.

و" (لو) تفيد انتفاء الشيء بسبب انتفاء غيره في الماضي مع القطع بانتفاء الوقوع ويجب كون جملتيها فعليتين ماضيتين نحو: لو أتقنت عملك لبلغت أملك، وتُسمى (لو) حرف امتناع لامتناع⁽³⁹²⁾ ويقول آخر: لو معناها إفادة الشرطية وأنّ هذه الشرطية لم تتحقق في الزمن الماضي فقد امتنع وقوعها فيه، إفادتها الشرطية تقتضي تعليق شيء على آخر، وهذا التعليق يستلزم حتماً أن يقع بعدها جملتين بينهما نوع ترابط واتصال معنوي، يغلب أن يكون هو السببية في الجملة الأولى والمسببية في الجملة الثانية، وإفادتها امتناع المعنى الشرطي في الزمن الماضي تقتضي أن شرطها لم يقع فيما مضى فهي تفيد القطع بأن معناه لم يحصل، كما تفيد أن تعليق الجواب عليه كان في الزمن الماضي أيضاً على خلاف المعهود في التعليق بالأدوات الشرطية الجازمة، حيث يتعين الاستقبال في شرطها وجوابها معاً، ويترتب على امتناع الشرط هنا امتناع جوابه تبعاً له⁽³⁹³⁾، وتختص لو مطلقاً بالفعل، ويجوز أن يليها قليلاً اسم معمول لفعل محذوف يفسره ما بعده.. وجواب لو إما ماضٍ معنٍ وهو إما مثبت فاقتراانه باللام أكثر من تركها، وإما منفي فالأمر بالعكس، وقد تجاب بجملة اسمية⁽³⁹⁴⁾

وقد جاءت (لو) في مثل قولهم:

— "لو تكاشفتُم ما تدافعتم" ⁽³⁹⁵⁾

فهنا نرى مجيء لو وقد أفادت معنى الشرط، فقد تعلقت المدافعة على المكاشفة في المثل السابق، وهذا التعليق استلزم مجيء جملتي الشرط والجواب بعدها مترابطتين فالسببية هي التي ربطت الجملة الأولى بالمسببية في الجملة الثانية.

3 — لَمَّا: وهي للأمر الذي قد وقع لوقوع غيره، وهي لابتداء الجواب. ⁽³⁹⁶⁾

و"تدلّ لَمَّا على الزمن الماضي الواقع ويشير السياق لـ لَمَّا أن جوابها قد وقع بوقوع الشرط من دون مهلة ولم تخرج عن هذا المعنى أبداً كما لم يقع بعدها إلاّ الفعل الماضي". ⁽³⁹⁷⁾

و"لم ولَمَّا يشتركان في الحرفية، والنفي، والجزم، والقلب للمضي، وتتفرد بمصاحبة الشرط، وبجواز انقطاع نفي منفيها، وامتنع في (لَمَّا)، وتتفرد (لَمَّا) بجواز حذف مجزومها كـ "قاربت المدينة ولَمَّا" أي ولما أدخلها"⁽³⁹⁸⁾ وقد جاءت (لَمَّا) في قولهم:

(392) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص 133.

(393) النحو الوافي، عباس حسن، ص 459 - 460، بتصرف.

(394) أوضح المسالك، ابن هشام 130/4.

(395) العقد الفريد، ابن عبد ربه 76/3، تكاشفتُم: تكشفوا عيوب بعضكم البعض.

(396) الكتاب، سيويه، 234/4 بتصرف.

(397) أسلوب الشرط بين النظرية والتطبيق، إبراهيم محسن، ص 160.

(398) أوضح المسالك، ابن هشام، 104/4.

— "أقصر لما أبصر"⁽³⁹⁹⁾

فهنا نلاحظ مجيء (لما) وقد أفادت معنى الشرط، وقد دخلت على الفعل الماضي واقتضت جملتين، وجدت إحداهما عند وجود الأخرى، ومن هنا سميت كذلك حرف وجود لوجود. وقد لاحظنا بعض الأمثال المدروسة التي تقدّم فيها ما هو بمنزلة جواب الشرط على الأداة والفعل.

وفي ذلك يقول أحدهم: "إن قلت: أقولُ مهما تقل، وأكونُ حيثما تكن، وأكون أين تكن، وأنتيك متى تأتني، وتلتبسُ بها أنى تأتها، لم يجز إلا في الشعر وكان جزماً".⁽⁴⁰⁰⁾

والأمثال كما أسلفنا كالشعر تتحمل الضرورات ولهذا جاز هذا التقديم فيها ومن ذلك قولهم:

— "قد أحزم لو أعزم"⁽⁴⁰¹⁾

فهنا نلاحظ تقدّم ما هو بمنزلة جواب الشرط على أداة الشرط وفعل الشرط في المعنى إذ التقدير لو أعزم فقد أحزم، ولم يكتفِ القائل بتقديم ما هو بمنزلة جواب الشرط على فعله والأداة، وإنما لجأ إلى حذف الفاء الرابطة لجواب الشرط (فقد) هنا سبقت الماضي فهي تدل على التحقيق وهذا يناقض معنى جملة الجواب التي تترتب على وقوع جملة الفعل وهنا كان لا بدّ من دخول الفاء الرابطة على قد. وكذلك قولهم:

— "أقصر لما أبصر"⁽⁴⁰²⁾

هنا كذلك نلاحظ تقديم ما هو بمنزلة الجواب على الأداة والفعل في المعنى والتقدير لما أبصر أقصر.

ولهذا التقديم دلالة في الجملة الشرطية يقول سيبويه: "وكأنهم يقدّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم"⁽⁴⁰³⁾ فهنا يتضح لنا من خلال هذا القول أنّ عماد الأمر في التقديم والتأخير هو الأهمية، والذي يحدّد الأهمية هو القائل، حيث يرتّب البناء الشرطي على نحو

(399) جمهرة الأمثال، العسكري، 161/1، يضرب مثلاً للراجع عن الذنب، والإقصار: الكف عن الشيء مع القدرة عليه والقصور العجز عنه.

(400) الكتاب، سيبويه، 71/3.

(401) مجمع الأمثال، الميداني، 64/2.

(402) جمهرة الأمثال، العسكري، 161/1.

(403) الكتاب، سيبويه، 34/1.

يتوافق مع مقاصده، والهدف من كل ذلك إثارة ذهن المتلقي وتشويقه⁽⁴⁰⁴⁾. وقد يكون للتقديم فائدة أخرى هي توكيد المعنى. وفي ذلك يقول أحدهم: "يكاد يكون تقديم ما هو بمنزلة الجواب ظاهرة في شعر هذيل... وقد وقع هذا التقديم لتوكيد المعنى"⁽⁴⁰⁵⁾.

وأما الحذف في الجملة الشرطية فقد جاء في الأداة في مثل قولهم:

— "لم يكن وماق ففراق"⁽⁴⁰⁶⁾

وهنا يتضح لنا من خلال تفسير قائل المثل أن المثل قيل بصيغة شرطية ولكن حذفت الأداة منه وبقي المعنى مفهوماً من خلال فعل الشرط والجواب، وكذلك اقتران الجواب بالفاء الرابطة وهو بالصيغة الاسمية، وأيضاً يؤكد حذف أداة الشرط هنا مجيء المثل برواية ثانية وقد اكتملت فيها عناصر الشرط الثلاثة وهي قولهم :

— "إن لم يكن وفاق ففراق"⁽⁴⁰⁷⁾

ولهذا الحذف دلالة في الجملة الشرطية ، فالحذف وقع في الأداة وفي الفاء الرابطة ولعلّ القائل أراد من ذلك أن يجعل المتلقي يبحث عن أركان الجملة الشرطية ويقدر المحذوف منها، وكأنّ الحذف وسيلة لإدخال المتلقي في قلب العملية اللغوية هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكننا أن ندرج هذا الحذف تحت الاقتصاد في الكلام والإيجاز والاختصار حتى ولو كان ذلك سيخرجه عن القواعد اللغوية وعن المؤلف في الجملة الشرطية. وفي ذلك يقول أحد الباحثين:

"الأصل في التركيب الشرطي الأداة ثم فعل ثم جواب، فأى تغيير يحدث لهذا الترتيب إنما يعد انزياحاً عن المؤلف من العبارة قد يقصد منه شحن المتلقي بطاقة من التشويق أو صب الاهتمام على أحدها بتقديمه، أو استفزاز المتلقي ودفعه إلى البحث والتفكير في حالة الحذف"⁽⁴⁰⁸⁾

الفريد في لغة الأمثال العربية:

من خلال دراستنا لمجموعة من الأمثال العربية، وجدنا انفرادها بشيوع صيغة الفعل الماضي فيها — ولاسيماً في الأسلوب الشرطي — إذا قورن بأمثال اللغات الأخرى. وفي ذلك يقول أحد

(404) الطاقات الجمالية للجملة الشرطية، لؤي علي خليل، ص 105، بتصرف.

(405) أسلوب الشرط بين النظرية والتطبيق، إبراهيم محسن، ص 170 — 173.

(406) المستقصى، الزمخشري، 375/1، أي إن لم يكن وماق فتعجيل الفراق والخلع أحسن من الطلاق.

(407) مجمع الأمثال، الميداني، 70/1.

(408) الطاقات الجمالية للجملة الشرطية، لؤي علي خليل، الموقف الأدبي، ص 109.

الباحثين: "معظم الأفعال في أمثال اللغات الأجنبية ترد بصيغة الأمر، وأقلّ من ذلك بصيغة المضارع أما ورود الفعل الماضي فحالة ينفرد بها المثل العربي دون غيره" (409)

ونذكر من ذلك قولهم:

— "إذا أخصب الزمان جاء الغاوي والهاوي" (410).

— "من خان هان" (411).

— "أقصرَ لما أبصر" (412).

— "إن رمت المحاجة فقبل المناجزة" (413).

وكذلك نذكر بعيداً عن التركيب الشرطي قولهم:

— "نزلتُ بين المجرة والمجرة" (414).

— "سعيه في خيَّاب بن هباب" (415).

— "أخبرته بعجري وبجري" (416).

— "ذهبت البليلة بالمليلة" (417).

ويفسّر أحدهم ورود صيغة الماضي في الأمثال العربية بقوله: "إنّ الفعل الماضي في المثل العربي يدلّ على أنّ واقعاً معيّناً قد سما إلى مرتبة المثل الأعلى، فالمثل العربي بهذه الصيغة ليس حكمة وليس دعوة إلى الحكمة، إنّهُ انبهارٌ أمام بهاء الواقع المتسامي وقصّة تهزّ النفس والأعماق،

(409) في سيكولوجيا الأمثال العربية، جورج صدقني، ص 14، مجلة المعرفة السورية، وزارة الثقافة والإرشاد

القومي، س 17، ع 204 شباط 1979.

(410) مجمع الأمثال، الميداني، 92/1.

(411) من نثر الدر، الآبي، 67/3.

(412) جمهرة الأمثال، العسكري، 161/1.

(413) الأمثال، أبو عبيد القاسم، 216.

(414) مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى ثعلب، 612/2.

(415) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، ص 46.

(416) مجمع الأمثال، الميداني، 331/1.

(417) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، 116، وفسّره: من قولك أبلّ من مرضه إذا صحّ، والمليلة حرارة يجدها الإنسان

وهي حمى في العظم.

وتستنهض الهمم، وتبشّر بقدرة الإنسان على الارتقاء في مراتب الكمال، إنه خير يقول لنا ما هو كائن" (418)

فهنا نرى أنّ مجيء التركيب الشرطي في جملتي الشرط والجواب بصيغة الماضي ولاسيما في الأمثال، هي حالة فريدة انفردت بها الأمثال العربية دون سواها، فقد رأينا بعض أدوات الشرط لا يليها إلاّ فعل ماضٍ ولا يكون جوابه إلاّ ماضياً، كما هو الحال في لو، لمّا، وغيرهما، وهذا يعكس لنا أهمية الشرط في بناء المثل ودوره في الدلالة، فالمثل يدل على حادث حصل وانتهى، وكان هذا المثل زبدته، فتناقلته الألسن جيلاً بعد جيل، والأمثال قديمة قدم الحادثة أو القصة التي قيلت فيها، وطبيعي أن يضرب القائل المثل فيما رآه لا فيما سمعه من الآخرين، والشرط في هيكلته ينهض على ثلاثة أركان هي الأداة ثم الفعل ثم الجواب، وهذه الأركان متلازمة فيما بينها، وهذا التلازم يخلق في ذهن المرسل توتراً مشحوناً بالانفعال خرج من خلاله المثل بصيغته الحالية. يقول أحدهم: "إنّ الزمن الماضي مهمّ عند أبناء البادية العربيّة في كل عهدٍ من عهوده لأنّه مستودع المفاخر والأنساب والثرات والسوابق والذكريات" (419).

وأما استخدام صيغة المستقبل في لغة الأمثال فقد فسّرهما أحدهم بقوله: "لإظهار أنّ المتكلّم ينظر إلى الحدث الذي انتهى كأنما هو لا يزال ماثلاً للعين، والغرض من هذا التوكيد" (420).

وبعد هذا العرض يمكننا استخلاص النتائج التالية:

1 — لقد تقدم جواب الشرط على أداة الشرط في المعنى في نسبة كبيرة من الأمثال المدروسة، وكان للأهمية التي يشغلها الجواب في ذهن المرسل، وكذلك لإثارة المتلقي وتشويقه وتوكيد المعنى.

2 — وقع حذف في الأداة، في بعض الأمثلة المدروسة وربما كان هذا الحذف لجعل المتلقي يبحث عن أركان الجملة الشرطية ويقدر المحذوف منها، كذلك سعياً وراء الاقتصاد في الكلام.

3 — أكثر أدوات الشرط الشائعة في الأمثال بنوعها الجازمة وغير الجازمة، جاءت بعدها جملتا الشرط والجواب بصيغة الماضي ولهذا دلالته، فالمثل يدل على حادث حصل وانتهى والأمثال قديمة قدم الحادثة أو القصة التي قيلت فيها، وطبيعي أن يضرب القائل فيما رآه لا فيما سمعه.

(418) في سيكولوجيا الأمثال العربية، جورج صدقي، ص 8، مجلة المعرفة السورية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، س19، ع219 أيار 1980.

(419) اللغة الشاعرة، مزاي الفن والتعبير في اللغة العربية، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية [د.ط. ود.ت.]، ص 47.

(420) من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ص 169.

الفصل الخامس

الدراسة الدلالية وتتضمن

- 1 – أثر الكلمة المزوجة في التطور الدلالي.
- 2 – الدخيل في لغة الأمثال.

أولاً: أثر الكلمة المزوجة في التطور الدلالي:

لملاحظة أثر الكلمة المزوجة في التطور الدلالي عرضنا مجموعة من الأمثال المدروسة على معجمي العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ولسان العرب لابن منظور واقتصرنا على هذين المعجمين، لأنّ أحدهما قديم يعود إلى القرن الثاني الهجري، والآخر أحدث نسبياً يعود إلى القرن السابع الهجري، وهذا يسهّل علينا تتبع أثر الكلمة المزوجة فيها من حيث المعنى والدلالة، ومن حيث تأثرها بالكلمة السابقة، وانعكاس ذلك على اللغة العربية من جهة زيادة ثروتها اللغوية من خلال رصد الكلمة المزوجة في العين واللسان وبيان ما كان منها مهملاً في العين ثم صار مستعملاً في اللسان، والمعيار الذي اتبعناه في اختيارنا للأمثلة هو رصدنا للأمثال التي جاءت الكلمة المزوجة (الثانية) فيها لا معنى لها. وذلك على النحو التالي:

— "أبرد من عبقرٍ وحبقرٍ"⁽¹⁾.

جاءت هنا الكلمة المزوجة (حبقرٍ) مغفلة ومهملة في معجم العين.

وجاء في اللسان: "يقال إنه لأبرد من عبقرٍ وأبرد من حبقرٍ وأبرد من عضرسٍ. والعبقر والحبقر والعضرس: البرد وجاء في المثل قولهم: هو أبرد من عبقرٍ ويقال حبقرٍ كأنهما كلمتان جعلتا واحدة"⁽²⁾.

— "أحمق باكٌ تاكٌ"⁽³⁾.

جاءت هنا الكلمة المزوجة (تاكٌ) مغفلة ومهملة في معجم العين.

وهي في اللسان: "أحمق تائك: شديد الحمق ولا فعل له"⁽⁴⁾. و"أحمق تاك وقيل أحمق فاك تاك إتباع له بالغ الحمق"⁽⁵⁾.

— "أخبرته خبري وشقوري وفقوري"⁽⁶⁾.

هنا وجدنا أن العين قد أفرد مادة لكلٍ من الكلمتين المزوجتين (شقوري وفقوري) وهما مادة شقر ومادة فقر ولكنه لم يذكر لهما معنى.

(1) جمهرة الأمثال، العسكري، 210/1، وفسره بقوله: قيل هما البرد وقيل إنما هو عبقر، والعبقر: البرد والقُر: البرد.

(2) لسان العرب، مادة حبقر، 162/4.

(3) المستقصى، الزمخشري، 72/1. وفسره: هو المتساقط جمعاً ويروى فاكٌ.

(4) لسان العرب، مادة تيك، 407/10.

(5) المصدر نفسه، مادة تكك، 406/10.

(6) مجمع الأمثال، الميداني، 341/1 والمعنى أخبرته خبري.

وجاء في اللسان: "يقال أخبرته بشقوري ومن أمثال العرب في سرار الرجل إلى أخيه ما يُسَرُّه عن غيره أفضيت إليه بشقوري أي أخبرته بأمره وأطلعته على ما أسره من غيره"⁽⁷⁾. وجاء أيضاً "أخبره فقوره أي أحواله، وشكا إليه فقوره أي حاجته"⁽⁸⁾.

— "إنَّكَ لتَحسب عليّ الأرض حيصاً بيصاً"⁽⁹⁾.

جاء في العين "يقال هو في حيص بيص أي في اختلاط من أمرٍ لا مخرج له منه، وبيص شبع لحيص"⁽¹⁰⁾.

وفي اللسان "يقال وقعوا في حَيْصَ بَيْصَ وَحَيْصَ بَيْصَ وَحَيْصَ بَيْصَ وَحَيْصَ بَيْصَ أي شدة"⁽¹¹⁾.

— "إنَّه لطَيورٌ فيورٌ"⁽¹²⁾.

هنا وجدنا أنَّ العين لم يذكر معنى للكلمة المزوجة (فيور) رغم وجود مادة لها وكذلك اللسان فقد أغفل الكلمة المزوجة رغم وجود مادة لها.

— "إنَّه لَقَبْضَةٌ رَفْضَةٌ"⁽¹³⁾.

جاء في العين "الرفض تركك الشيء، والرفض: الشيء المحرك المفرق، والرفاض: الطرق المفرقة أخايدها لم يذكر معنى للكلمة المزوجة (رفضة)"⁽¹⁴⁾. وهي في اللسان "يقال راعٍ قَبْضَةٌ رَفْضَةٌ للذي يقبض إبله ويسوقها ويجمعها فإذا صارت إلى الموضع الذي تحبه وتهواه رفضها وتركها ترعى كيف شاءت فهي إبل رفض"⁽¹⁵⁾.

— "أوسع من هند منذ"⁽¹⁶⁾.

(7) لسان العرب، مادة شقر، 422/4.

(8) المصدر نفسه، مادة فقر، 61/5.

(9) مجمع الأمثال، الميداني، 72/1 والمعنى: أي ضيقة.

(10) العين، الخليل بن أحمد، مادة بيص، 170/7.

(11) لسان العرب، مادة بيص، 9/7.

(12) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، 84، وفسره: للحديد السريع الرجعة.

(13) مجمع الأمثال، الميداني، 102/1 يضرب للذي يتمسك بالشيء ثم لا يلبث أن يدعه.

(14) العين، مادة رفض، 28/7.

(15) لسان العرب، مادة رفض، 102/1.

(16) التحفة الأدبية، قصير، 178، وفسره: نهر بسجستان قيل إنه ينصب إليه ألف نهر وينشق منه ألف نهر ولا تظهر فيه زيادة ولا نقصان.

وجدنا أنّ العين واللسان قد أغفلا ذكر مادة (مند) فهي مهملة في المعجمين.

— "أيت به من حسك وبسك" (17).

وجدنا أنّ العين واللسان قد أغفلا ذكر مادة (بسك) فهي مهملة في المعجمين.

— "بؤساً له وتوساً له وجوساً له" (18).

جاء في العين "يقال فلان من توسة كذا وكذا أي من أصله خلقه" (19). وجاء "الجوسان: التردد خلال الدور والبيوت في الغارة ونحوها" (20). وجاء في اللسان "توساً له كقوله بؤساً له" (21). و"الجوس: الجوع" (22).

— "بلغ فلان من العلم أطوريه وأقوريه" (23).

جاء في العين "القيصر والقيصران جماعة القارة وهي الجبل الصغير، والأعظم في الأكام والأقوار: تشنج الجلد وانحناء الصلب هزاً كبيراً وناقاً مقورة: قور جلدتها وهزلت" (24).

وهي في اللسان "بلغ فلان في العلم أطوريه أي حدّيه أوله وآخره ولم يذكر معنى كلمة أقوريه" (25).

— "تركت دارهم حوثاً بوثاً" (26). جاءت الكلمة المزوجة (بوثا) مهملة في معجم العين.

وهي في اللسان "تركهم حوثاً بوثاً وجيء به من حوث بوث أي من حيث كان ولم يكن، تركهم حاث باث إذا تفرّقوا" (27).

(17) الأمثال، أبو عبيد القاسم، ص232.

(18) مجمع الأمثال، الميداني، 146/1، وفسره: البؤس: الشدة والتوس إتياع له، والجوس، الجوع.

(19) العين، مادة توس، 287/7.

(20) المصدر نفسه، مادة جوس، 160/6.

(21) لسان العرب، مادة توس، 33/6.

(22) المصدر نفسه، مادة جوس، 43/7.

(23) الإتياع والمزوجة، ابن فارس، ص75، وفسره: أي منتهاه، أطوريه وأقوريه: الدواهي وقيل بلغ فلان في العلم أطوريه وأقوريه: أي حدّيه أوله وآخره.

(24) العين، مادة قور، 205/5.

(25) لسان العرب، مادة طور، 508/4.

(26) مجمع الأمثال، الميداني، 195/1، وفسره: أي أثيرت بحوافر الدواب وضربت يقال: تركهم حوثاً بوثاً وحوث بوث وحيث بيث وحات باث إذا فرقهم وبدّهم.

(27) لسان العرب، مادة بوث، 120/2.

وجاء أيضاً "أوقع بهم فلان فتركهم حوثاً بوثاً أي فرقهم" (28).

— "تركت فلاناً سادحاً رادحاً" (29).

جاء في العين "الردح بسطك الشيء فسوي ظهره بالأرض" (30). وفي اللسان "ردح بالمكان أقام به" (31).

— "تركه الله حتّاً فتّاً لا يملأ كفاً" (32).

جاءت الكلمة المزوجة (فتّاً) مهملة في معجم العين.

وفي اللسان "تركه الله حتّاً فتّاً لا يملأ كفاً أي محتوتاً أو منحتاً" (33). وجاء أيضاً "الفتُّ أن تأخذ الشيء بإصبعك فتصيره فتاتاً أي دقاقاً فهو مفتوت وفيتت" (34).

— "جاء بالشقّر والبقر وبنات غير" (35).

جاء في العين "الشقارى نبات والشقران داء يأخذ الزرع" (36). وجاء أيضاً: "البقر شقّ البطن والتفتح والتوسع في بقر البطن" (37).

وهي في اللسان: "يقال جاء فلان بالشقر والبقر إذا جاء بالكذب" (38).

— "جاء بالضح والريح" (39).

جاء في العين "يقال الريح والضح تقوية للفظ الريح فإذا أفرد ليس له معنى" (40).

(28) لسان العرب، مادة حوث، 139/2.

(29) الإتياع والمزوجة، ابن فارس، 60، وفسره: سدحت فلانة وردحت إذا أخصبت وحسنت حالها. وهذا مأخوذ من سدح وردح بالمكان أي أقام به.

(30) العين، مادة ردح، 179/3.

(31) لسان العرب، مادة ردح، 142/2.

(32) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، ص 572. وقال: إذا دُعي على الإنسان.

(33) لسان العرب، مادة حتت، 22/2.

(34) المصدر نفسه، مادة فتت، 64/2.

(35) مجمع الأمثال، الميداني، 242/1. ويروى بالصقر والغير من قولك غيرت الشيء فتغيّر، والشقر والبقر اسم لما لا يعرف أي جاء بالكذب الصريح.

(36) العين، مادة شقر، 36/5.

(37) المصدر نفسه، مادة بقر، 158/5.

(38) لسان العرب، مادة شقر، 421/4.

(39) الإتياع والمزوجة، ابن فارس، 59.

(40) العين، مادة ضيح، 267/3.

وفي اللسان: "جاء بالريح والضحك والضحك إتباع للريح فإذا أفرد لم يكن له معنى" (41).

— "جاء يضرب أصدريه وأزدرية" (42).

جاء في العين "الصُّدر أعلى مقدم كل شيء ولم يذكر العين مادة للكلمة المزوجة أزدرية فهي مهملة" (43).

وفي اللسان: "جاء يضرب أصدريه إذا جاء فارغاً يعني عطفيه ويروى أسدريه، وروى أبو حاتم: جاء فلان يضرب أصدريه وأزدرية أي جاء فارغاً" (44). وجاء أيضاً "جاء فلان يضرب أزدرية وأسدريه إذا جاء فارغاً" (45).

— "ذهب في الأخبب الأذهب" (46).

لم يذكر العين واللسان معنى للكلمة المزوجة (الأذهب) رغم ذكرهما مادة لها.

— "ربّ حثيث مكيث" (47).

جاء في العين "المكث الانتظار، والمكث: المنتظر ولم يذكر مادة للكلمة المزوجة (حثيث) فهي مغفلة ومهملة" (48).

وجاء في اللسان: "المكث: الأناة واللبث والانتظار والمكث: الإقامة مع الانتظار واللبث في المكان" (49).

وجاء أيضاً "رجل حثيث ومحثوث: حاد سريع في أمره كأن نفسه تحته" (50).

— "رغماً دغماً شنغماً" (51).

(41) لسان العرب، مادة ضيح، 527/2.

(42) الوسيط، الواحدي، 95، وفسره: الأصدران: رأسا الصدر فإذا وافى الغائب وقد علاه غبار الطريق فإنه يضرب رذنيه على أصدريه يقصد بذلك نفث التراب عن عاتقيه من قدم فاستعير ذلك لمن يأتي فارغاً.

(43) العين، مادة صدر، 94/7.

(44) لسان العرب، مادة صدر، 445/4.

(45) المصدر نفسه، مادة زدر، 321/4.

(46) مجمع الأمثال، الميداني، 387/1، وفسره: ذهب في الخيبة الخيباء إذا طلب ما لا يجدي، بل يرجع بالخيبة.

(47) المصدر نفسه، 421/1 يقال مكث فهو ماكث ومكث يضرب لمن أراد العجلة فحصل على البطء.

(48) العين، مادة مكث، 353/5.

(49) لسان العرب، مادة مكث، 191/2.

(50) المصدر نفسه، مادة حثث، 130/2.

(51) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، ص 577 وهذا كله تأكيد للرغم.

جاء في العين "الدغم كسر الأنف إلى باطنه هشماً ولم يذكر مادة للكلمة المزوجة شنغماً"⁽⁵²⁾.

وفي اللسان: "الدغم كسر الأنف إلى باطنه هشماً وفي الدعاء: رغماً دغماً شنغماً كل ذلك إتباع يقال فعلت ذلك على رغمة ودغمة وشغمة ويقال شنغمة"⁽⁵³⁾. وجاء أيضاً "رجل شنغم حريص وقال اللحياني فعل ذلك على رغمة وشغمة ذهب إلى أنه إتباع وحكى غيره: رغماً له ودغماً وشنغماً كل ذلك إتباع"⁽⁵⁴⁾.

— "فلان جائع نائع"⁽⁵⁵⁾.

جاء في العين "الجوع اسم للمخمصة والنعت جائع وجوعان ولم يذكر مادة للكلمة المزوجة نائع فهي مهملة ومغفلة"⁽⁵⁶⁾.

وجاء في اللسان: "النائع إتباع للجائع يقال: رجل جائع نائع وقيل النوع: العطش"⁽⁵⁷⁾.

— "قد قضيت كل حاجة وداجة"⁽⁵⁸⁾.

لم يذكر العين مادة للكلمة المزوجة (داجة) فهي مهملة، وجاء في اللسان: "ما تركت حاجة ولا داجة قال الخطابي: الحاجة القاصدون البيت، والداجة: الراجعون وأراد بالحاجة الصغيرة وبالداجة الكبيرة"⁽⁵⁹⁾.

— "فلان يريد الأمر عفواً صفواً"⁽⁶⁰⁾.

جاء في العين "العفو: المعروف وفي مادة صفو الصفو: نقيض الكدر، وصفوة كل شيء خالصة وخيره"⁽⁶¹⁾.

(52) العين، مادة دغم، 395/4.

(53) لسان العرب، مادة دغم، 203/12.

(54) المصدر نفسه، مادة شنغم، 328/12.

(55) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، 47/2 والنائع: هو الجائع وقالوا هذا إتباع له. وقيل النائع: العطشان.

(56) العين، مادة جوع، 185/2.

(57) لسان العرب، مادة نوع، 47/2.

(58) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، 227/2 وفي الداجة قولان: أحدهما ما لا يذكر احتقاراً له أي قد قضيت الحوائج التي لها موقع من قلبي وقضيت ما لا يذكر احتقاراً له. ويقال الداجة: معناها كمعنى الحاجة فنسقت عليها لخلافها لفظها.

(59) لسان العرب، مادة دجج، 263/2.

(60) خاص الخاص، الثعالبي، ص 58 قيل فيما يطلب العفو بلا كدر والنجح بلا تعب.

(61) العين، مادة عفو، 258/2.

وفي اللسان: "أدرك الأمر عفواً صفواً أي في سهولة وسراح"⁽⁶²⁾. وجاء أيضاً: "الصفوة: خيار الشيء وخلصته وما صفا منه"⁽⁶³⁾.

— "لا أفعل ذلك ما اختلف الملوان والأجدان والفتيان والعصران والجديدان"⁽⁶⁴⁾.

جاء في العين "الملوان: الليل والنهار"⁽⁶⁵⁾. و "العصران: الليل والنهار"⁽⁶⁶⁾. ولم يذكر العين مادة لكلٍ من كلمتي المزوجة (الفتيان، الجديدان).

وفي اللسان: "العصران: الليل والنهار"⁽⁶⁷⁾. و "الأجدان والجديدان: الليل والنهار"⁽⁶⁸⁾.

— "لا آتيك سجيس عجيس"⁽⁶⁹⁾.

لم يذكر العين مادة للكلمة المزوجة (عجيس) فهي مهملة.

وجاء في اللسان: "يقال لا آتيك سجيس الأوجس ويقال لا آتيك سجيس عجيس: أي الدهر كله"⁽⁷⁰⁾.

— "لا آتيك سجيس غبيس"⁽⁷¹⁾.

لم يذكر العين مادة للكلمة المزوجة (غبيس) فهي مهملة، وهي في اللسان: "لا أفعله سجيس غبيس الأوجس أي الدهر كله"⁽⁷²⁾.

— "لا حمّ ولا رمّ أن أفعل كذا"⁽⁷³⁾.

لم يذكر العين مادة للكلمة المزوجة (رمم) فهي مهملة.

(62) لسان العرب، مادة عفا، 74/15.

(63) المصدر نفسه، مادة صفا، 462/14.

(64) المجهول، ص 100 وجميعه الليل والنهار.

(65) العين، مادة ملو، 344/8.

(66) المصدر نفسه، مادة عصر، 292/1.

(67) لسان العرب، مادة عصر، 576/4.

(68) المصدر نفسه، مادة جدد، 111/3.

(69) مجمع الأمثال، الميداني، 232/2 وإنما سمي عجيساً لأنه يتعجب أي يبطئ فلا يذهب أبداً. وسجيس عجيس وسجيس الأوجس ومعنى كله الدهر.

(70) لسان العرب، مادة عجس، 131/6.

(71) الأمثال، أبو عبيد البكري، ص 510.

(72) لسان العرب، مادة غبس، 153/6.

(73) مجمع الأمثال، الميداني، 247/2 أي لا بدّ من ذلك.

وهي في اللسان: "يقال: ما له عن ذلك الأمر حم ولا رم أي بُد" (74).

— "لقيت منه الأقورين والفتكرين والبرحين" (75).

جاء في العين "أبرحت جاراً أي أعظمته واتخذته عظيماً" (76). ولم يذكر مادة للكلمة المزوجة (الفتكرين).

وجاء في اللسان: "لقيت منه الأقورين والفتكرين والبرحين والأقوريات وهي الدواهي العظام" (77).

وبعد هذا الاستقراء لمعنى الكلمة المزوجة في معجمي العين واللسان توصلنا إلى النتائج التالية:

1 — بعض الأمثال جاءت الكلمة المزوجة (الثانية) فيها مهملة ومغفلة في معجمي العين واللسان، فلم نعثر لها على مادة في المعجمين، وبذلك لم تستعمل إلا في نطاق المثل وذلك مثل (مند، بسك).

2 — معظم الأمثال التي جاءت الكلمة المزوجة (الثانية) فيها مهملة ومغفلة في معجم العين، أوردها اللسان وفسر معناها بكلام مطابق لتفسير قائل المثل وهذا أسهم في زيادة الثروة اللغوية من خلال الأمثال.

مثل (حبقر) حيث جاء في اللسان "يقال إنه لأبرد من عبقر وأبرد من حبقر وأبرد من عضرس، والعبقر والحبقر والعضرس: البرد وجاء في المثل قولهم: هو أبرد من عبقر ويقال حبقر كأنهما كلمتان جعلتا واحدة" (78).

ومنها أيضاً (تاك) حيث ذكر اللسان "أحمق تائك: شديد الحمق ولا فعل له" (79) و"أحمق تاك وقيل أحمق فاك تاك إتباع له بالغ الحمق" (80).

ومن الكلمات أيضاً (بوثاً) حيث جاء في اللسان "تركهم حوثاً بوثاً وجيء به من حوث بوث أي من حيث كان ولم يكن، تركهم حاث باث إذا تفرقوا" (81).

(74) لسان العرب، مادة رم، 254/12.

(75) مجمع الأمثال، الميداني، 184/2 إذا لقي منه الأمور العظام.

(76) العين، مادة برح، 215/3.

(77) لسان العرب، مادة قور، 511/3.

(78) المصدر نفسه، مادة حبقر، 162/4.

(79) المصدر نفسه، مادة تيك، 407/10.

(80) المصدر نفسه، مادة تكك، 406/10.

(81) المصدر نفسه، مادة بوث، 120/2.

وقولهم أيضاً (داجة) ومما ذكره اللسان "ما تركت حاجة ولا داجة قال الخطابي: الحاجة القاصدون البيت، والداجة: الراجعون وأراد بالحاجة الصغيرة وبالداجة: الكبيرة"⁽⁸²⁾.

وكذلك من الكلمات (عجيس) فقد أورد اللسان: "يقال لا أتيك سجين الأوجس ويقال لا أتيك سجين عجيس: أي الدهر كله"⁽⁸³⁾.

وكذلك قولهم (غبيس) حيث جاء في اللسان: "لا أفعله سحبيس غبيس الأوجس أي الدهر كله"⁽⁸⁴⁾ ومن الكلمات أيضاً (رم) حيث أورد اللسان: "يقال ما له عن ذلك الأمر حم ولا رم أي بُد"⁽⁸⁵⁾ ونذكر من الكلمات أيضاً (حنيث) حيث ذكر اللسان "رجل حنيث ومحتوث حاد سريع في أمره كأن نفسه تحته"⁽⁸⁶⁾.

3 — بعض الأمثال جاءت الكلمة المزوجة (الثانية) فيها لها مادة في المعجم ولم يذكر العين أو اللسان لها معنى، وعليه يمكننا القول إنها إتباع للكلمة السابقة لها، وجاءت لتقوي معناها وتتأثر به، ولم تستعمل إلا في نطاق المثل ونذكر من ذلك: (شقوري فقوري)، (فيور)، (الأذهب).

4 — بعض الأمثال جاءت الكلمة المزوجة (الثانية) فيها لها معنى مخالف للمعنى الذي ذكره العين واللسان، وبعضها الآخر جاءت الكلمة المزوجة (الثانية) فيها لها معنى مختلف بين معجمي العين واللسان، وهذا ما أسهم في معرفة التطور للكلمة المزوجة من خلال الاستعمال. ونذكر من ذلك:

أ — ما انتقلت فيه الدلالة من العموم إلى الخصوص:

— "إنه لقبضة رفضة"

فقد أشار العين إلى المعنى العام للكلمة المزوجة (رفضة) وهو تركك الشيء في حين أشار اللسان إلى المعنى من زاوية خاصة وهي رعي الإبل، حيث يقال راع قبضة رفضة للذي يقبض إبله ويسوقها ويجمعها، فإذا صارت إلى الموضع الذي تحبه رفضها، وهنا نلاحظ انتقال الدلالة من العموم إلى الخصوص.

(82) لسان العرب، مادة دجج، 2/263.

(83) المصدر نفسه، مادة عجس، 6/131.

(84) المصدر نفسه، مادة غبيس، 6/153.

(85) المصدر نفسه، مادة رمم، 12/254.

(86) المصدر نفسه، مادة حثث، 2/130.

ب — ما انتقلت فيه الدلالة من المجال المجرد إلى المجال المحسوس:

— "بؤساً له وتوساً له وجوساً له"

هنا أيضاً نلاحظ تطوراً دلالياً، حيث أشار العين إلى المعنى المجرد للكلمة المزوجة (الجوس) وهو التردد خلال الدور والبيوت، في حين أشار اللسان إلى المعنى المحسوس لها وهو الجوع، وبذلك انتقلت دلالة الكلمة من المجال المجرد إلى المجال المحسوس.

— "بلغ فلان من العلم أطوريه وأقوريه"

هنا نلاحظ أيضاً تطوراً دلالياً بين دلالة المثل كما أشار إليها قائل المثل، وبين المعجمين (العين واللسان) حيث أشار قائل المثل إلى أن أطوريه وأقوريه هي الدواهي، وبلغ فلان في العلم أطوريه وأقوريه أي حديثه أوله وآخره، في حين أشار العين إلى أن معنى أقوريه جماعة القارة، وهي الجبل الصغير، والأعظم من الأكام، ولم يذكر اللسان معنى للكلمة المزوجة (أقوريه) وبذلك انتقلت دلالة الكلمة المزوجة (أقوريه) من المجال المجرد إلى المجال المحسوس.

ج — ما انتقلت فيه الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد:

— "جاء بالشقر والبقر وبيبات غير"

هنا أيضاً نلاحظ تطوراً دلالياً بين المعجمين (العين واللسان) فقد أشار العين إلى المعنى الحسي للكلمة المزوجة (البقر) وهو شق البطن والتفتح والتوسع في بقره، في حين أشار اللسان إلى المعنى المجرد للكلمة المزوجة وهو الكذب، وبذلك انتقلت الدلالة للكلمة المزوجة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد.

— "لقيت منه الأقورين والفتكرين والبرحين"

أشار العين إلى المعنى الحسي للكلمة المزوجة (البرحين) وهو تعظيم الجار، في حين أشار اللسان إلى المعنى المجرد للكلمة المزوجة وهو الدواهي العظام، وبذلك نلاحظ تطوراً دلالياً تجلّى في انتقال دلالة الكلمة المزوجة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد.

5 — بعض الأمثال ذكر فيها قائل المثل أن الكلمة المزوجة (الثانية) إتباع للأولى ولا معنى لها

مفردة، ثم جاءت المعاجم لتؤكد ذلك، لأن الكلمة المزوجة هنا جاءت لتقوي معنى الكلمة السابقة وتؤكدده. ونذكر من ذلك:

(حيصاً بيصاً) حيث جاء في العين "بيص شعب لحيص"⁽⁸⁷⁾.

(87) العين، مادة بيص، 170/7.

وكذلك (الضحك والرياح) جاء في العين "يقال الرياح والضحك تقوية للفظ الرياح فإذا أفرد ليس له معنى" (88).

وجاء في اللسان: "جاء بالرياح والضحك، والضحك إيتباع للرياح فإذا أفرد لم يكن له معنى" (89). ومن الكلمات (رغماً دغماً شغماً) جاء في كنز الحفاظ "هذا كله تأكيد للرغم" (90).

وجاء في اللسان: "الدغم كسر الأنف إلى باطنه هشماً وفي الدعاء: رغماً دغماً شغماً كل ذلك إيتباع" (91).

ومن الكلمات أيضاً (جائع نائع) جاء في الزاهر: "النائع هو الجائع وقالوا هذا إيتباع له" (92). وجاء في اللسان: "النائع إيتباع للجائع" (93).

6 — بعض الأمثال جاءت الكلمة المزوجة (الثانية) فيها ملازمة للأولى وتحمل معناها، وذكرها العين أو اللسان في مادة لكل منهما، وهذا أيضاً أسهم في توسيع الثروة اللغوية من خلال المرادفات.

ونذكر من ذلك قولهم:

— "لا أفعل ذك ما اختلف الملوان والأجدان والفتيان والعصران والجديدان".

(خبوري وشقوري وفقوري) جاء في اللسان يقال "أخبرته بشقوري ومن أمثال العرب في سرار الرجل إلى أخيه ما يُسرّه عن غيره أفضيت إليه بشقوري أي أخبرته بأمره وأطلعت على ما أسره من غيره" (94).

وجاء أيضاً: "أخبره فقوره أي أحواله" (95). (حوثاً بوثاً) جاء في اللسان: "تركهم حوثاً بوثاً... إذا تفرقوا" (96).

ومن الكلمات (حتاً فتاً) جاء في اللسان: "تركه الله حتاً فتاً لا يملأ كفاً أي محتوتاً أو منحتاً" (97).

(88) العين، مادة ضيخ، 267/3.

(89) لسان العرب، مادة ضيخ، 572/2.

(90) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، ص 577.

(91) لسان العرب، مادة دغم، 395/4.

(92) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، 47/2.

(93) لسان العرب، مادة نوع، 47/2.

(94) المصدر نفسه، مادة شقر، 422/4.

(95) المصدر نفسه، مادة فقر، 61/5.

(96) المصدر نفسه، مادة بوث، 120/2.

(97) المصدر نفسه، مادة حتت، 22/2.

وكذلك (أصدريه وأزدرية) جاء في اللسان: "جاء فلان يضرب أصدريه وأزدرية أي جاء فارغاً" (98).

ومن الكلمات (عفواً صفواً) جاء في اللسان: "فلان يريد الأمر عفواً صفواً أي في سهولة وسراح" (99).

وكذلك (الملوان والأجدان والفتيان والعصران والجديدان).

جاء في العين: "الملوان: الليل والنهار" (100).

وجاء أيضاً "العصران: الليل والنهار" (101).

وجاء في اللسان: "العصران: الليل والنهار" (102).

و"الأجدان والجديدان: الليل والنهار" (103).

(98) لسان العرب، مادة صدر، 4/445.

(99) المصدر نفسه، مادة عفا، 15/74.

(100) العين، مادة ملو، 8/344.

(101) المصدر نفسه، مادة عصر، 1/292.

(102) لسان العرب، مادة عصر، 4/576.

(103) المصدر نفسه، مادة جدد، 3/111.

ثانياً: الدخيل في لغة الأمثال المدروسة:

الدخيل: "هو ولوج ذي أصل غريب في أصل آخر يخالفه"⁽¹⁰⁴⁾. وقيل: "هو المصطلح الذي يرادف غير عربي وقد يضيفون إلى ذلك تسمية فارسي أو سرياني أو آرامي"⁽¹⁰⁵⁾

وفيما يلي عرض لمجموعة من الأمثال وردت فيها بعض الكلمات الدخيلة على النحو التالي:

1 — "أهون من تبنة على لينة"⁽¹⁰⁶⁾.

الكلمة الدخيلة هنا تبنة "فكلمة التين تطلق على ما يقطع من سوق النباتات والحشائش كالشعير والحنطة وغيرهما من بعد فصل سنابلهما، ويتخذ للحيوانات، وفي الأكديّة (البابلية والآشورية) كلمة مطابقة للعربية لفظاً ومعنى هي (تبنو)"⁽¹⁰⁷⁾.

2 — "جيء به من حيث أيس وليس"⁽¹⁰⁸⁾.

الدخيل هنا هو كلمة ليس فقد أشار الزمخشري إلى وقوع إبدال في المثل في كلمة (ليس) وذهب إلى أن أصلها لا أيس "فأسقطوا الهمزة وجمعوا بين اللام والياء، لأن العرب تقول أئنتي به من حيث أيس ولا أيس أي من حيث هو ولا هو"⁽¹⁰⁹⁾.

وقد وقع الخليل بن أحمد الفراهيدي على حقيقة اشتقاقه فذهب إلى أنه فعل مركّب من أداة النفي لا وليس التي تعني وُجد أي أنه لا أيس، فطرح الهمزة وألّزمت اللام بالياء، وإن أيس تضاهي الكلمة الآرامية ايث التي تعني الوجود، ومن المصادفات اللغوية الطريفة أنّ تحليل الخليل لفعل ليس الذي ذكرناه يؤيده وجود الفعل نفسه في اللغة الأكديّة (البابلية والآشورية) بصيغة (لاشو) المركّب من الكلمتين المضاهيتين وهما أداة النفي البابلية لا والفعل الأكدي (ايشو) الذي يعني وُجد⁽¹¹⁰⁾.

(104) أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، د.مسعود بوبو، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي (د. ط) دمشق 1982، ص 24

(105) معجم الدخيل في اللغة العربية، طه باقر، دار الوثبة (د.ط و د.ت)، ص 6.

(106) مجمع الأمثال، الميداني، 483/2. لم ينكر حول معناه شيء. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا: مادة تبن 71/13 التبن: عصفه الريح من البُر ونحوه، واحدته تبنة.

(107) معجم الدخيل في اللغة العربية، طه باقر، ص 64، وينظر: معجم الكلمات الوافدة، عماد الدين حلوم، دار عماد، ط 1، 2000، ص 38.

(108) المستقصى، الزمخشري، 36/2

(109) المصدر نفسه، 36/2.

(110) معجم الدخيل في اللغة العربية، طه باقر، ص 54، بتصرّف

3 — "ادفع الشرّ بعودٍ أو عمودٍ"⁽¹¹¹⁾

الكلمة الدخيلة هنا هي عمود "فالعمود والعامود من مادة عمد المضاهية للأكدية (عميدو) ومنها الاسم عمدو وعندو ويضاهي ذلك اسم العمود في بعض اللغات العربية القديمة مثل الآرامي عمود"⁽¹¹²⁾

4 — "كالبائع الكُبة بالهبة"⁽¹¹³⁾

الكلمة الدخيلة هنا الكُبة التي قيلت فيها آراء عديدة، فقول إنها "معربة من الفارسية وهي بلورة الحمامة المحدبة"⁽¹¹⁴⁾.

وقيل أيضاً "القبة تعريب كُبة وأصل معناها كأس الحمامة وتطلق على انتفاخ كل شيء واعتلائه كالقبة وغيرها ومنه الكردي كبة وهو ورم يحدث في عنق الغنم"⁽¹¹⁵⁾

أما الرأي المخالف لتعريبها فهو قول أحدهم "يرجع بعض الباحثين أصل الكبة إلى أنها معربة من الفارسية وأن أصل معناها كأس الحمامة، وتطلق على كل شيء منتفخ كالقبة ونحوها، ولكن الصحيح إرجاعها إلى الأكدية الواردة في النصوص المسمارية بهيئة (كيتو) التي تطلق على الشيء المدور، ووردت كذلك كلمة كَبِّي وكَبُو وهي الأكلة المشهورة في العراق"⁽¹¹⁶⁾

5 — "لا ينبت البقلة إلاّ الحقلة"⁽¹¹⁷⁾

الكلمة الدخيلة هنا هي (البقلة) ذهب أحدهم على أنها "إيطالية bacelli من اليونانية bakelos ومعناه قرون الفول"⁽¹¹⁸⁾.

وقال آخر: "ورد لفظ البقل في معظم اللغات العربية القديمة السامية، ففي الأكدية (البابلية والآشورية) (بقلو) والآرامية (بُقلا) والكنعانية والأوغاريتية (ب ق ل) والحبشية (بقيل) وتجعله المعجمات العربية على أنه من الدخيل"⁽¹¹⁹⁾.

(111) المستقصى، الزمخشري، 117/1. أي إذا أتاكَ السائل فلا تردّه إلاّ بعطية كثيرة أو قليلة لتقطع بها لسانه عن ذلك.

(112) معجم الدخيل في اللغة العربية، طه باقر، 116

(113) المستقصى، الزمخشري 204/2. الكُبة: الإبل، الهبة: الريح، يضرب للمغبون في تجارته.

(114) المعجم الفارسي العربي الموجز، د. محمد التونجي، مكتبة لبنان، ط1، 1997، ص235.

(115) معجم الألفاظ الفارسية المعربة، السيد أدّي شير، مكتبة لبنان، د.ط، 1990، ص123.

(116) معجم الدخيل في اللغة العربية، طه باقر، 125

(117) مجمع الأمثال، الميداني 233/2. وفسره أي لا يلد الوالد إلاّ مثله، يضرب مثلاً للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل الخسيس.

(118) تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، طوبيا العنيسي، دار العرب للبستاني، د. ط، 1989، ص12.

(119) معجم الدخيل في اللغة العربية، باقر، ص 61.

6 — "لا يميّز بين التين والسّرقين"⁽¹²⁰⁾.

الكلمة الدخيلة هنا هي (التين) و"التين شجر معروف وكذلك ثمره، في الآرامية (تيناً) وفي السريانية (تين) وبهذا اللفظ ورد في القرآن الكريم، فهي سريانية"⁽¹²¹⁾. و"ورد ذكرُ التين وأشجار التين في المصادر المسمارية منذ أقدم الأزمان في حضارة وادي الرافدين، ولفظُه في الأكديّة مضاهٍ للعربية بهيئة (تينو) وأصلها (تينتو) ثم أدغمت النون بالتاء وهي قاعدة عامة في اللغة الأكديّة واللغات السامية الأخرى، بالنسبة إلى حرف النون إذا وليه حرف بدون أن يفصل ما بينهما حركة، وتضاهي الكلمة الأكديّة تيتو الكلمة العبرانية تينتا والآرامية تينا"⁽¹²²⁾.

وفي المثل نفسه كلمة أخرى اختلف حولها هي (السرقين) حيث قيل: "السرجين والسرقين تعريب سركين وهو الزبل ومنه الكردي سركين"⁽¹²³⁾. و"السرجين والسرجن والسرجون والسرقين فارسية وتعني الزبل"⁽¹²⁴⁾. وقيل هي "كلمة دخيلة من اللاتينية Stercus وفي الإيطالية Sterco وهو الدمال والزبل والفرث والسلح والنجو والدمن"⁽¹²⁵⁾.

7 — "من الرفش إلى العرش"⁽¹²⁶⁾.

الكلمة الدخيلة هنا هي (العرش) "ومن المعاني الكثيرة للعرش (وجمعه عروش وعرائش وعُرش) في العربية سرير الملك، وتعني مادته وهي عرش أقام بناء من خشب أو عرائش، ويقال أيضاً عرش البئر إذا طواها بالحجارة من الأسفل، ثم طوى سائرها بالخشب، وعرش الكرم دواليه على الخشب، ويطلق أيضاً على الخيمة والمظلة. وقد وردت في معظم اللغات العربية القديمة بهذه المعاني ففي الأكديّة كلمة (أرشو) عرشو وتعني السرير والمضجع، ووردت في العبرية والحبشية والسريانية وبعضها بالسين بدل الشين مثل عرس التدمرية وتعني الخيمة"⁽¹²⁷⁾.

(120) مجمع الأمثال، الميداني 2/275. لم يذكر حول معناه شيء، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا: مادة تين 75/3 التين: الذي يؤكل، والتين: شجر البلس. وقيل هو البلس نفسه واحدته تينة.

(121) معجم الكلمات الوافدة، عماد الدين حلوم، ص45.

(122) معجم الدخيل في اللغة العربية، طه باقر، 69.

(123) معجم الألفاظ الفارسية المعربة، السيد أدبي شير، ص89.

(124) معجم الكلمات الوافدة، عمادة الدين حلوم، ص72.

(125) تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، طوبيا العنيسي، ص35.

(126) مجمع الأمثال، الميداني 2/327. الرفش: مجرفة يرفش بها البئر، ويجوز أن يكون الرفش مصدر رفش يرفش وهو الرفع، أي كان نازلاً فصار مرتفعاً.

(127) معجم الدخيل في اللغة العربية، طه باقر، 116.

8 — "أضبع من طاووس في ناووس"⁽¹²⁸⁾.

"في المثل كلمتان دخيلتان الأولى طاووس فهي في اليونانية taos لغة هندية حيث منشأ هذا الطائر العجيب الشكل"⁽¹²⁹⁾، والكلمة الأخرى ناووس وقيل "يوناني naos معناه في الأصل مسكن ثم معبد أي مكان الرجال في الكنيسة ولمّا كان الناس يقبرون موتاهم في الكنائس صار يطلق على القبر أيضاً"⁽¹³⁰⁾.

وبالرجوع إلى لسان العرب وجدنا الناووس: "وهو مقابر النصارى، إن كان عربياً أي فاعولٌ منه"⁽¹³¹⁾ ويؤكد أصل اللفظة الدخيلة قول أحدهم "أخذت العربية من اللاتينية واليونانية بعض الألفاظ المسيحية مثل: فارقليط، أسقف، جاثليق، ناووس، إنجيل"⁽¹³²⁾.

9 — "إلى أن يجيء الترياق من العراق مات الملسوع"⁽¹³³⁾.

الكلمة الدخيلة هنا (الترياق) والترياق دواء يدفع السموم، والترياق والترياقه الخمر والكلمة يونانية الأصل"⁽¹³⁴⁾ ويؤكد ذلك قول آخر: "ترياق يوناني theriaka معناه سبعيّ نسبة إلى سبع وأصله جملة تعريبها عقار يُعطى ضد نهش السباع؛ وهو دواء يدفع السموم"⁽¹³⁵⁾.

10 — "الدرهم مراهم"⁽¹³⁶⁾.

الكلمة الدخيلة هنا (الدرهم) و"الدرهم والدرهم (ج درهم) قطعة من الفضة مضروبة للمعاملة وتطلق لفظة الدراهم عند المولدين على النقود عموماً وأصلها (دراخمي) وهي يونانية"⁽¹³⁷⁾. ويؤكد ذلك قول آخر: "درهم يوناني drachme وهو نقد فضة ووزن أيضاً ومنه درم الفارسي وهو نقد

(128) الدرّة الفاخرة، الأصبهاني، 277/1، لم يذكر حول معناه شيء، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة طوس 127/6: الطاووس: طائر حسن، همزته بدل من واو لقولهم طاويس والطاؤوس في كلام أهل اليمن الفضة.

(129) تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، طوبيا العنيسي، ص46.

(130) المرجع نفسه، ص73.

(131) لسان العرب، مادة نوس، 127/6.

(132) أثر الدخيل على العربية الفصحى، مسعود بوبو، ص377.

(133) مجمع الأمثال، الميداني، 121/1. لم يذكر حول معناه شيء وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة ترق 32/10 فارسيّ معرّب وهو دواء السموم، لغة في الدرياق والعرب تسمي الخمر ترياقاً وترياقاً لأنها تذهب بالهمّ.

(134) معجم الكلمات الوافدة، عماد الدين حلوم، ص40.

(135) تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، طوبيا العنيسي، ص17.

(136) مجمع الأمثال، الميداني، 382/1. لم يذكر حول معناه شيء وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا : مادة مرهم 565/12 هو ألين ما يكون من الدواء الذي يُضَمّد به الجرح يقال : مرّهْمْتُ الجرح .

(137) معجم الكلمات الوافدة، عماد الدين حلوم، ص58.

فضة⁽¹³⁸⁾ وقال آخر أيضاً: "أخذت من اللاتينية واليونانية الألفاظ ذات الطبيعة القانونية كالقبان والقانون والقنطار والقسطاس والميل والدرهم والدينار والقيراط والإقليم والاسطرلاب"⁽¹³⁹⁾.

11 — "البغل نغل وهو لذلك أهل"⁽¹⁴⁰⁾.

الكلمة الدخيلة هنا هي (البغل) وكلمة البغل "وردت في القرآن الكريم وهي لفظة حبشية أصلها بقل بالقاف"⁽¹⁴¹⁾.

12 — "رهبوت خير من رحموت"⁽¹⁴²⁾.

الكلمة الدخيلة (رهبوت، رحموت) يقول أحدهم: "في الأوزان نجد صيغاً دخيلة غير راسخة القدم في العربية كوزن فعلوت مصدرأ نحو رهبوت، رحموت، ملكوت"⁽¹⁴³⁾.

13 — "ما عليها خربصيصة ولا هلبسيصة"⁽¹⁴⁴⁾.

الكلمة الدخيلة هنا خربصيصة ومثلها هلبسيصة، لم نجد في كتب الدخيل ذكرهما، ولذلك رأينا تحليل الكلمتين إلى مقاطعهما الصوتية "لأنَّ معرفتنا لأنواع المقاطع وصفاتها في أيَّة لغة يسهل علينا الحكم على نسج الكلمة في تلك اللغة ومعرفة ما هو من ألفاظها وما هو دخيل"⁽¹⁴⁵⁾.

وبتحليل الكلمتين وجدنا المقاطع التالية:

خرُ	بَ	صي	صة
ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح ص

(138) تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، طوبيا العنيسي، ص 27.

(139) أثر الدخيل على العربية الفصحى، مسعود بوبو، ص 377.

(140) مجمع الأمثال، الميداني، 1/145 يقال: نغل الأديم فهو نغل إذا فسد، ويقال فلان نغل إذا كان فاسد النسب، يضرب لمن لوم أصله فخبث فعله.

(141) أثر الدخيل على العربية الفصحى، مسعود بوبو، ص 100.

(142) المجهول، 65.

(143) أثر الدخيل على العربية الفصحى، مسعود بوبو، ص 102.

(144) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، 490، والخربصيصة: أي شيء من الحلي، والهلبسيصة يقال في باب ما نطق به بجحد.

(145) لهجة تميم، غالب المطلبي، ص 201.

هلْ	ب	سي	سة
ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح ص

تتألف كل كلمة من أربعة مقاطع الأول طويل مغلق والثاني قصير والثالث طويل مفتوح والرابع طويل مغلق، وهذا النسيج غير عربي حيث يقول أحدهم: "النسيج التالي غير عربي وهو مقطع من النوع الثاني (ص ح ح) مع مقطعين من النوع الثالث (ص ح ص)⁽¹⁴⁶⁾.

(146) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 169.

الخاتمة والنتائج:

بعد عرضنا هذا يمكننا القول إنّ الأمثال العربيّة جواهر شعبيّة، إنّها رصائع نقشتها الشعوب بحكمها ومواعظها الخالدة، ولكنّ الفرق بين المثل والجوهر هو أنّ الجوهر يحفظ ويصان ويبقى بريقه بديعاً على مدى الزمان على حين أنّ المثل يتداوله الناس ويتوارثونه، ولكنّ أمواج الزمن العاتية في إبان العصور المتطاوله تأكل اللغات، وتضعف إichاءات ألفاظها وتطوي الأحوال التي قيل المثل فيها ، فيستغرق فهمه أحياناً ولا تكاد تدرك الحكمة فيه، فيغدو في متحف المعجمات، وإنّما يسترعي أنظار الدارسين كما تسترعي الآثار القديمة عيون العلماء المختصين، وذلك شأن الأمثال العربية القديمة، فأتمنى أن تكون هذه الدراسة قد سلّطت الضوء على تراثنا الثمين، وأن تكون يدي من أيدي أولئك الدارسين التي امتدّت لتنتفض الغبار عن تلك الدرر والكنوز الثمينة والدّقيقة في آن، وأرجو أن تكون النتائج التي خلصنا إليها مفيدة يستهدي بها القارئ العربي في الغد المشرق وهنا نعرض لها بشيء من التكثيف ضمن كل مستوى من مستويات الدراسة الأربعة:

أولاً: فيما يخصّ موضوعات الدراسة على المستوى النظري خرجنا بأبرز النتائج التالية:

- 1 — الإتياع هو توارّد كلمتين أو ثلاث في أسلوب كلامي مرتجل، يغلب عليه الإيقاع الواحد، والتوافق في الوزن والروي، يُسمّى طرفاه التابع والمتبوع، والغالب ألاّ يفصل بينهما فاصل، وقد يفصل بينهما بحرف من حروف المعاني أو الجر أو العطف، ويمكن أن يكون التابع كلمة لا معنى لها جاءت لغاية فنيّة جماليّة هي تزيين الكلام لفظاً، وتوكيد المتبوع، وإمتاع السامع، وقد يكون التابع كلمة لها معنى بيّن جاء لتقوية معنى المتبوع وتوكيده.
- 2 — المزوجة هي تزاوج كلمتين أو ثلاث في أسلوب كلامي مرتجل، يقوم على طرفين يغلب عليهما الإيقاع الواحد والتوافق في الوزن والروي، والغالب أن يفصل بين طرفيه بحرف عطف هو الواو، وأن يكون طرفه الثاني كلمة لها معنى، جاءت لتقوية الكلام، ولتأكيد معنى الكلمة الأولى ومزاوجتها، فتبدوان كالزوج الواحد.
- 3 — ارتباط كلمتي إتياع والمزوجة ببعضهما البعض ارتباطاً وثيقاً، فالنطق بالكلمة الأولى يستدعي الأخرى في ذهننا تلقائياً لحظة النطق بها وهذا ما يدعى بالارتجال.
- 4 — الإيقاعات العنيفة في الأمثال تأتي تعبيراً عن التوتر الذي يعاني منه المتكلم، فهو يختار اللفظة الأقسى للحالة الأقسى.
- 5 — شيوع التضاد في بعض الأمثال يعكس صراعاً داخلياً يدور في ذهن القائل بلغ ذروته في التضاد.

- 6 — سبب شيوع الجرس والإيقاع في لغة الأمثال المدروسة يمكن رده إلى الحداء الذي ألفته ذاكرة العربي في الفيافي الواسعة بصحبة ناقلته.
- 7 — لعبت الموسيقى من خلال ثنائية الإلتباع والمزاوجة دوراً في حفظ المثل وذبوعه وبقائه في مستودع الذاكرة.
- 8 — كشفت لنا الأمثال المدروسة مجموعة من العادات والتقاليد والمعتقدات التي كانت سائدة في الجاهلية.
- 9 — تجلّى الاقتصاد اللغوي في لغة الأمثال بجملة من المظاهر المختلفة، أبرزها الحذف والتكرار والتخلص من الهمز والاستخفاف والإبدال وغيرها.
- ثانياً: أهم النتائج التي خرجنا إليها على المستوى الصوتي يمكننا إيجازها على النحو التالي:
- 1 — التنغيم تغيرات موسيقية تتناوب الصوت من صعود إلى هبوط، أو من انخفاض إلى ارتفاع، تحصل في كلامنا وأحاديثنا لغاية، وذلك حسب المشاعر والأحاسيس التي تتابنا.
- 2 — التنغيم يعمل على مستوى الجملة.
- 3 — لا يمكن وضع نظام للتنغيم يمكن إلتباعه فهو محكوم بالموقف الكلامي، وبالظروف المحيطة بكل من المرسل والمتلقي.
- 4 — للتنغيم دلالة نحوية، حيث يلعب دوراً في التمييز بين التراكيب الاستفهامية والتقريرية دون استخدام أدوات أو أسماء تفيد الاستفهام.
- 5 — التنغيم في الكلام المنطوق كالترقيم في الكلام المكتوب.
- 6 — الشدة هي العامل المسؤول عن درجة النبر، بحيث تكون كمية الشدة في المقطع المنبور أعلى منها في المقطع غير المنبور.
- 7 — هناك علاقة وثيقة بين النبر والتنغيم، فلا يحدث تنغيم دون نبر لأحد المقاطع.
- 8 — شيوع المقطع الطويل المفتوح والذي ينتهي بأحد حروف المد في الأكثرية العظمى من الكلمات التي تقع موقع الإبداع والمزاوجة، يليه المقطع القصير المفتوح، فالمقطع الطويل المغلق.
- 9 — ميل السلف إلى أداء المثل بطريقة فيها نوع من المدّ، وهذا ما خلق تجانساً موسيقياً في الكلام.

10 — اشتراك الكلمتين اللتان تقعان موقع الإتياع والمزاوجة في عدد المقاطع وهذا أيضاً لعب دوراً في خلق نوع من الجرس والإيقاع ساعد على تذكر المثل واستدعائه في الذاكرة.

ثالثاً: أبرز النتائج التي خرجنا إليها على المستوى الصرفي تتلخص بالآتي:

1 — شيوع صيغة (فعل) في الأكثرية العظمى من الأبنية الصرفية التي وقعت موقع الإتياع والمزاوجة تليها صيغة فعل.

2 — شيوع صيغة (أفعل من) في بناء الغالبية العظمى من الأمثال وتركيبها، وذلك يعود إلى ما تتمتع به هذه الصيغة من الإيجاز والاختصار من جهة، ومن قدرة فائقة على الإقناع من جهة ثانية.

3 — مظاهر الخروج على الأصول الصرفية تعود في معظمها إلى مراعاة الازدواج مع الكلمة المزاوجة، وكذلك تعود إلى اختلاف اللهجات العربية، وتحمل الأمثال للضرورات كالشعر.

4 — الأمثال التي جاءت متعددة الروايات، ترجع أسباب تعددها إلى كثرة التداول، والاختلاف في رواية المثل، والرواية بالمعنى، واختلاف اللهجات، والتقارب في مخارج بعض الحروف، والمجالس والمحاورات.

5 — انصباب اهتمام الناطقين بالمثل على تحقيق المجانسة الصوتية والازدواج بين كلمات المثل، هو الذي دعا إلى استبدالها بأخرى على وزنها ورويها.

6 — كان لتعدد الروايات في الأمثال دورٌ في زيادة المرادفات في العربية.

7 — تقارب اللفظين في بعض الأمثال كان نتيجةً لتقارب المعنيين، وهو ما سبب تعددًا في روايات المثل.

8 — معظم الأمثال التي وقع الإبدال فيها، كان الدافع إليه تحقيق الازدواج والمجانسة الصوتية بين كلمتي الإتياع والمزاوجة.

9 — الكلمات التي وقع الإبدال فيها حافظت حروفها على دلالتها النفسية قبل الإبدال وبعده.

10 — وقوع التسهيل بالهمز في بعض الأمثال يعود إلى اختلاف اللهجات بين القبائل العربية، وإثثار بعضها التخفيف، بينما فضلت الأخرى تحقيق الهمز.

رابعاً: أبرز النتائج التي خلصنا إليها على المستوى النحوي تتلخص بالآتي:

1 — كان التأكيد في الجملة الاسمية أكثر من التأكيد في الفعلية، والجملة الاسمية تحمل معنى الإثبات، وتأكيدا بإحدى أدوات التوكيد زادها تأكيداً على تأكيد.

- 2 — الغرض من التوكيد هو التقرير مع دفع الشك من ذهن السامع، وترسيخ المعنى ونقشه من ذهنه، وهذا يتفق مع الغاية من المثل، إذ يؤتى به لتأكيد فكرة معينة.
- 3 — جاء توكيد الجملة الاسمية في الغالب بأداتي توكيد هما إنَّ المشددة، ولام التأكيد (المزحقة) في الأكثرية العظمى من الأمثال وهذا يدل على مبالغة السلف في التأكيد للمثل المنطوق.
- 4 — جاء توكيد الفعل بنون التوكيد الثقيلة أكثر من الخفيفة لما يتطلبه المقام من التشديد في التأكيد، فالنون إذا شددت أصبحت أشدّ توكيداً.
- 5 — حذف الاسم في الأمثال العربية كان شائعاً في المسند إليه أكثر من المسند، وهذا يعود إلى كثرة التداول، وحث السامع على إعمال ذاكرته لمعرفة المحذوف.
- 6 — حذف المسند (الفعل) في الأمثال العربية المدروسة جاء للإيجاز والاختصار وتحقيق الاقتصاد في الكلام.
- 7 — أكثر أدوات النفي استخداماً في الجملة الاسمية هي (ما) في حين كانت (لا) أكثر الأدوات استخداماً في الجملة الفعلية. وهذا فسرناه أيضاً ضمن نطاق الخفة، والاقتصاد في الكلام.
- 8 — أكثر أدوات النفي استخداماً في الأمثال المدروسة كما هي الأداة ما، في حين كانت الأداة لا في المرتبة الثانية، وهذا ما يمكن تفسيره أيضاً بميل السلف إلى أداء المثل بأيسر الطرق والأساليب وأخفها على اللسان.
- 9 — اقتران جواب الشرط بالفاء إنما جاء لعدم صلاحية الجواب للجزم حيث لعبت الفاء دور الوسيط بين جواب الشرط وفعل الشرط.
- 10 — الأمثال التي تقدّم فيها جواب الشرط على أداة الشرط وفعله في المعنى، إنما كان للأهمية التي يشغلها الجواب في ذهن القائل، وكذلك لإثارة المتلقي وتشويقه.
- 11 — جاءت جملتا الجواب والشرط في التركيب الشرطي بصيغة الماضي في معظم الأمثال، وهي حالة انفرد بها المثل العربي.

خامساً: أهم النتائج التي خرجنا إليها على المستوى الدلالي وتتلخص بالآتي:

- 1 — بعض الأمثال جاءت الكلمة المزوجة (الثانية) فيها مهملة ومغلقة في معجمي العين واللسان، فلم نعر لها على مادة في المعجمين، وبذلك لم تستعمل إلا في نطاق المثل.
- 2 — معظم الأمثال التي جاءت الكلمة المزوجة فيها مهملة ومغلقة في معجم العين، وأوردها اللسان وفسر معناها بكلام مطابق لقائل المثل وهذا أسهم في زيادة الثروة اللغوية من خلال الأمثال.

- 3 — بعض الأمثال جاءت الكلمة المزاجية فيها لها مادة في المعجم ولم يذكر العين واللسان لها معنى، وعليه يمكننا القول أنها إتباع للكلمة السابقة لها، وجاءت لتقوي معناها، ولم تستعمل إلا في نطاق المثل.
- 4 — بعض الأمثال جاءت الكلمة المزاجية فيها لها معنى مخالف للمعنى الذي ذكره معجمي العين واللسان، وبعضها جاءت الكلمة المزاجية فيها لها معنى مختلف بين المعجمين، وهذا ما أسهم في معرفة التطور للكلمة المزاجية من خلال الاستعمال.
- 5 — بعض الأمثال ذكر فيها قائل المثل أنّ الكلمة المزاجية (الثانية) إتباع للأولى، ولا معنى لها مفردة، ثم جاءت المعاجم لتؤكد ذلك.
- 6 — بعض الأمثال جاءت الكلمة المزاجية فيها ملازمة للأولى وتحمل معناها، وذكرها العين أو اللسان في مادة لكل منهما، وهذا أسهم أيضاً في توسيع الثروة اللغوية من خلال المرادفات.
- 7 — من خلال دراستنا للأمثال تعرفنا على بعض الكلمات الدخيلة على العربية من أصول ولغات مختلفة.

فهرس الأمثال المدروسة:

- 1 — آخر الداء العياء الكي، المجهول 33
- 2 — أبرد من عبقرٍ وحبقرٍ، العسكري 210/1
- 3 — أتى أبد على لبد، العسكري 113/1
- 4 — اتقَّ خيرها بشرها وشرها بخيرها، الميداني 183/1
- 5 — أتلّف من سلف، الأصبهاني 97/1
- 6 — أتيت فلاناً فما أرغاني ولا أنغاني، أبي عكرمة الضبيّ 27
- 7 — أتيس من تئوس تويت، الأصبهاني 97/1
- 8 — أثبت في الدار من الجدار، الزمخشري 40/1
- 9 — أجنأوها أبناؤها، الميداني 231/1
- 10 — إحدى لياليك فهيسي هيسي، الميداني 44/1
- 11 — أحزم الفريقين الركين، العسكري 415/1
- 12 — أحسن من بيضة في روضة، قصير 180
- 13 — أحقق باكّ تاكّ، الزمخشري 72/1
- 14 — أخبّ من ضبّ، الأصبهاني 192/1
- 15 — أخبرته بعجري وبجري، الميداني 331/1
- 16 — أخبرته خبوري وشقوري وفقوري، الميداني 341/1
- 17 — اختلط الحابل بالنابل، الزمخشري 94/1
- 18 — أخذ البريء بالجريء، العبدري 148/1
- 19 — ادفع الشرّ بعودٍ أو عمودٍ، الزمخشري 117/1
- 20 — إذا جاء الحين حار العين، العسكري 106/1
- 21 — إذا جاء الحين غطى العين، أبي عبيد القاسم 326
- 22 — إذا احتاج الزقّ إلى الفلك فقد هلك، الميداني 121/1

- 23 — إذا أخصب الزمان جاء الغاوي والهاوي، الميداني 92/1
- 24 — إذا أردت المحاجزة فقبل المناجرة، العسكري 77/1
- 25 — إذا طلع سهيلٌ على أثابجها فلا تسأل بلقاحها ونتاجها، السدوسي 79
- 26 — إذا لم تُسمع فألمع، الميداني 107/1
- 27 — إذا لم تغلب فاخلب، ابن عبد ربه 105/3
- 28 — إذا نزل الحين نزل بين الأذن والعين، ابن عبد ربه 77/3
- 29 — إذا وقى الرجل شرَّ لقلقه وقبقه وذنبه فقد وقى الشرَّ كلّهُ، الزمخشري 129/1
- 30 — اسعَ بجذك لا بكذك، الزمخشري 168/1
- 31 — أسمع من سمع، الأصبهاني 218/1
- 32 — أصوصٌ عليها صوصٌ، الميداني 35/1
- 33 — أضيع من طاووس في ناووس، الأصبهاني 277/1
- 34 — اطرح وافرح طفيليٍّ ومقترح، الميداني 613/1
- 35 — اطلب ذاك وخلاك ذمّ، الزمخشري 224/1
- 36 — أعذر من أنذر، الميداني 655/1
- 37 — أعطاني اللّفاء غير الوفاء، الميداني 634/1
- 38 — أعوذ بالله من السّامة والهامة، أبي عكرمة الضبيّ 103
- 39 — أعيبنتي من شُبٍّ إلى دُبٍّ، الزمخشري 257/1
- 40 — أغرب من غراب، الأصبهاني 321/1
- 41 — أغرُ من الدّباء في الماء، الميداني 17/2
- 42 — أغلظ المواطئ الحضا على الصفا، الميداني 16/2
- 43 — أغنى عن ذا التّفّة عن الرّفّة، المجهول 35
- 44 — أغنى عن الشيء من التّفّة عن الرّفّة، الأصبهاني 321/1
- 45 — أغنى عنه من التّفّة عن الرّفّة، الميداني 16/2
- 46 — أفرط فأسقط، العسكري 24/1

- 47 — أفواهها مجّاسها، الميداني 27/2
- 48 — الأقارب هم العقارب، ابن عبد ربه 103/3
- 49 — أقصر لما أبصر، العسكري 161/1
- 50 — أكثر الأغنياء أغنياء، الثعالبي 56
- 51 — أكثر الظنون ميون، الميداني 134/2
- 52 — ألحق الحسّ بالإسّ، الميداني 203/2
- 53 — ألصق الحسّ بالإسّ، العسكري 131/1
- 54 — ألقى عليه أجرامه وأجرانه، الآبي 94/4
- 55 — أليّة في برّية ما هي إلّا لبليّة، الميداني 122/1
- 56 — أمضى من ترحّة بعد فرحة، العسكري 185/2
- 57 — أمضى من السيل تحت الليل، العسكري 185/2
- 58 — أنا تنقّ وأنت منقّ فمتى نتفّق، اليوسي 85/1
- 59 — أنا تنقّ وصاحبي منقّ فمتى نتفّق، العسكري 96/1
- 60 — أنت تنقّ وأنا منقّ فمتى نتفّق، الميداني 64/1
- 61 — أنت مرّة عيش ومرّة جيش، الميداني 64/1
- 62 — أهون من تبنة على لبنة، الميداني 483/2
- 63 — أهون من ذنب الحمار على البيطار، الزمخشري 275/1
- 64 — أهون من صوفةٍ في بوهةٍ، العسكري 290/2
- 65 — أوسع من هند مند، قصير 178
- 66 — إلى أن يجيء الترياق من العراق مات الملسوع، الميداني 121/1
- 67 — إلّا حظية فلا أليّة، الميداني 29/1
- 68 — إنّ ألّبها لها، العسكري 142/2
- 69 — إنّ أمامي ما لا أسامي، الميداني 104/1
- 70 — إنّ بني فلانٍ من بني فلانٍ لفي كوفان، أبو يوسف السكيت 90

- 71 — إن رمت المحاجة فقبل المناجزة، أبي عبيد القاسم 216
- 72 — إن الضلال بن الألال فأقصر، ابن فارس 118
- 73 — إنك لتحسب علي الأرض حيصاً بيصاً، الميداني 72/1
- 74 — إن لم تغلب فاخلب، الميداني 48/1
- 75 — إن لم يكن وفاق ففراق، الميداني 70/1
- 76 — إنما خدش الخدوش أنوش، الميداني 28/1
- 77 — إنما هو الفجر أو البجر، الميداني 94/1
- 78 — إن النساء لحم على وضم، الميداني 29/1
- 79 — إنه لخراج ولآج، ابن عبد ربه 94/3
- 80 — إنه لرباط الجاش على الأغباش، الميداني 73/1
- 81 — إنه لطبور فيور، أبو يوسف السكيت 84
- 82 — إنه لفي حور وفي بور، الميداني 97/1
- 83 — إنه لقبضة رفضة، الميداني 102/1
- 84 — إني لآتيه بالعشايا والغدايا، أبو عكرمة الضبي 28
- 85 — إيت به من حسك وبسك، أبو عبيد القاسم بن سلام 232
- 86 — الإيناس قبل الإيساس، الميداني 82/1
- 87 — بؤساً له وتوساً له وجوساً له، الميداني 146/1
- 88 — بعد الهياط والمياط، الميداني 140/1
- 89 — بعد الهيظ والميظ، الميداني 140/1
- 90 — البغل نغل وهو لذلك أهل، الميداني 145/1
- 91 — بقينا بين كل حاذف وقاذف، أبو بكر الأنباري 75/2
- 92 — البلايا على الحوايا، الميداني 148/1
- 93 — بلغ فلان من العلم أطوريه وأفوريه، ابن فارس 75
- 94 — تبلدي تصيدي، العسكري 221/1

- 95 – التجلّد ولا التبلّد، الميداني 190/1
- 96 – تحت هذا الكبش نبش، الميداني 207/1
- 97 – تركت دارهم حوثاً بوثاً، الميداني 195/1
- 98 – تركت فلاناً سادحاً رادحاً، ابن فارس 60
- 99 – تركتهم في حيص بيص، الميداني 175/1
- 100 – ترك ما يسوءه وينوءه، الميداني 191/1
- 101 – تركه الله حتّاً فتّاً لا يملأ كفاً، أبو يوسف السكيت 572
- 102 – تشتهي وتشتكي، الميداني 196/1
- 103 – التّقدّم قبل التّندّم، الميداني 186/1
- 104 – تقديم الحرم من النعم، الميداني 183/1
- 105 – تلّبدّي تصيدي، الميداني 175/1
- 106 – تهويد على رُيود، الميداني 200/1
- 107 – ثاب حابلهم على نابلهم، المجهول 52
- 108 – ثار حابلهم على نابلهم، الميداني 210/1
- 109 – ثوينا في دَر غافطةٍ ونافطةٍ، الواحدي 90
- 110 – جاء بأمّ الربيق على أريق، الميداني 233/1
- 111 – جاء بالشقّر والبقر وبيّنات غير، الميداني 242/1
- 112 – جاء بالصقّر والبقر، اليوسي 65/2
- 113 – جاء بالطمّ والرّم، الميداني 223/1
- 114 – جاء بالضّيح والريح، ابن فارس 59
- 115 – جاء بعد الهيّط والمييط، أبو يوسف السكيت 94
- 116 – جاء بالهيّء والجيّء، الميداني 238/1
- 117 – جاء الربيق على أريق، العسكري 47/1
- 118 – جاء سبغلاً وسبهللاً، الزمخشري 44/2

- 119 – جاء يضرب أصدره وأزدره، الواحدي 95
- 120 – الجار ثمّ الدار، الميداني 238/1
- 121 – جاورينا وأخبرينا، الميداني 224/1
- 122 – جنّني به من حسك وبسك، الميداني 236/1
- 123 – جذك لا كذك، الميداني 237/1
- 124 – جيء به من حيث أيسّ وليسّ، الزمخشري 36/2
- 125 – الحاجّ والذّاجّ، العسكري 311/1
- 126 – حافظ على الصديق ولو في الحريق، الميداني 283/1
- 127 – حال الأجل دون الأمل، الميداني 184/1
- 128 – حال الجريض دون القريض، الميداني 627/1
- 129 – حال صبوّحهم على غبوقهم، الميداني 291/1
- 130 – حرّة تحت قرّة، الميداني 274/1
- 131 – الحركة بركة، الميداني 321/1
- 132 – حلف بالسمر والقمر، الميداني 289/1
- 133 – حنّت فلا تهنّت، العسكري 319/1
- 134 – الحور بعد الكور، ابن عبد ربه 96/3
- 135 – حوّل حابله على نابله، اليوسي 146/2
- 136 – حيّاك الله وبيّاك، أبي عكرمة الضبيّ 24
- 137 – حيثما سقط لقط، الميداني 320/1
- 138 – حين تقلّين تدرين، الميداني 285/1
- 139 – الخرقة من الشقة، الميداني 364/1
- 140 – خش ذوّالة بالحبالة، الميداني 324/1
- 141 – الخلاء بلاءً، العسكري 358/1
- 142 – الذّراهم مراهم، الميداني 382/1

- 143 — درَب البهم بالرّم، الميداني 374/1
- 144 — الذلة مع القلة، العسكري 393/1
- 145 — ذهب أهل الدثر بالأجر، الميداني 389/1
- 146 — ذهب في الأخيب الأذهب، الميداني 387/1
- 147 — ذهبت البليلة بالمليلة، ابن فارس 116
- 148 — ذهبوا عساريات وعشاريات، أبو يوسف السكيت 57
- 149 — ذيابٌ في ثياب، اليوسي 7/3
- 150 — الرباح مع السماح، الميداني 420/1
- 151 — ربّ حثيثٌ مكيثٌ، الميداني 421/1
- 152 — ربّ دميمٍ غير دميمٍ، الثعالبي 49
- 153 — ربّ عطبٍ تحت طلبٍ، الميداني 447/1
- 154 — رجل ظلومٌ غشومٌ، أبو بكر الأنباري 33/2
- 155 — ردّ الطرف من الظرف، الميداني 447/1
- 156 — رضي من الوفاء بالّفاء، الميداني 423/1
- 157 — رغماً دغماً شنغماً، أبو يوسف السكيت 577
- 158 — الرفيق قبل الطريق، الميداني 423/1
- 159 — ركوض في كل عروضٍ، الميداني 423/1
- 160 — رماه بسكاته وصماته، العسكري 404/1
- 161 — رهبوت خير من رحموت، المجهول 65
- 162 — رهبوتي خير من رحموتي، أبي عبيد البكري 56
- 163 — ريح حزاء فالنّجاء، الميداني 405/1
- 164 — ريحٌ ولكنّه مليحٌ، الميداني 445/1
- 165 — السّراح من النّجاح، الميداني 463/1
- 166 — سعيه في خيّاب بن هيّاب، ابن فارس 46

- 167 — سقياً ورعياً، أبو يوسف السكيت 585
- 168 — السلاح ثم الكفاح، الثعالبي 120
- 169 — السلف تلف، الميداني 499/1
- 170 — سواء علينا قاتلاه وسالباه، المجهول 68
- 171 — سواء قوله وبوله، الميداني 498/1
- 172 — سواء لواء، الميداني 475/1
- 173 — سواء لواء، الميداني 475/1
- 174 — شاورهنّ وخالفوهنّ، اليوسي 240/3
- 175 — الشّراح من النجاح، العسكري 463/1
- 176 — شرب فما نقع ولا بضع، الميداني 518/1
- 176 — شقيّ لقيّ، أبو عكرمة الضبي 101
- 177 — شمّر وائتزر والبسّ جلد النمر، الميداني 506/1
- 178 — الصبوح جموح، الميداني 578/1
- 179 — صغراها مرّاه، المفضل الضبيّ 168
- 180 — صغراهنّ شراهنّ، الميداني 553/1
- 181 — صغراهنّ مرّاهنّ، المفضل الضبيّ 168
- 182 — صلعة بن قلمعة، الميداني 562/1
- 183 — صنعة من طبّ لمن حبّ، الميداني 551/1
- 184 — ضربُ أخماسٍ لأسداسٍ، العسكري 6/2
- 185 — الطّريف خفيفٌ والتّليد بليد، العسكري 17/2
- 186 — عاشرينا وأخبرينا، الزمخشري 156/2
- 187 — العاشية تُهيج الآبية، المفضل الضبيّ 63
- 188 — عاطٍ بغير أنواطٍ، الميداني 649/1
- 189 — العتاب قبل العقاب، الزمخشري 333/1

- 190 — عند التصريح تُريح، الميداني 657/1
- 191 — العنوق بعد النّوق، الميداني 635/1
- 192 — عينٌ عرفت فذارفت، ابن عبد ربه 77/3
- 193 — عين عرفت فذرفت، الميداني 627/1
- 194 — غاط بن باطٍ، الميداني 12/2
- 195 — غُلٌّ قَمْلٌ، الميداني 12/2
- 196 — غيضٌ من فيضٍ، الميداني 12/2
- 197 — فُتَحَ صدرك بعلم عُجرك وُبُجرك، الآبي 94/4
- 198 — فرّع فلانٌ وقنّع، السدوسي 57
- 199 — فلانٌ جائعٌ نائعٌ، أبو بكر الأنباري 47/2
- 200 — فلانٌ يريد الأمر عفواً صفواً، الثعالبي 58
- 201 — في كلّ خبرة عبرة، ابن عبد ربه 77/3
- 202 — قد أحزم لو أعزم، الميداني 64/2
- 203 — قد أنصف القارة من رامها وردّ أولاهها على أخراها، المجهول 81
- 204 — قد قضيت كلّ حاجةٍ وداجةٍ، أبو بكر الأنباري 227/2
- 205 — قدم فما جاء بهلّة ولا بلّة، أبو يوسف السكيت 23
- 206 — قد يبلغ الخضم بالقضم، الميداني 56/2
- 207 — قرنت الهيبة بالخيبة، الزمخشري 197/2
- 208 — كالبائع الكُبة بالهبة، الزمخشري 204/2
- 209 — كالباحثة عن حتفها بظلفها، المجهول 86
- 210 — كُسَيْرٌ و عُوَيْرٌ وكلٌّ غير خير، الميداني 122/2
- 211 — كل غريبٍ للغريب نسيبٌ، الميداني 155/2
- 212 — كلّ مبدولٍ مملولٍ، الميداني 139/2
- 213 — كل ممنوع متبوع، الميداني 155/2

- 214 – كما تُدين تُدان، الميداني 132/2
- 215 – كمستبضع التمر إلى هَجَرَ، الزمخشري 233/2
- 216 – كل صمت لا فكرة فيه فهو سهو، الميداني 142/2
- 217 – لا آتيك سجييس عجيس، الميداني 232/2
- 218 – لا آتيك سجييس غبييس، أبو عبيد البكري 510
- 219 – لا آتيك السمر والقمر، الميداني 231/2
- 220 – لألحقنّ حواقنك بذواقنك، الميداني 165/2
- 221 – لا أصل له ولا فصل، الميداني 250/2
- 222 – لا أفعل ذلك ما اختلف الجديان والملوان والفتيان، الآبي 122/3
- 223 – لا أفعل ذلك ما اختلف الملوان والأجدان والفتيان والعصران والجديان، المجهول 100
- 224 – لا أفعل كذا ما اختلفت الدرّة والجِرّة، الميداني 237/2
- 225 – لا أفعله ما خالفت درّة جرّة، المجهول 100
- 226 – لا تعطيني وتعطضي، الميداني 214/2
- 227 – لا تكذبنّ ولا تشبهنّ، الميداني 245/2
- 228 – لا تتفع حيلة مع غيلة، الزمخشري 260/2
- 229 – لا تهرف بما لا تعرف، الميداني 220/2
- 230 – لا جنّ بالبغضاء والنّظر الشرر، الميداني 248/2
- 231 – لا حاء ولا ساء، الميداني 243/2
- 232 – لا حمّ ولا رمّ أن أفعل كذا، الميداني 245/2
- 233 – لا خلة مع عيلة، ابن عبد ربه 80/3
- 234 – لا دريت ولا ائتليت، الواحدي 186
- 235 – لا دريت ولا أليت، أبو الطيب اللغوي 10
- 236 – لا دريت ولا تليت، ابن فارس 131
- 237 – لا عباب ولا أبواب، الميداني 253/2

- 238 — لا في العير ولا في النفير، الميداني 223/2
- 239 — لا يسرك من يغرّك، العبدري 541/2
- 240 — لا يعدم الخيار من استشار، ابن عبد ربه 80/3
- 241 — لا يعرف الحيّ من اللّي، العسكري 320/2
- 242 — لا يعرف القطة من اللطة، ابن فارس 129
- 243 — لا يعرف محساه من مفساه، الميداني 275/2
- 244 — لا ينبت البقلة إلاّ الحقلة، الميداني 233/2
- 245 — لا ينفع حذر من قدر، الميداني 244/2
- 246 — لا يميّز بين التين والسّرقين، الميداني 275/2
- 247 — لجّ فحجّ، الميداني 191/2
- 248 — لست إلى تكذّابك وتأتأمك شولان البروق، الزمخشري 281/2
- 249 — لست بخلاّ بنجاة، الميداني 175/2
- 250 — لقيت منه الأقورين والفتكرين والبرحين، الميداني 184/2
- 251 — لقيته أوّل صوك وبوك، الميداني 209/2
- 252 — لقيته صحرة بحرة، الميداني 189/2
- 253 — لكل داء دواء، الميداني 273/2
- 254 — لكل زعم خصم، الميداني 192/2
- 255 — لكل ساقطة لاقطة، الميداني 185/2
- 256 — اللهمّ جداً لا كدأ، الزمخشري 341/1
- 257 — اللهمّ سمعاً لا بلغاً، الزمخشري 342/1
- 258 — الليل أخفى للويل، الزمخشري 343/1
- 259 — لم تفاتي فهاتي، الميداني 191/2
- 260 — لم يفت من لم يمت، الميداني 270/2
- 261 — لم يكن وفاق ففراق، الزمخشري 375/1

- 262 — لو تكاشفتُم ما تدافعتُم، ابن عبد ربه 76/3
- 263 — ليس الشحم باللحم ولكن من قواصيه، الزمخشري 304/2
- 264 — ليس في التصنع تمتّع ولا مع التكلّف تظرّف، الميداني 270/2
- 265 — ليس كل أوانٍ أحلب وأشرب، العسكري 165/1
- 266 — ليس المتعلق كالمتأنق، الزمخشري 304/2
- 267 — ليس المشير كالخبير، الميداني 270/2
- 268 — ليست بريشاء ولا عمشاء، الميداني 187/2
- 269 — لي الغادرة والمتغادرة والأفيل النادرة، المفضل الضبيّ 155
- 270 — ما أحلى في هذا الأمر ولا أمر، الميداني 319/2
- 271 — ما أدري أغار أم مار، الميداني 324/2
- 272 — ما أشبه الحول بالقبل، ابن عبد ربه 102/3
- 273 — ما اكتحلت غماصاً ولا حثائاً، الميداني 314/2
- 274 — ما ألقاه إلاّ الفينة بعد الفينة، أبو يوسف السكيت 594
- 275 — ما أنت بخية ولا سبيّة، الميداني 297/2
- 276 — ما به نبضٌ ولا حيضٌ، قصير 97
- 277 — ما تحسن تعجوه ولا تتجوه، الميداني 318/2
- 278 — ما تكلمت بكلمة منذ كذا وكذا حتى أخطمها وأزمها، أبي عبيد القاسم 390
- 279 — ما حجّ ولكنه دجّ، الميداني 311/2
- 280 — ما حواه ولا لواه، الميداني 323/2
- 281 — ما حويت ولا لويت، الزمخشري 321/2
- 282 — ما دونه شقذٌ ولا نقذٌ، الميداني 317/2
- 283 — ما ذقت عضاضاً ولا مضاضاً ولا قضاضاً ولا لماظاً، أبي عبيد القاسم 390
- 284 — ما رزأته زبالاً ولا قبلاً، العسكري 231/2
- 285 — ما ضفا ولا صفا عطاؤه، الميداني 316/2

- 286 — ما ظلمته نقيراً ولا فتيلاً، الميداني 308/2
- 287 — ما عدا ممّا بدا، الميداني 328/2
- 288 — ما عليها خربصيصة ولا هلبسيصة، أبو يوسف السكيت 490
- 289 — ما عنده حضض ولا بضض، قصير 181
- 290 — ما عنده خيرٌ ولا ميرٌ، الميداني 312/2
- 291 — ما عنده شوبٌ ولا روبٌ، الميداني 321/2
- 292 — ما عنده طائلٌ ولا نائلٌ، الميداني 312/2
- 293 — ما في فيه حاكّة ولا تاكّة، الآبي 88/3
- 294 — المال ميّال، الميداني 375/2
- 295 — ماله ألٌ وغلٌ، أبو عبيد البكري 501
- 296 — ما له ثاغية ولا راغية، الميداني 311/2
- 297 — ما له حابلٌ ولا نابلٌ، الميداني 319/2
- 298 — ما له حانّة ولا آنّة، الميداني 292/2
- 299 — ما له حبضٌ ولا نبضٌ، الميداني 292/2
- 300 — ما له حيسٌ ولا بسٌ، أبو يوسف السكيت 489
- 301 — ما له حلوبة ولا ركوبة، متخير الألفاظ 158
- 302 — ما له جولٌ ولا معقولٌ، الميداني 321/2
- 303 — ما له دارٌ ولا عقارٌ، الميداني 311/2
- 304 — ما له دقيقة ولا جلييلة، الميداني 311/2
- 305 — ما له زرعٌ ولا ضرعٌ، متحيز الألفاظ 156
- 306 — ما له سارحة ولا رائحة، الميداني 334/2
- 307 — ما له سبدٌ ولا لبّدٌ، الميداني 292/2
- 308 — ما له سترٌ ولا حجرٌ، أبو يوسف السكيت 489
- 309 — ما له سحنة ولا معنة، الميداني 293/2

- 310 — ما له سُمٌّ ولا حُمٌّ، الميداني 292/2
- 311 — ما له شَقْدٌ ولا نَقْدٌ، الزمخشري 331/2
- 312 — ما له عافطة ولا نافطة، الميداني 290/2
- 313 — ما له عن ذلك الأمر حُمٌّ ولا رَمٌّ، ابن فارس 122
- 314 — ما له قذعمة ولا قرطعة، الميداني 292/2
- 315 — ما له نسولة ولا قتوبة ولا جزورة، الميداني 286/2
- 316 — ما له هاربٌ ولا قاربٌ، الميداني 291/2
- 317 — ما له هابلٌ ولا آبلٌ، الميداني 325/2
- 318 — ما له هُبْعٌ ولا رُبْعٌ، العسكري 214/2
- 319 — ما نقص عنده عبكة ولا لبكة، الميداني 310/2
- 320 — ما هو إلا غَرَقٌ أو شَرَقٌ، الميداني 323/2
- 321 — ما يعرف نطاته قطاته من لطاته، الزمخشري 337/2
- 322 — ما يعرف الحوَّ من اللوِّ، الميداني 313/2 — العقد الفريد 136/3
- 323 — ما يعرف الحيَّ من الليِّ، الميداني 313/2
- 324 — ما يعرف من يهرّه ممَّن يبرّه، ابن عبد ربه 136/3
- 325 — ما يعرف هراً من برٍّ، الآبي 109/4
- 326 — ما يلقي الشَّجي من الخليِّ، الميداني 296/2
- 327 — المحاجزة قبل المناجزة، ابن عبد ربه 79/3
- 328 — المحبوب مسبوب، الميداني 375/2
- 329 — المدح الذبح، الميداني 310/2
- 330 — مرّة عَيْشٌ ومرّة جَيْشٌ، العسكري 217/2
- 331 — المشاورة قبل المساورة، الميداني 319/2
- 332 — المعجَبُ أبداً مُغضِبٌ، الميداني 375/2
- 333 — المعزى تُبهي ولا تُبني، الميداني 290/2

- 334 — مليح بليح، السدوسي 76
- 335 — مليح قزيع، أبي عكرمة الضبيّ 101
- 336 — المنايا على البلايا، العسكري 219/2
- 337 — المنايا على الحوايا، العسكري 219/2 + الميداني 336/2
- 338 — المنايا على السوايا، الميداني 336/2
- 339 — من احترف اعتلف، الميداني 371/2
- 340 — من أخذ من النّهاوش والمهاوش، ثعلب 36/1
- 341 — من اشترى اشتوى، الميداني 343/2
- 342 — من أكثر أهجر، الميداني 329/2
- 343 — من بدا فقد جفا، الزمخشري 354/2
- 344 — من جاع باع، الآبي 67/3
- 345 — من جال نال، الميداني 371/2
- 346 — من حبّ طبّ، الميداني 335/2
- 347 — من حفنا أورفنا فليترك، الميداني 344/2
- 348 — من حفنا أورفنا فليقتصد، الميداني 344/2
- 349 — من خان هان، الآبي 67/3
- 350 — من الرفش إلى العرش، الميداني 327/2
- 351 — من رفق رتق ومن خرق حرق، الميداني 373/2
- 352 — من سعى رعى، الميداني 371/2
- 353 — من عير عير، الميداني 369/2
- 354 — من عزّ بزّ، الميداني 341/2
- 355 — من غاب خاب، الميداني 376/2
- 356 — من غلب سلب، الميداني 371/2
- 357 — من قلّ ذلّ ومن أمر قلّ، الميداني 345/2

- 358 — من قنع فنع ومن قنع شبع، الآبي 145/4
- 359 — من كان محاسينا أو مواسينا فليتفر، الميداني 360/2
- 360 — من كلا جنبيك لا لبيك، الميداني 232/2
- 361 — من لا حاك فقد عاداك، العسكري 188/2
- 362 — من لا يعلك فلا يهلك، العسكري 434/1
- 363 — من لي بالسائح بعد البارح، الميداني 334/2
- 364 — من نطاته لا يعرف قطاته من لطاته، الميداني 336/2
- 365 — من يجع يجشع ومن يسغب يشغب، الميداني 371/2
- 366 — المنية ولا الدنية، الميداني 336/2
- 367 — مولاك وإن عناك، الميداني 350/2
- 368 — النار ولا العار، الزمخشري 351/1
- 369 — الناس بين حاذفٍ وقاذفٍ، المجهول 41
- 370 — النجاح مع الشراح، الميداني 388/2
- 371 — نجّارها نارها، الميداني 387/2
- 372 — النداء بعد النّجاء، الميداني 395/2
- 373 — نزلت بين المجرة والمعرة، ثعلب 612/2
- 374 — النفس عزوفٌ ألوف، الميداني 392/2
- 375 — النقلة مثلة، الميداني 414/2
- 376 — هريق صبوّحهم على غبوقهم، الميداني 452/2
- 377 — هلكوا فصاروا حنّاً بُنّاً، الميداني 478/2
- 378 — هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ، الميداني 453/2
- 379 — الهيبة من الخيبة، الميداني 472/2
- 380 — الهيدان والريدان، الميداني 475/2
- 381 — هين لين وأودت العين، المفضل الضبيّ 172

- 382 — الهوى من النوى، الميداني 475/2
- 383 — هو بين حاذفٍ وقاذفٍ، الميداني 462/2
- 384 — هو الشعار دون الدثار، الميداني 471/2
- 385 — هو الفائق والرائق، أبو بكر الأنباري 477/1
- 386 — هو يشوب ويروب، الميداني 472/2
- 387 — ويلٌ للشجيّ من الخليّ، الميداني 553/1
- 388 — يبكي إليه شعباً وجوعاً، الميداني 505/2
- 389 — يحفّ له ويرفّ، العسكري 332/2
- 390 — يشوب ويروب، العسكري 323/1
- 391 — يضرب الماش بالدرماش، الميداني 512/2

المصادر والمراجع:

— القرآن الكريم.

- 1 — الإتياع لأبي الطيب عبد الواحد علي اللغوي الحلبي، حقّقه وقَدّم له: عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1961م.
- 2 — الإتياع والمزاوجة لأحمد بن فارس بن زكريا حقّقه: محمد أديب عبد الواحد جمران، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1995م.
- 3 — أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، د. مسعود بوبو، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي (د. ط)، دمشق 1982م.
- 4 — أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء، د. عبد الصبور شاهين، كلية الخانجي بالقاهرة، ط1، 1987 م.
- 5 — أدب الكاتب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري، حقّقه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط 4، 1963م.
- 6 — أزهير الفصحى في دقائق اللغة، عباس أبو السعود، دار المعارف بمصر (د. ط و د. ت).
- 7 — أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر، ط1، 1992م.
- 8 — أساليب التوكيد في القرآن الكريم، عبد الرحمن المطردي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1986م.
- 9 — أسلوب الشرط بين النحويين والأصوليين، ناصر بن محمد بن ناصر كريري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سلسلة مشروع وزارة التعليم لنشر ألف رسالة علمية، د. ط، 2004م.
- 10 — أصوات اللغة، د. عبد الرحمن أيّوب، مكتبة الشباب، (د. ط) و (د. ت).
- 11 — الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1971م.
- 12 — الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1985م.
- 13 — الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، الشركة العالمية للنشر، ط1، 2001 م.
- 14 — الأمالي لأبي علي القالي (إسماعيل بن القاسم) دار الكتاب العربي (د. ط و د. ت).

- 15 — الأمثال لأبي عكرمة الضبيّ، تحقيق، رمضان عبد التواب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (د.ط و د.ت).
- 16 — أمثال العرب، المفضل بن محمد الضبيّ تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، ط1، 1981م.
- 17 — الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، د. عبد المجيد قطامش، دار الفكر، ط1، 1988م.
- 18 — الأمثال العربية دراسة نقدية، مصطفى أبو العلا، دار الهدى للنشر والتوزيع، (د.ط و د.ت).
- 19 — الأمثال العربية القديمة، دراسة نحوية، د. محمد جمال صقر، جامعة السلطان قابوس، ط1، 2000م.
- 20 — الأمثال العربية القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد تأليف: رودلف زلهائم ترجمة وتحقيق: رمضان عبد التواب، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، ط1، 1971م.
- 21 — الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية، د. محمد توفيق أبو علي، دار النفائس، ط1، 1988م.
- 22 — أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصريّ، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل، ط1، 1989م.
- 23 — الإيضاح في علوم البلاغة، للإمام الخطيب القزويني، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العربية للكتاب، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، د. ط، 1989م.
- 24 — البلاغة من منابعها، علم المعاني، د. محمد هيثم غرّة، دار البشائر، ط1، 1999م.
- 25 — البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، ط1، 1994م.
- 26 — البلغة في أصول اللغة، محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: نذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1988م — 1408 هـ.
- 27 — تاج العروس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر، (د.ط و د.ت).
- 28 — التحفة الأدبية في الأمثال العربية، نصري قصير، مطبعة القرن التاسع عشر (د.ط و د.ت).
- 29 — التحليل النفسي والأدب، جان بيلمان نويل، ترجمة حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، (د.ط) 1997م.
- 30 — التحليل النفسي للذات العربية، أنماطها السلوكية والأسطورية، د. علي زيعور، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط3، 1982م.

- 31 – التطبيق الصرفي، د. عبدة الراجحي، دار النهضة العربية (د.ط) 1984م.
- 32 – التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط1، 1983م.
- 33 – التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها المستشرق الألماني برجستراسر في الجامعة المصرية، 1929م، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4، 2003م.
- 34 – تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، طوبيا العنيسي، دار العرب للبستاني، د.ط، 1989م.
- 35 – التفسير النفسي للأدب، د.عز الدين إسماعيل، دار العودة ودار الثقافة (د.ط و د.ت).
- 36 – تمثال الأمثال، لأبي المحاسن محمد بن عليّ العبدي الشيبلي، حقّقه: د.أسعد ذبيان، دار المسيرة، ط1، 1982م.
- 37 – تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد علي النجار، دار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب (د.ط و د.ت).
- 38 – تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، أسعد أحمد علي، دار السؤال للطباعة والنشر بدمشق، ط2، 1985م.
- 39 – جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري حقّقه: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، المكتبة العصرية، ط1، 2003م.
- 40 – جمهرة اللغة لابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري) مكتبة المثني، (د.ط و د.ت).
- 41 – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، السيّد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلميّة، (د.ط و د.ت).
- 42 – الحرف العربي والشخصية العربية حول نشأتها وتكاملها، حسن عباس، دار أسامة، ط1، 1992م.
- 43 – خاص الخاص، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، شرحه وعلّق عليه: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م.
- 44 – الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الخانجي بالقاهرة، ط4، 2003م.

- 45 — خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، اتحاد الكتاب العرب (د.ط) 1998م.
- 46 — دراسات في فقه اللغة العربية، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط3، 1968م.
- 47 — دراسات لغوية، د. حسين نصّار، دار الرائد العربي، (د.ط)، 1981م.
- 48 — دراسة السمع والكلام، د. سعد مصلوح، عالم الكتب (د.ط)، 1980م.
- 49 — دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط1، 1976م.
- 50 — درّة الغواص في أوهام أهل الخواص، أبو محمد القاسم بن علي الحريري، مطبعة الجوائب، ط1، 1299.
- 51 — الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة، للإمام حمزة بن الحسن الأصبهاني تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المعارف بمصر، (د.ط)، 1972م.
- 52 — دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق محمود شاكر مكتبة الخانجي بالقاهرة (د.ط و د.ت).
- 53 — دلالة الألفاظ، د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1972م.
- 54 — الدلالة اللغوية عند العرب، د.عبد الكريم مجاهد، دار الضياء (د.ط و د.ت).
- 55 — الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر بن القاسم الأنباري تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط1، 1992م.
- 56 — زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، حققه: د.محمد حجّي، ود. محمد الأخضر، دار الثقافة، ط1، 1981م.
- 57 — شرح شافية ابن الحاجب، للشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي مع شرح شواهد للعالم عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب، حققهما: محمد نور الحسن، محمّد الزفزاف، محمّد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، (د.ط)، 1975م.
- 58 — الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، حققه وضبطه: د.عمر فاروق الطّباع، مكتبة المعارف، ط1، 1993م.
- 59 — صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية من القرن 6—9 هـ، محمد توفيق أبو علي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، 1999م.

- 60 — العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي) شرحه وضبطه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، ط2، 1952م.
- 61 — علم اللغة العام، الأصوات، د.كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر (د.ط)، 1970م.
- 62 — فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لأبي عبيد البكري، حققه: د.إحسان عباس، ود. عبد المجيد عابدين، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، (د.ط)، 1971م.
- 63 — فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1987م.
- 64 — فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط5، 1972 م.
- 65 — فقه اللغة وسرّ العربية لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق: سليمان سليم البواب، دار الحكمة للطباعة والنشر، (د.ط)، دمشق 1984م.
- 66 — في الأمثال العربية، د. إبراهيم السامرائي، مطبعة حكومة الكويت، دراسات في التراث العربي، (د. ط و د.ت).
- 67 — في بنية الأمثال العربية القديمة ودلالاتها، مساهمة في إنشائية أدب الأمثال، الحبيب العوادي، ط1، تونس 2006 م.
- 68 — في البنية الإيقاعية للشعر العربي، نحو بديل جذري لعروض الخليل ومقدمة في علم الإيقاع المقارن، د.كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، ط2، 1981م.
- 69 — في التحليل اللغوي، منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام، د. خليل أحمد عمايرة، تقديم: الأستاذ الدكتور سلمان حسن العاني، مكتبة المنار، ط1، 1987 م.
- 70 — في جمالية الكلمة، دراسة جمالية نقدية، د.حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط، دمشق 2002م.
- 71 — في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق في الدلالة، د.خليل أحمد عمايرة مؤسسة علوم القرآن، ط2، 1990م.
- 72 — القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز أبادي الشيرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، ط1، 1995م.

- 73 — قضية التصحيف في التراث العربي، دراسة بعض جهود العلماء العرب في صيانة العربية، د.سمير كجّو، دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1989م.
- 74 — كتاب الأمثال لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي، حقّقه وقَدّم له د. رمضان عبد التواب الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (د.ط)، 1970م.
- 75 — كتاب الأمثال لمؤلف مجهول كتبه: أبو الوفاء محمد بن أحمد بن البساک، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1351هـ.
- 76 — كتاب الأمثال للإمام أبي عبيد القاسم بن سلّام، حقّقه د.عبد المجيد قطامش، دار المأمون، ط1، 1980م.
- 77 — الكتاب، سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، عالم الكتب (د.ط و د.ت).
- 78 — كتاب التعريفات، علي بن محمّد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، (د.ط) 1990م.
- 79 — كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.محمد المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1988 م.
- 80 — كتاب الكافية في النحو، للإمام جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي المالكي، شرحه: الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي، دار الكتب العلمية، (د.ط و د.ت).
- 81 — الكلمات والأشياء، التحليل البنيوي لقصيدة الأطلال في الشعر الجاهلي، دراسة نقدية، د. حسن البنا عز الدين، دار المناهل، ط1، 1989 م.
- 82 — الكلمات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ضبطه: د.عدنان درويش ومحمد المصري منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط2، دمشق 1981م.
- 83 — كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، هذّبه: أبو بكر زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة المقدسة، ط3، (د.ت)
- 84 — لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، ط1، 1992م.
- 85 — لغة قریش، مختار سيدي الغوث، النادي الأدبي بالرياض، ط1، 1992 م.

- 86 — اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، (د.ط و د.ت).
- 87 — اللغة العربية ثوابت ومتغيرات، دراسات في التغير اللغوي، الدواعي والآفاق، د.محمد عبدو فلفل، دار الينابيع، ط1، 2002م.
- 88 — اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسّان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) 1973م.
- 89 — اللغة والتطور، د. عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، (د.ط)، 1969م.
- 90 — لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية، دار الحرية للطباعة، (د.ط)، 1978م.
- 91 — مبادئ اللسانيات، د.محمد أحمد قدور، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، ط2، 1999م.
- 92 — مبادئ اللسانيات العامة، أندريه مارتينييه، ترجمة د. أحمد الحمو، المطبعة الجديدة، (د.ط) دمشق 1985م.
- 93 — متخير الألفاظ، أحمد بن فارس، حققه وقدم له: هلال ناجي، مطبعة المعارف، ط1، بغداد، 1970م.
- 94 — مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، شرح وتحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، ط2، (د.ت).
- 95 — مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (الميداني) منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط و د.ت).
- 96 — محاضرات في علم النفس اللغوي، د.حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (د.ط و د.ت).
- 97 — المخصص، ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي)، دار الكتب العلمية، (د.ط و د.ت).
- 98 — المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د.رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1985م.
- 99 — المدخل إلى فقه اللغة العربية، د.أحمد محمد قدور، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب (د.ط)، 1998م.

- 100 — مدخل إلى معرفة اللسانيات، د. محمد إسماعيل بصل، دار المتنبى للطباعة والنشر، (د.ط و د.ت).
- 101 — مذكرات في قواعد اللغة العربية، سعيد الأفغاني، مطبعة جامعة دمشق، ط3، 1960م.
- 102 — المزهري في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، دار الفكر (د.ط و د.ت).
- 103 — المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، ط2، 1987م.
- 104 — معجم الألفاظ الفارسية المعربة، السيد أدّي شير، مكتبة لبنان، د. ط، 1990م.
- 105 — معجم الدخيل في اللغة العربية، طه باقر، دار الوثبة، (د.ط و د.ت).
- 106 — المعجم الفارسي العربي الموجز، د. محمد التونجي، مكتبة لبنان، ط1، 1997م.
- 107 — معجم الكلمات الوافدة، عماد الدين حلوم، دار عماد، ط1، 2000م.
- 108 — مغني اللبيب عن كتب الأعراب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، (د.ط و د.ت).
- 109 — مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، ط3، 1983م.
- 110 — مقدمة لدرس لغة العرب، وكيف نضع المعجم الجديد، عبد الله العلياني دار الجديد، ط2، 1997م.
- 111 — المُقَرَّب، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى، عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، ط1، بغداد 1971م.
- 112 — مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، 1990 م.
- 113 — من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1972 م.
- 114 — من نثر الدر، لأبي سعد منصور بن الحسين الآبي، اختار النصوص: مظهر الحجّي، منشورات وزارة الثقافة، ط1، 1997م.
- 115 — موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1972م.

- 116 — النثر الفني في القرن الرابع، زكي المبارك، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (د.ط) 1931م.
- 117 — نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي سانديرس، ترجمة: د. خالد محمود جمعة، ط1، 2003م.
- 118 — النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط3، 1968م.
- 119 — نصوص في فقه اللغة العربية، د. السيد يعقوب بكر، دار النهضة العربية، (د.ط)، 1971م.
- 120 — نقد النثر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، تحقيق: طه حسين، وعبد الحميد العبادي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، (د.ط)، 1933م.
- 121 — الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، دار الشروق، ط2، 1969م.
- 122 — الوسيط في الأمثال، لأبي الحسن علي بن أحمد محمد الواحدي تحقيق: د. عفيف محمد بن عبد الرحمن، مؤسسة دار الكتب الثقافية، (د.ط)، 1975م.
- 123 — وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التتباب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان، دار سحر للنشر، ط1، 2004 م.

المقالات:

- 1 — الإتياع، د. غازي مختار طليمات، مجلة آفاق الثقافة والتراث تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، س5، ع18، آب 1997 ربيع الثاني 1418هـ.
- 2 — التنعيم ودلالاته في العربية، يوسف عبد الله الجوارنة، مجلة الموقف الأدبي، صادرة عن اتحاد الكتاب العرب، س81، ع369، 2002م.
- 3 — الشفاهية والكتابية، والترج أونج، ترجمة: د. حسن البنا عز الدين، مراجعة د. محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ع182 شباط 1994/ شعبان 1414هـ.
- 4 — الطاقات الجمالية للجملة الشرطية، لؤي علي خليل، مجلة الموقف الأدبي، يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق، س23، ع276 نيسان 1994م.
- 5 — في سيكولوجيا الأمثال العربية، جورج صدقني، مجلة المعرفة السورية، تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي، س17، ع204 شباط 1979م.
- 6 — في سيكولوجيا الأمثال العربية، جورج صدقني، مجلة المعرفة السورية، تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي، س19، ع219 أيار 1980م.
- 7 — في سيكولوجيا الأمثال العربية، جورج صدقني، مجلة المعرفة السورية، تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي، س18، ع210 آب 1979م.
- 8 — اللسانيات وموقفها من اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، د.مازن الوعر، مجلة المعرفة السورية، تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي س25، ع292، حزيران 1986م.
- 9 — اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ترجمة د. أحمد عوض، مراجعة د. عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ع263 تشرين الثاني 2000م، شعبان 1421هـ .

الرسائل الجامعية:

- 1 — أسلوب الحذف في اللغة العربية من الوجهة النحوية والبلاغية، أيمن الشوّاء، إشراف د. منى إلياس، أطروحة دكتوراه، جامعة دمشق، 2000 م.
- 2 — أسلوب الشرط بين النظرية والتطبيق، إبراهيم محسن، إشراف د. مصطفى جطل، رسالة ماجستير، جامعة تشرين، 1986 م.

المحتوى

رقم الصفحة

- 1- مقدمة البحث.....أ
- 2- الفصل الأول: الدراسة النظرية وتتضمن:
 - ظاهرة الإلتباع قديماً وحديثاً.....2
 - ظاهرة المزاجية قديماً وحديثاً.....13
 - البعد النفسي للإلتباع والمزاجية.....19
 - اللغة المنطوقة والإلتباع والمزاجية.....28
 - الاقتصاد اللغوي والأمثال.....46
- 3- الفصل الثاني: الدراسة التحليلية على المستوى الصوتي وتتضمن:
 - التنغيم.....74
 - النبر.....79
 - المقطع.....83
- 4- الفصل الثالث: الدراسة التحليلية على المستوى الصرفي وتتضمن:
 - الأبنية الصرفية والأمثال.....91
 - الخروج على الأصول الصرفية.....104
 - تعدّد الروايات في الأمثال.....109
 - الإبدال.....122
 - التسهيل.....125
- 5- الفصل الرابع: الدراسة التحليلية على المستوى النحوي وتتضمن:
 - أسلوب التوكيد.....128
 - أسلوب الحذف.....142
 - أسلوب النفي.....160

173.....	- أسلوب الشرط.....
	6- الفصل الخامس: الدراسة التحليلية على المستوى الدلالي وتتضمن:
188.....	- أثر الكلمة المزوجة في التطور الدلالي.....
200.....	- الدخيل في لغة الأمثال.....
206.....	7- خاتمة ونتائج.....
211.....	8- فهرس الأمثال المدروسة.....
228.....	9- المصادر والمراجع.....